Jan Dziedzic
Tadeusz Walichnowski

الأسرار والخفايا السياسية لحرب الأيام الستة

ترجمة
منصور أبو الحسن



أسرار ا[illegible] السّياسيّة
لحرا ا[illegible] ا[illegible]

Ja 'e zic
Ta euz Wa 'c nows

Les coulis e
De la Guerre de Six lour

جان دزيد زيك

تادوز والشنوفسكي

أسرار ... لسّيا ... يّ
لحر. أ ... يّ ... لستّة

ترجمة

منصور أبو الحسن

صحفي - دمشق

منشورات دار علاء الدين

- الأسرار والخفايا السياسية لحرب الأيام الستة
- جان دزيد زيك - تادوز والشنوفسكي
- ترجمة: منصور أبو الحسن
- الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢ عدد النسخ ١٠٠٠ نسخة

- التدقيق اللغوي: صالح جاد الله شقير
- تصميم الغلاف: المهندس محمد طه
- يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين
للنشر والتوزيع والترجمة
سورية، دمشق، ص.ب: ٣٠٥٩٨
هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٣٢٤١

قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧

في أواسط شهر أيّار من عام ١٩٦٧ كانت البداية لتفجير أزمة الشّرق الأدنى.. ففي العاشر من شهر أيّار أعلن رئيس أركان جيش إسرائيل، الجنرال إسحق رابين أنّه -'إن لمّ يتوقّف النّشاط الإرهابي السّوري، فإنّ قوّاته المسلحة ستزحف نحو دمشق' وأضاف: -'إنّ هذا يعني سقوط نظام نور الدّين الأتاسي'.

- وفي الأوّل من أيّار، كان رئيس وزراء إسرائيل ليفي إشكول يتفوّه بالكلام التّالي: - 'إذا استمرّت (ويعني النّشاط الفدائي العربي) يكون بمقدورنا استعمال وسائل لا تقلّ عنفاً عن تلك الّتي استُعملت في السابع من نيسان'.. تلك كانت البداية لأزمة الشّرق الأدنى التي بلغت ذروتها وكان أحد نتائجها العدوان الإسرائيلي المسلّح ضدّ ثلاث دول عربية الذي شنته إسرائيل في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عند الفجر.. وتاريخ السّابع من نيسان الّذي ذكر به إشكول يتعلّق بعمليّة الطيران الإسرائيلي ضدّ سورية فوق بحيرة طبرية.. وقبل ذلك، في ١٣ تشرين الثّاني ١٩٦٦، سبق للقوّات المسلّحة الإسرائيليّة أن باشرت حملة قمعيّة ضدّ الأردنّ تمثلت في خرق حدود هذه الدّولة ودمّرت بالكامل قرية السمّوع.. وتلك الأعمال المحليّة من قبل المعتدين الإسرائيليّين إنّما اعتبروها 'ردوداً انتقاميّة على نشاطات الزّمر الفلسطينيّة المقاتلة' أعمال انتقاميّة لم يكن هدفها الدفاع عن المستوطنات الإسرائيليّة المهدّدة، بل كان الهدف إرهاب البلدان العربيّة المجاورة.

وما العمليّة ضدّ السمّوع في حين كان الحسين، ملك الأردنّ يخوض معركته ضدّ الحركة الفلسطينية إلا برهان صارخ على ذلك، وطوال العشرين عاماً الّتي

مرّت على قيام إسرائيل أدخلت دائماً مبدأ مسؤوليّة العربّ الجماعيّة في مخزون وسائلها لنشاطها السّياسي.

على صعيد العلاقات الدوليّة وهذا هو الأشدّ خطراً كانت إسرائيل تشق لنفسها طريق إسباغ المشروعية على أعمالها القمعيّة ضدّ أيّة دولة.. والتهديدات بالحرب التي أطلقتها طوال الأيّام الأولى من أيّار لم تجد صدىً لها في الصحافة العالميّة بل مرّت تحت ستار من الصّمت رغم أنّها كانت إنذاراً ووعيداً بعمليّة تمّ الإعداد لها على نطاق واسع ويُحتمل أن تؤدّي إلى قلب الحكومة السّوريّة.. والصحف الغربيّة لم تعلّق أيّة أهميّة على المعلومات التي تشير إلى حشود قويّة للجيش الإسرائيلي على حدود سورية.. وبالمقابل كرّرت نشر تصريحات تل أبيب الرّسميّة الّتي نفت وجود أيّ حشد للقوّات.. والذي لم يترك أيّ مجال للاستخفاف بالتصريحات المعلنة من قبل إسرائيل كانت العبارات الّتي تضمنّتها مذكرة الأمين العام لمنظمة الأمم المّتحدة 'يوثانت'.. المذكّرة التي وجّهها إلى مجلس الأمن ويؤكد فيها أنّه، خلال الأسابيع الأخيرة، قام البعض من قادة إسرائيل أصحاب النّفوذ بإطلاق تصريحات مليئة بالتهديدات ضدّ سورية وفي الأخير تلقينا تعليمات عن تنقّلات وحشود لوحدات عسكريّة على طول الحدود السوريّة (نقلاً عن 'تريبونا لودي' تاريخ ١٩٦٧/٥/٢١).

– بمناسبة الذكرى التّاسعة عشر 'لخلق دولة إسرائيل' جرى عرض عسكري بتاريخ ١٤ أيّار في القدس وإنّ اختيار المكان ومسار العرض يؤكّدان أنّ مواضع المراكز الحكوميّة الإسرائيليّة قد صعّدت تحدّيها واستفزازها للعالم كلّه الذي لا يعترف فعلاً إلاّ بعاصمة وحيدة لإسرائيل هي 'تل أبيب'. كما وأنّ العرض في القدس قد تمّت مقاطعته من قبل العديد من الممثّلين الدبلوماسيّين لبلدان لا تعترف بالقرار أحاديّ الجانب بنقل العاصمة من تل أبيب إلى القدس. إنّ الجنرال 'أودبول' قائد قوّات الهدنة التابعة للأمم المتحدة الذي اعتبر تنظيم العرض العسكري في القدس، في المنطقة المنزوعة السّلاح، اعتبره خرقاً للمبادئ النّافذة قد غاب أيضاً عن الحضور، لقد كان ملحوظاً، في مسار العرض، عدم وجود أيّة وحدة عسكريّة مؤلّلة وقد طلعت إسرائيل على الناس بمقولة

تزعم أنّ 'إسرائيل فعلت هذا احتراماً لقرارات الأمم المتّحدة؟ في حين أنّه، بالحقيقة كانت قوّات إسرائيل الآليّة متمركزة في شمال إسرائيل..

وحدها من بين الصحافة العالمية قاطبةً، جريدة 'ليموند' اليوميّة الفرنسية، نشرت في عددها المؤرّخ في ١٥/١٤ أيّار، خبراً مفاده أنّ 'الإسرائيليّين لا يستبعدون القيام بهجوم عبر الحدود ضدّ سورية' واعتبرت اليوميّة الفرنسيّة تهديدات رابين وإشكول كانت تستند على براهين واقعيّة يجب أن تؤخذ على محمل الجدّ..

وليس مستبعداً أيضاً أنّ إسرائيل كانت تحاول إساءة تفسير اتّفاقية الدفاع السورية - المصريّة الّتي أُقرّت في آذار وصادف توقيعها بعد حادث السمّوع غير أنّها لم تجد التطبيق العملي لها خلال مجابهة نيسان السورية - الإسرائيلية فوق بحيرة طبريّة.. وإنّ عدم التدخّل من قبل الجمهورية العربيّة المتّحدة (طائرات الجمهورية العربية المتحدة) كما لفت عبد الناصر النّظر إلى ذلك في خطابه بمناسبة الأول من أيّار يعود لكون الطائرات المصريّة ممنوعة من حق الهبوط والتوقف في الأراضي السّوريّة.. وقد استغلت أوساط الدعاية المعادية لمصر هذا القول فيما سمّته 'كشف النوايا' وأنّ اتّفاقية الدفاع المشترك 'لم تكن سوى واحدة جديدة من قصاصات الورق العربيّة اللاّغية..'.

أخذت القاهرة في اعتبارها العامل الآنف الذكر المتّمثل في تهديدات إسرائيل الرّامية إلى قلب نظام حكم اليسار البعثي في سورية وإذا تحقّق هذا فإنّما يعني بل يرمي إلى ما هو أبعد: يعني توجيه ضربة مباشرة إلى جبهة البلدان العربية الّتي اختارت أنظمة الحكم التّقدّميّة وما تتوق إليه الأنظمة إيّاها من تقليص السيطرة على البترول من قبل الاحتكارات المالكة للبترول وأرباحه..

- كلّ ماله أيّ مساس بالبترول يُعطى الأهمية الأولى والكبرى في الشّرق الأدنى.. ففي ربيع ١٩٦٧ حسمت حكومة دمشق لصالحها - وهذا حدث لا سابقة له - النزاع الذي كان قائماً بينها وبين 'شركة بترولوم العراق' وكان موضوعه طلب سورية زيادة دخلها من حقّ مرور البترول العراقي نحو مرافئ الأبيض المتوسط بواسطة أنبوب عبر الأراضي السّوريّة وكان فوز سورية هذا،

يعني، بالنسبة للبلدان العربيّة الأخرى، أنّ مقاومة الاستثمار الاحتكاري يمكن أن تكون . ية وناجحة بل ومنتصرة.. إذاً لقد أ . - سورية 'بلداً مثيراً للقلق والإزعاج' في نظر واشنطن بخاصّة.. وواشنطن هي عاصمة البلد الرّأسمالي الأوّل المعنيّ وصاحب الشّأن في الأرباح المجنيّة من البترول في الشّرق الأدنى.. وكان دائماً جليّاً وواضحاً تضافر الجهود والمواقف بين المصالح الأمريكية وبين الأهداف السياسيّة الإسرائيليّة في مكافحة وقمع كلّ ظاهرة استقلاليّة عربية تجاه المؤسّسات العاملة في الحقل البترولي (Business) والأهداف السياسيّة الإسرائيليّة تركّزت دائماً على زرع وتعميم وتعميق الشقاق بين الدول العربية وتفتيت جبهة البلدان العربية ذات الأنظمة التقدّميّة.

تجاه التهديد الأكيد الضاغط على سورية قرّرت الجمهورية العربيّة المتّحدة عدم الاستمرار في موقف اللاّمبالاة وبعد ظهر الرابع عشر من أيّار غادر اللواء فوزي رئيس أركان جيش الجمهورية العربية المتحدة القاهرة قاصداً دمشق.

وفي ١٥ أيّار أعلنت وكالة أنباء القاهرة، بخبر عاجل، قيام 'تظاهرة قوّة عبر عاصمة الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، على شكل تحرّك نحو الشّرق لوحدات كبيرة من سلاح المدرّعات.. ونقلت الأنباء إيّاها، أيضاً نبأ 'انعقاد مجلس حرب كبير' في مقرّ القيادة العامّة للجيش.

وفي أحد خطاباته، في شهر أيّار القادم، سيقول عبد النّاصر إنّها ليست مصر بل هي سورية المستهدفة بتهديد مباشر: 'لقد عقدنا العزم، وفق مقتضيات مبادئنا، وباسم التّضامن العربي، على مساعدة سورية'.

في ١٦ أيّار أشار مندوب سورية لدى الأمم المتّحدة في كتاب موجّه إلى مجلس الأمن، أنّ إسرائيل تُعدّ عدواناً ضد الجمهورية العربيّة السّوريّة.. وأنّ الولايات المتّحدة، تستخدم أقنيتها الدبلوماسية لتصعيد التوتر في هذه المنطقة (تريبونا لودي ١٩٦٧/٥/١٧). وفي نفس اليوم كان جيش الجمهورية العربيّة المتّحدة يتابع تحرّكه نحو الشّرق وأعلنت حالة الأحكام العرفيّة في جميع البلاد.

وفي تل أبيب عقدت حكومة إسرائيل اجتماعاً لمجلس وزرائها.

في ١٧ أيّار طلبت الجمهورية العربيّة المتّحدة أن " . من حدودها في سيناء مخافر مراقبة قوّات الطوارئ الدوليّة التابعة للأمم المتّحدة في الشّرق الأدنى (UNEF) وما من شكّ أنّ الهدف من هذه العمليّة كان إقناع إسرائيل أنّه، في حال هجومها ضدّ سورية، لن تكون اتّفاقية الدفاع المشترك المصرية - السورية 'قصاصة ورق لاغية' كما أنّ للطّلب إيّاه سبباً آخر تحتجّ به الجمهورية العربيّة المتّحدة هو أنّها، إذا رأت نفسها ملزمة بمباشرة عمل عسكري ضروري، يجب ألاّ تتأذّى منه قوّات الأمم المتّحدة المذكورة.. وهذه القوّات كانت متمركزة على طول حدود سيناء وكانت قليلة العدد: ستّ مراكز مراقبة وفي كلّ مركز أقلّ من عشرين عنصراً وكلّها من الجنسيّة اليوغوسلافيّة مع ذلك، وفي نفس اليوم، بدأت إسرائيل إعادة تجميع قوّاتها على الحدود السّوريّة وكذلك في صحراء النّقب المجاورة لمصر وأجّل 'يوثانت' سفره الّذي سبق وأعلن أنّه سيقوم به إلى كلّ من لندن وبروكسل. والمعلومات التي كانت تتتالى تُفيد أنّ العديد من البلدان العربيّة تتضامن مع القاهرة ودمشق.

بتاريخ ١٨ أيّار كانت صحيفة التّايمس تفسّر قرارات الجمهوريّة العربيّة المتّحدة على النحو التّالي:

فيما يتعلّق . مراكز مراقبة الأمم المتّحدة من حدود سيناء، (يمكن الاستنتاج أنّ مصر تريد 'تنظيف المسرح' بقصد البتّ، مرّة واحدة، بالنوايا والمزاعم الإسرائيلية المتعلقة باستعمال القوّة.. في حين أنّ الحقيقة، في جميع الأحوال مختلفة جداً فهذا الإجراء الموجب والصّارم كان، بكلّ تأكيد الأكثر جدّة في حرب الأعصاب هذه..).

هذا بينما كانت 'لي غارديان' ترى، في نفس التاريخ أنّ الوضع ليس ضمن زاوية هستريا تتبدّد بعد بضعة أيّام، وذكّرت بأنّ إسرائيل سبق لها أن رفضت مراراً وتكراراً تنفيذ قرارات الأمم المتّحدة.. وتساءلت الصحيفة: أو ليس في نيّة الإسرائيليين محاولة حلّ جديد يُعطي نتائج أفضل؟ إلى هنا، وبعكس الرئيس ناصر، سبق للإسرائيليين أن رفضوا وجود مثل هذه القوّات على أراضيهم..

- معلق صحيفة 'لي غارديان' كان يشير إلى واقعة كون قوات المراقبة التّابعة للأمم المتّحدة لم تكن موجودة سوى في الجانب المصري من الحدود.. أمّا في الجانب الإسرائيلي فالقبعات الزرقاء كانت غائبة تماماً.. وحكومة هذه الدّولة قاطعت ورفضت بشكل منتظم ودائم قرارات الأمم المتّحدة لأنها تخالف مخطّطاتها السياسيّة ومن منطلقها هذا رفضت وجود مراقبين دوليين على أراضيها ومقاطعتها لهذه القوّات شملت أيضاً مركزها العام في غزّة وآمر هذا المركز.

إلاّ أنّ كل هذا لم يمنع إسرائيل أن تملأ الفضاء صخباً بالاحتجاج منذ اليوم الثّاني: - (صحيفة ليموند تحدّثت باستهزاء عن غضب إسرائيل) عندما أوجبت الجمهورية العربيّة المتّحدة انسحاب جميع قوى الأمم المتّحدة من إقليم غزّة ومن أراضي الجمهوريّة كلّها.. ومنذ تلك اللحظة تمّ تسجيل تصاعد أكيد للتوتّر وراحت الصحف تتحدّث عن أزمة خطيرة أيضاً سببها.. انعكاسات عالميّة تجاه الإجراءات المتّخذة من قبل الجمهورية العربيّة المتّحدة.. وانطلق الهجوم فوراً ضدّ قرار الحكومة المصرية ومن بين المهاجمين كان جورج براون وزير الشؤون الخارجية البريطانيّة.. ثمّ زاد في التّصعيد إياه حادث إطلاق النّار من قبل إسرائيل على الطائرة التي تحمل قائد القوّات الدولية الجنرال Rikhie القادم إلى غزّة وإجبار هذه الطّائرة على الهبوط.. واحتجّ يوثانت بشدّة ضدّ الحادث إيّاه..

اللّواء مرتقي المعيّن قائداً جديداً للقوّات المسلّحة المصريّة، في جولة ميدانيّة له، توقّف قرب حدود مصر مع إسرائيل وأطلق خطاباً عنيفاً دعا فيه العرب إلى 'حرب مقدّسة' ضدّ إسرائيل.. في حين كان نائب رئيس الوزراء وزير الخارجيّة السّوري إبراهيم ماخوس يصل إلى القاهرة ويدلي بتصريحات تتضمّن نفس المعنى.. واحتاج 'العالم العربي' إلى ردحة من الزمن حتى أدرك الكيفية الّتي بها تمّ استغلال هذا النوع من التصريحات.. لقد كان لهذا النوع من الأقوال والعبارات 'المتطرفة' ردّ فعل على الصعيد العالمي.. لقد نشرت في العديد من الصحف اليوميّة.. وأصبح الاستشهاد بها دائماً ومتواصلاً باعتبارها 'الدليل والبرهان' على 'نوايا ناصر والعرب للقضاء على دولة إسرائيل'.

وانطلاقاً من اللّحظة إياها، تو[illegible] - أكثر فأكثر ازدواجيّة السّلوك الأخلاقي لدى 'الصحافة الحرّة؟' وقدرتها على تشويه وتحريف الحقائق بقصد التضليل وهذا التضليل أصبح سلاحاً عالميّاً.

والبرهان الصارخ على ما نذهب إليه هنا ظهر في التقديرات المبنية على ما قرّره الأمين العام للأمم المتّحدة ففي ١٩ أيّار اعتبر 'ثانت' موجبات ومطالب الجمهوريّة العربيّة المتحدة عادلة ومبرّرة فأصدر قراراً بتصفية قوّات الطوارئ الدوليّة في الشّرق الأدنى، وفور صدور القرار إيّاه، أعلن آ.غولدبرغ' الممثّل الدائم للولايات المتحدة الأمريكية لدى منظمة الأمم المتحدة، وهو الذي سبق ولعب دوراً بالغ الشّؤم في الأزمة كلّها، أعلن عن 'بالغ أسفه' إزاء قرار ثانت كما أنّ جونسن نفسه شجب القرار: - 'لقد انتابنا الإرباك والحيرة إزاء الانسحاب العاجل لقوّات الطّوارئ التابعة للأمم المتحدة من غزّة ومن سيناء بعد أن قضت هناك عشر سنوات لإقرار السّلام بشكل ثابت وفعّال والانسحاب جاء مفاجئاً دون أي قرار من قبل الجمعية العامّة للأمم المتحدة أو من قبل مجلس الأمن'. (نقلاً عن جريدة ليموند تاريخ ١٩٦٧/٥/٢٥).

واتُّهم يوثانت بالتصرف المؤدي إلى الحرب والمحرّض عليه.. اتُّهم بالانحياز.. وفي تفسيرها لقرار السكرتير العام للأمم المتّحدة وتعليقها عليه كتبت وكالة صحافة ألمانية الغربية (DPA) في ١٩ أيّار: - 'العالم كلّه يعتبر هذا القرار بمثابة ضربة فظة وعنيفة موجهة إلى منظمة الأمم المتّحدة..' وتابعت هجومها ضدّ يوغوسلافيا والهند الدّولتين اللّتين منهما كان معظم عناصر القوّات الدوليّة.. وحتى يلعب دوره الهام بصدد القرار المتخذ من قبل يوثانت.

طلع السيناتور الأميركي 'جاكوب جافيت' وهو صهيوني معروف جيداً، طلع بالتصريح التالي:

- 'لقد ارتكب السكرتير العام خطأ فادحاً بحق منظمة الأمم المتحدة.. لقد كان قراره مأساوياً.. ثانت هو الخادم وليس السيد للأمم المتّحدة..' ومن جانبه تكلم ليفي أشلول قائلاً: 'إنّها سقطة ثقيلة بنتائجها تنتاب الأمم المتحدة وهي تقوم بدورها كضامن للأمن..'.

ودامت، تواصلت عدة أسابيع الهجومات الموجّهة ضدّ ثانت والدّافع إلى 'إلقاء المسؤوليّة على ثانت' كان يظهر في العديد من تحليلات النّزاع المنشورة في الصحف الأمريكيّة اليوميّة والأسبوعيّة. وكذلك في الصحف الألمانيّة الغربيّة والسّويسريّة والنّمساويّة والهولنديّة والإيطاليّة وغيرها.. وكلّها كانت تحاول تبييض صفحة المعتدي واستبعاد حتّى الخجل عنه بكونه المحرّض والمستفزّ على حرب ذات أهداف توسعيّة.. وإلقاء مسؤولية ذلك على عاتق القاهرة والبلدان العربيّة والأمين العام للأمم المتحدة الذي أبدى رأيه دون لبس أو غموض ضدّ مناورات الإمبرياليّة والعدوان الأمريكي في فيتنام الأمر الذي حمّله حقد الأوساط صاحبة القرار في كلّ من البيت الأبيض والبنتاغون.

أمّا فيما يخصّ مسألة الوحدات التابعة للأمم المتّحدة فقد تبنى الاتحاد السّوفيتي موقفاً أحادياً ففي التصريح السّوفيتي بتاريخ ٢٣ أيّار الخاص بالوضع في الشّرق الأدنى نقرأ ما يلي:

-'باعتبار أنّ وجود قوّات الأمم المتّحدة في منطقة غزّة وشبه جزيرة سيناء يُعطي نظراً للوضع الحاضر' (التصريح أدان استعدادات إسرائيل العدوانية) يعطي ويقدم الفوائد لدولة إسرائيل من أجل شنّ هجوم عسكري ضدّ البلدان العربيّة.. لذلك طلبت حكومة الجمهورية العربية المتّحدة من الأمم المتّحدة سحب قوّاتها من الأماكن المشار إليها.' (نقلاً عن إزفستيا تاريخ ١٩٦٧/٥/٢٥).

ومردّ هذا التصريح كان الاعتراف أنّ إجراءات الجمهوريّة العربيّة المتّحدة كانت صحيحة ومبرّرة وفي نفس الوقت معارضة . وضجيج 'الصحافة الحرّة' وكذلك تصريحات جميع السياسيّين المؤيدين لإسرائيل.

وفي تقريره المقدّم إلى مجلس الأمن كتب ثانت أنّ قراره كان يستند إلى مرجعيات شرعية وعمليّة معاً وأنّه لا مجال للشكّ أبداً أنّ قوّة تابعة للأمم المتحدة لا تستطيع إطلاقاً القيام بأيّ تصرّف وأنّ أيّة عمليّة هدفها السّلام لا يمكن أن تقوم بها الأمم المتّحدة دون اتفاق دائم وتعاون مع البلدان ذات العلاقة. 'حالما يلغي بلد ما اتّفاقه ويعتبر أن وجود قوّات دوليّة غير مرغوب فيه تنتهي الفائدة من وجود القوّات إيّاها..'

يبدو ضرورياً الإشارة هنا إلى أنّ قوّات الطوارئ الدولية كانت موجودة فقط داخل أراضي الجمهوريّة العربية المتحدة التي لم تقم إطلاقاً قواتها المسلحة، طوال الأعوام العشرة باجتياز الخط المرسوم من قبل قوات الأمم المتّحدة.. لهذا السبب وبفضله استطاعت القوّات المذكورة أن تلعب دور السدّ والكابح ضدّ عمليّات التسلّل.. أمّا ومنذ لحظة إلغاء الاتّفاق قررت الجمهورية العربيّة المتّحدة تحريك وتقدم قوّاتها حتى خطّ حدودها وهذا كان حقها المشروع تماماً. إنّ قرار الجمعية العمومية للأمم المتّحدة قد أوصى أنّه إذا كانت قوات الطوارئ الدولية قد تمركزت على جانبي الحدّ بين الدولتين يمكنها أن تستمر بالقيام بوظيفة السدّ المذكور.. إلاّ أنّ الجانب الإسرائيلي رفض دائماً وجود القوّات إيّاها على أراضيه.. ومراعاةً للحالة المماثلة، كانت الموافقة على طلب القاهرة الخاصّ بانسحاب هذه القوّات بعد عشر سنوات ونصف من وجودها، اعترافاً بنفس حق الجمهورية العربية المتّحدة بالسيادة على أراضيها..

إنّ تقديرات ثانت هذه قابلة للاختصار على الشكل التالي:

- كان بمستطاع القوّات الدولية القيام بدورها لو كانت موجودة فوق أراضي الدولتين بعد فك الاشتباك بينهما وبناء على ذلك كان يجب على إسرائيل أن تقبل وجود القوّات داخل أراضيها.

لقد وصف السكرتير العام للأمم المتّحدة وجهات النّظر المطلقة آنئذٍ والتي ترمي لإثبات وجود شرط معين وملزم هو أنّ تواجد قوّات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة على أرض الجمهورية العربيّة المتّحدة تابع وخاضع لقرارات الدّول ذات العضويّة الرئيسيّة في منظّمة الأمم المتحدة سواء في مجلس الأمن أم في الجمعيّة العموميّة - الأمر الّذي ووجه بمعارضة قاطعة من قبل ثانت: كان يجب على إسرائيل أن تُبدي سخطها وغيظها قبل السنوات العشر لما كانت حكومتها تقف موقف المقاطعة المطلقة للقوّات الدوليّة.. وإنّ وجود هذه القوّات على الحدود المصريّة - الإسرائيليّة كان يخدم أهداف إسرائيل التي كانت تستكمل استعداداتها لمهاجمة سورية.

في ٢٠ أيّار أعلن ثانت عزمه على الذهاب إلى القاهرة وكانت إسرائيل قد استكملت تعبئة قواها الاحتياطية (دون أن تعلن رسمياً هدفها من ذلك): كانت تتحرّك في ظلام الليل وي... -' وهذا ما كتبه بعد زمن المؤلّف النّمساوي جورج سيبستيان، ومن جهته كان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال رابين يستعرض الوحدات المتمركزة في صحراء النّقب.. وكانت الصحافة المصريّة تكتب أنّه يوجد في النّقب، آنذاك خمس فرق إسرائيليّة..

في ٢١ أيّار وكردّ على التّعبئة الإسرائيلية، استدعت الجمهورية العربية المتحدة احتياطيّها إلى الخدمة الأمر الّذي أثار أيضاً صخباً عالياً في أوساط الدعاية الغربيّة. وفي تلك الحقبة من 'حرب الدّعاية' الإسرائيليّة كان واضحاً أنّ هدف الصّخب إياه الإيهام أنّ إسرائيل هي التي ثبت الاحتمال أنها عرضة لخطر هجوم عليها وأنها مضطرة للدفاع عن نفسها'

إنّ الصحف اليومية والفصلية الغربية كانت تقوم بإجراء مقارنات بين جيوش البلدان العربيّة وبين جيش إسرائيل وتسترعي الانتباه إلى التفوّق العددي والعتادي العربي. وتلك كانت عنصراً جوهريّاً في المعركة الدّعائية إيّاها الهادفة، من جهة إلى خلق تيّار تعاطف مع إسرائيل باعتبارها الجانب الأ... .. ومن جهة أخرى، لفت الأنظار إلى الخطر المزعوم الذي يهدّد إسرائيل.. ولم يطل الانتظار حتى عُلِم أنّ الأسطول السادس الأمريكي قد تحرّك متوجهاً شرقاً إلى الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسّط.. علماً أنّ قطع هذا الأسطول لم تكن تسير نحو بيروت التي كان المقرّر أنها ستزورها لأنّ الحكومة اللبنانية ألغت من جانبها هذه الزّيارة تضامناً مع الدول العربيّة.

في ٢٢ أيّار قامت الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بإعادة بسط سيادتها على مضيق تيران عند مدخل خليج العقبة وهو المضيق الذي فقدته بعد عدوان السّويس عام ١٩٥٦ وثانت في طريقه نحو القاهرة.

في ٢٣ أيّار أعلن الرئيس ناصر أنّه سيمنع المرور من مضائق تيران ليس فقط للسّفن الّتي ترفع العلم الإسرائيلي ولكن، أيضاً، تلك التي تنقل منتجات ستراتيجيّة خاصّة بإسرائيل والجمهورية العربية المتحدة تسيطر على شرم الشيخ

ومن هناك تسيطر أيضاً على مضيق تيران وبدأ الحديث عن 'حصار العقبة' وهو حديث عارٍ عن الصحّة.. فالسّفن التي ترفع جميع الأعلام باستثناء علم إسرائيل، تملك حق الوصول إلى مرفأ إيلات الإسرائيلي وقد دام الوضع على هذا الشّكل طيلة المدّة بدءاً من إعلان ناصر الهجوم على إسرائيل.. أمّا فيما يخص السّفن الإسرائيليّة فمن حق أيّة دولة أنّ تتخذ قراراتها الّتي تراها صائبة في مسألة السّيادة على مياهها الإقليميّة تماماً كما هو الحال بالنسبة لمضيق تيران.

إنّ النّشاط في مرفأ تيران لم يكن يوماً واسعاً جدّاً كما جاء في المآخذ المقدّمة بعد إغلاق خليج العقبة والتي بلغت حدّ القول أنّ المقصود هو 'خنق إسرائيل' الأمر الذي لا يتفق مع الحقيقة.. لأنه معروف جيّداً أن لإسرائيل انفتاحها الواسع على البحر الأبيض المتوسّط وهذه حقيقة قوبلت بالصمت المطلق من قبيل الدعاية الغربيّة. وعلى العكس من ذلك، لدى حضور ثانت إلى القاهرة ومشاوراته التمهيديّة مع محمود رياض وزير الشؤون الخارجية في الجمهورية العربيّة المتحدة قوبلت بالصّمت الكامل حقيقة كون الجمهورية العربية المتحدة تملك حقّ استئناف بسط سيادتها على مياهها الإقليميّة وهذا يشمل مضيق تيران.. ولم يعلّقوا أيّة أهميّة على كون السفن الإسرائيليّة اتخذت من هذا الطريق البحري منفذاً خالصاً لها بعد عدوان السّويس مع التجاهل الكامل أن الهجوم السّياسي المضادّ من قبل القاهرة والبلدان العربيّة كان جواباً على الحالة الاستفزازيّة من قبل إسرائيل.. بل ومقابل كلّ ذلك ظهر السّعي والاجتهاد لإظهار مصر دولة تضع السّلام في خطر.. لقد فَسّر جونسون قرار مصر أنه استبدادي ومأساوي. والصّحيفة اليوميّة البريطانية 'ديلي ميرور' قالت إنّ 'ناصر يدفع بمصر وإسرائيل إلى حافة الحرب' وعضو مجلس الشّيوخ الأمريكي 'ميك مانسفيلد' وصف قرار مصر بأنه 'عمل حربي' حسب القانون الدولي كما وصف خطاب الرّئيس ناصر بأنّه 'استفزازيّ'. أمّا عضو مجلس الشيوخ روبرت كيندي شرح في مؤتمر المنظمة اليهودية (BNAI BRITH) موقف الدول الغربيّة تجاه إسرائيل وأعلن أنّه، حتى إذا لم تقم كلّ من بريطانية وفرنسا 'بالوفاء بتعهّداتها' فواجب الولايات المتحدة الأمريكيّة الوفاء بها منفردةً. وخلال مؤتمر Bnai Brith

طرحت مسألة 'البيان الثلاثي' لعام ١٩٥٢ الّذي بموجبه حملت كلّ من بريطانية وفرنسة والولايات المتحدة الأمريكية ضمانها لإسـرائيل: 'لقـد تعـهدنا وواجبنـا الوفاء بتعهّدنا' هذا ما أعلنه روبرت كيندي. وعلم آنئذ أنّ اجتماعاً 'فوق العادة' للحكومة وبناءً على إعلان إشكول 'أن التدخل بشؤون الملاحة في خليج العقبة يعتبر عملاً عدوانياً وأن إسرائيل سترد عليه حتى ولو وقفت وحدها' ومنذئذٍ كان النذير إياه عملاً عسكرياً.

إنّ الّذي لفت انتباه المعلقين والمفسرين كان مضمون ما أعلنته حكومة الاتّحاد السوفيتي التي كانت تدين السّياسة الإسرائيليّة في التحضير للاستفزاز والتحريض والحرب كما كانت تدعم القرارات المتخذة بهذا الصدد من قبل الدول العربيّة.. والإعلان إيّاه كان يتضمّن، أيضاً تحذيراً: - يجب أن لا تساور الشكوك أحداً.. فالذي 'سيتجرأ ويشنّ عدواناً في الشرق الأوسط سيصطدم ليس فقط بالقوّة الموحّدة للبلدان العربيّة بل أيضاً بالمقاومة المصمّمة مقاومة العدوان من قبل الاتحاد السّوفييتي وجميع الدول المحبّة للسّلام..'

العديد من الصحفيّين الغربيّين شوّهوا وحرّفوا المضمون السّلمي لإعلان الاتّحاد السوفييتي، فالصحيفة اليوميّة DIE WELT المعروفة بموقفها المتشدّد ضدّ الاتحاد السوفييتي كانت تُشيع بإصرار:

- 'الاتحاد السوفييتي هو الذي يمسك برافعات الأزمة'.

بين حين وآخر كان هناك دولتان لا يخطر على بال أحد أن يشك بأنهما يتعاطفان مع الاتحاد السوفييتي.. كانتا ترفعان صوتهما بالمطالبة، أثناء غياب يوثانت وبقصد الحط من الثقة بالمهمّة الّتي يقوم بها في القاهرة، المطالبة بالانعقاد الفوري لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وهذه المناورة التي لا يمكن الشك بتحققها مادامت ناجمة عن تحريض من قبل الدبلوماسية الأمريكية كانت ترمي إلى تصعيد 'مناخ التأزّم' على الصّعيد العالمي.. وقد وصفت 'برداءة وسوء الذّوق' في التعامل مع يوثانت وانتهت، في ٢٤ أيّار بالتعليق الفوري لاجتماع المجلس رغم احتجاج غولد برغ مندوب الولايات المتحدة الأمريكيّة. وذلك لأنّه لم يكن يوجد أحد يقبل مباشرة المحادثات بغياب السكرتير العام ومع ذلك كانت تلك

اللّحظة بالغة الأهميّة باعتبارها خطوة أولى التي تعطي البرهان على أنّ الأمم المتّحدة تهتمّ بتطوير الوضع.. لقد انعقد مجلس الأمن في التاسع والعشرين من أيّار وتمّ انعقاده هذه المرّة بناء على طلب من حكومة الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. بعد إعلانها أنّها لن تكون البادئة بأيّ عمل عسكري، وأنّ هدف الجمهورية العربيّة المتحدة كان الرّجوع إلى شروط هدنة عام ١٩٤٩.

مع ذلك، وقبل الوصول إلى هذه النقطة حاولت الدبلوماسيّة الأمريكيّة ممارسة الضّغط على الجمهورية العربيّة المتّحدة فوكالة (UPI) أعلمت أن الأمر يتوجّب 'مشروع من ثلاث نقاط يُتوقّع منها أن تشكّل ضغطاً على الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. والنقطة الأخيرة منها تستوجب 'فتح ميناء العقبة بالقوّة'.

وفي حين كان الرئيس جونسون يُجري محادثات سريّة مع الوزير الإسرائيلي للشّؤون الخارجية آبا إيبان كانت سفارة الولايات المتّحدة في القاهرة تطلب من مصر الإقلاع عن جميع الإجراءات التي قامت بها بين ١٧ و٢٢ أيّار ١٩٦٧.

وكانت 'نيويورك تايمس' تاريخ ٢٥ أيّار، تدعم تلك 'الرّغائب والمطالب' بنبرات مليئة بالتهديد:

«إن الجهود الدبلوماسيّة المستأنفة حالياً سواء داخل مؤسّسات الأمم المتّحدة أم خارجها كانت تعطي عبد الناصر إمكانيّة الانسحاب الماهر من المسار العدواني الوحشي الّذي سلكه في شبه جزيرة سيناء خلال هذا الأسبوع وأن يسلك طريق السّلام.. لأنّهم أفهموه بشكل لا يقبل الشكّ إطلاقاً أنّ أيّ هجوم من جانبه سيستدعي الردّ ليس فقط من إسرائيل بل أيضاً من الولايات المتّحدة الأمريكية ومن عدّة بلدان أخرى..»

هذا المقال لصحيفة نيويورك تايمس كان واضح المعنى تماماً: لقد أظهروا الجمهوريّة العربيّة المتّحدة على أنها هي المعتدية وأن إسرائيل هي الضحيّة البريئة 'ضحيّة المؤامرة العربيّة'.

'سرج غروسار' المحرر الفرنسي في صحيفة 'لاورور' كتب في ٢٥ أيار حول موضوع التهديد بحدوث نزاع مسلّح في الشرق الأدنى فقال إنّه لا يرى سوى وجه واحد للمسألة.. 'إنه الآلام التي عاناها اليهود في الحرب العالمية الثانية'.

قال هذا في سياق حديثه عن الزيارة الّتي يزمع الجنرال ديغول على القيام بها إلى بولونيا وكان يُلفت الانتباه إلى أنّ الرئيس ديغول سيذهب قريباً لزيارة 'أوشويتز AUSCHWITS' وتابع يقول إنّ العالم المتمدّن لا يمكن أن يسمح مرّة جديدة أن تتكرّر تلك المذبحة.. وإذا كان ناصر ومعه تكتّل البلدان العربيّة في الشرق الأدنى هاجموا إسرائيل هذا الشعب الصغير النّشيط الشجاع الذي لا يزيد عدده، رجالاً ونساء على المليونين ونصف المليون نسمة، فإن هذا الشعب سيكون مضطرّاً مرة ثانية وفي مدى ١٩ عاماً فقط، لأن يخوض معركة ضارية وجديّة..'؟

هذا النّوع من الدّعاية الصهيونيّة كان من أهدافه الضّغط على الرئيس الفرنسي حتّى يتبنّى موقفاً يتطابق مع موقف جونسون ورئيس وزراء كندا 'بازسون' وهما موقفان كان لهما وقعهما الخاص في المرحلة الأولى من الأزمة.. ثمّ مع موقف السياسيّين البريطانيّين هارولد ويلسون وجورج براون الذين عرضا 'تصريحاً باسم الدول الكبرى البحرية' التي 'يتوجّب' عليها أن تضمن لإسرائيل حقّ الملاحة في المياه الإقليميّة المصريّة إلا أنّ الرئيس الفرنسي كان يرى الوضع بالواقعيّة الخاصّة به.

في الثاني من حزيران أكدّ ديغول موقف فرنسة بأنّها لم تكن ملتزمة بأيّ استحقاق مع أيّة دولة وأنّ كُلاً من هذه الدول كانت تملك حق الحياة وأنّ الأمر الأسوأ سيكون المبادأة بالأعمال العدوانية وبناء على ذلك فإنّ الدولة التي ستكون الأولى، وحيثما يكون ذلك، في استعمال السّلاح لن تنال لا موافقة فرنسا أو بالأحرى والأولى: ولا دعم فرنسة. (نقلاً عن صحيفة ليموند تاريخ ١٩٦٧/٦/٣).

إنّ إدانة المعتدي مستقبلاً أثارت حفائظ بعض الأوساط في فرنسة.. الأوساط التي تشدّها مباشرة أو بشكل لا مباشر، روابط مع الصهيونيّة: روابط

التّبعية الماليّة لمؤسسات مصرفيّة متميّزة بنشاطها وغناها.. أم هي، بالتّالي، معارضة لسياسة الرئيس المعروف بكراهيته لعدوانية الإمبرياليّة الأمريكيّة.

إنّ زعيم الاشتراكيّة الفرنسيّة 'غي مولّيه' هذا نفسه الّذي كان رئيس وزراء عام ١٩٥٦، هو الذي كان على رأس قوة العدوان الثلاثي الإسرائيلي - الفرنسي - الإنكليزي على مصر حالما أمّمت قناة السويس.. غي مولّيه هذا وقف في تولوز وعلق بالطريقة التالية على موقف حكومة فرنسة:

'لا يمكنني أبداً أن أخفي دهشتنا وحزننا إزاء ما علمناه من التصريح الصادر عن ما انتهى إليه الاجتماع الأخير لمجلس الوزراء والّذي تأكّد لنا أنّ يد الجنرال ديغول بالذات هي الّتي سيرته.. وحتّى يلقّن ديغول درساً تابع غي مولّيه يقول:

'إنّ التقليد الجمهوري يقضي أنّ تبقى الدّولة دائماً ملتزمة بقرارات الحكومات المتعاقبة'

- السكرتير العام للاشتراكية الفرنسية (SEIO) كان يرغب بأن تستأنف فرنسة السير في الطريق الذي سلكته عام ١٩٥٦.

الناطقة بلسان SEIO، Lepopulaire عقبت على تصريح الحكومة الفرنسية الذي يُدين المعتدي أي الجهة الّتي تفتح النار أوّلاً، كتبت تقول إنّ المبادرة الّتي باشرها ناصر والرّامية إلى تطويق إسرائيل لم تلق الإدانة اللاّزمة.. وأنّه منذ بدء الأزمة، تواصل السّعي لخنق إسرائيل وتعدّدت الحُجج المقدّمة لتبرير هذه الجرائم.

إنّ الصحيفة اليومية للاشتراكيّين الفرنسيّين الّذين تلوثت سمعتهم كمدافعين عن الاستعمار الفرنسي في بداية حرب الجزائر أي في آونة كان زمام الحكم في فرنسة بيد الاشتراكيّين في ظلّ الجمهوريّة الرابعة، هذه الصحيفة كانت آنذاك، تنضمّ إلى المعركة المعادية للاتّحاد السوفييتي.. كانت 'لي بولولير' تعبّر عن أسفها لأنّ الاتحاد السوفييتي، وقت 'خَلَق' إسرائيل كانت واحدة من الدّول الكبرى الأكثر قرباً من هذه 'الدولة'. ونراها اليوم تنضمّ إلى معركة الافتراء والخدع.. كانت هذه الصحيفة تعبّر عن أسفها لعدم وجود ما هو أفضل

من بناء هذه الاتّهامات على وُجهة نظر غير معلّلة.. وبالتحديد على مقولة 'مؤامرة إمبرياليّة' وبعد أن كانت بين شهود المعركة المعادية للشيوعيّة، والتوسّل حتّى بالشّعوذة (الرجم بالغيب) ونهج الماكارثيّة، بدأ التعرّف على نوع جديد من العراك الموجّه ضدّ الأمريكان.

هذا الضّجيج الذي قاده الاشتراكيّون الفرنسيّون والذي وُظف في خدمة المصالح الأمريكية، شريكة المصالح والأهداف الصهيونيّة مع بعض الخصائص المنافية لأيّ منطق ونبرة التّصريحات إياها كانت أقرب ما تكون إلى أصوات أخرى فرنسية تلتزم بنفس النّهج.. في عدد ٣ حزيران من صحيفة Combat هاجم فيليب تيسّون 'حياديّة' ديغول في أزمة الشّرق الأدنى معلناً أن مثل هذا الموقف ليس مشرّفاً لا للحكومة ولا للجنرال ديغول وكلام الرّئيس القائل أن المعتدي هو من يفتح النّار أولاً يتأتى عن مبدأ خاصّ جداً في فهم الشّرف والعدالة..

ومن سلسلة الحملة الإعلاميّة التي ملأت صفحات الجريدة اليمينية 'ليغيفارو' يكفي أن ننقل الأقوال التالية:

-'يمكن أن نتصوّر المشاعر وحالات القلق لشعب يرى، يوماً بعد يوم، ما يُحشد حوله من ملازم القوى الّتي أقسمت أنّها ستخنق الدّولة التي أقامها هذا الشعب منذ ١٩ عاماً.. حالات قلق تفوق حدّتها ما يتزامن معها من عمل دبلوماسي رتيب وبدل أن ينزع فتيل الأزمة نراه يتخبّط وتراوح خطاه بشكل مأساوي.

أمّا صحيفة 'باري - جور' فتحاول تكوين رأي قرّائها بالإيحاء إليهم أنّ أكثرية الفرنسيّين، بصرف النّظر عن آرائهم وديانتهم، ومعتقداتهم، وقناعاتهم، هي ومن كلّ قلبها، إلى جانب دولة إسرائيل المهددة بالخطر وصحيفة 'لورور' اتّخذت موقفها النّشيط المعتاد في الحملة ضدّ الاتّحاد السوفييتي وقالت إن أزمة الشّرق الأدنى ستخفّض حتّى العدم الآمال التي يعقدها أصحابها على 'النّوايا الحسنة' الحالية للاتحاد السّوفييتي.

-' تسعير نار الحرب ضدّ إسرائيل' هذا كان العنوان لدى صحيفة "Express" (الاكسبريس).

أما صهاينة فرنسة فقد راهنوا على ورقة واحدة هي إجبار حكومة فرنسة على تبنّي موقف يكون لمصلحة إسرائيل.. فمن أين هذا الحشد الإعلامي المركز والخارق للعادة؟

جميع هذه الاستعراضات البيانيّة تم تشكلها في مجرى الأيّام الحرجة الّتي سبقت العدوان وفي نفس الوقت الذي فيه اتّخذت إسرائيل قرارها بشنّ غارة مكثّفة من طيرانها ضد البلدان العربيّة.. وفي نفس الوقت الّذي فيه تمّ إعداد قنابل النّابالم التي تنشر الرّعب في أوساط السّكان العرب.. كان ضجيج حملة الصحافة الفرنسيّة يبلغ أوجه ويحقّق بعض هدافه: - لقد حرّك لصالح إسرائيل، جانباً مهماً من الرّأي العام الفرنسي وخلق تيّار تعاطف وتضامن ومواقف وتظاهرات وديّة.. مفكر عقائدي فرنسي رئيس تحرير LES . TEMPS MODERNES 'لوزمان' كان جاهزاً لأن يصرخ في شوارع باريس 'يعيش جونسون' لأنّ جونسون يدافع عن إسرائيل.. غير أنّ كلّ هذا لم يحقق تأثيره المطلوب على الحكومة الفرنسيّة وبقي الجنرال ديغول يُصمّ أذنيه عن سماع كلّ هذه الجعجعة.

كان موقف الحزب الشّيوعي الفرنسي مختلفاً تماماً ففي صحيفته 'لومانيتيه' حلّل النزاع في الشرق - الأدنى في مناخ غير خاضع وخال تماماً من الفوحات الوبائية للدّعاية الصهيونيّة الأمر الذي جعل الحزب إيّاه هدفاً لهجمات تغذّيها البورجوازيّة الصّغيرة الفرنسيّة والرجعيّة الموالية لأمريكا.

كانوا يتّهمون الحزب الشيوعي الفرنسي أنّه اتّخذ موقفاً أملاه عليه 'ولاؤه لموسكو' في عدد الأوّل من حزيران لصحيفة "Com bat" كتب جورج فالانس، بعد الإقرار أنّ العلاقات بين إسرائيل وبين البلدان الاشتراكيّة تتدهور دون انقطاع وأن هذه الدولة موالية جداً لأمريكا، كتب يقول إنّ هذه الأسباب هي الّتي تفسّر لماذا غاب كليّاً تعاطف الحزب الشيوعي الفرنسي مع إسرائيل.. إلاّ أنّ هذا التفسير لا يعطي الشّرح الكافي لفظاظة رد الفعل لدى هذا الحزب وانضمامه

إلى الخطّ السّياسي السّوفيتي.. إذ يبدو أنّه كان يريد إعطاء البرهان بأنّ أزمة خليج العقبة تشكّل مشكلة ذات أهميّة أعمق مشكلة لا يستطيع الحزب فيها الأخذ بأيّ التزام حتى ولو أوجب ذلك الضرر بطموحاته الداعية للتقرّب من الاشتراكيّين.

الوزير الفرنسي السّابق كريستيان بينو' ثمّن في اليوم نفسه موقف الشيوعيّين الفرنسيّين على أنّه مناقض للتقاليد الوطنيّة الفرنسيّة التي قضت دائماً بالوقوف موقف الدفاع عن البلدان الصغيرة المهدّدة من قبل الدّول الكبرى المجاورة لها.. إنّ الطريقة الشّجاعة في تحليل وعرض الأمور من قبل الحزب الشّيوعي أثارت غضب البورجوازيّين الصّغار الباريزيّين وفيما يلي بعض العبارات التي كتبتها 'لومانيتيه':

- إنّ الدّعاية الغربيّة الّتي تسعى لإظهار إسرائيل على أنّها بلد فقير وصغير وبريء وتحت رحمة العلم العربي هي تزوير للحقيقة.. نحن نعرف وندرك أنّ وراء إسرائيل تقف الدول الإمبريالية العظمى: ففي عام ١٩٥٦ لم يكن بمستطاع إنكلترا وفرنسا أن تصفحا عن مصر لأنّها أمّمت قناة السّويس.. أمّا اليوم فها هي الولايات المتحدة الأمريكيّة التي لا تستطيع أن تقبل بسهولة اتّخاذ سورية ومصر موقفاً معادياً للإمبريالية.. وموقف مصر بالذّات جعل أطماع إسرائيل تجاه سورية مستحيلة التحقيق.. إنّ انسحاب قوّات الأمم المتّحدة بناء على طلب حكومة القاهرة لعب دوراً مهماً إذ شكل كابحاً للزّحف نحو العدوان (٢٤ أيار).. وكتبت الصحيفة الشيوعيّة أيضاً أنّها حتّى في موقف التّضامن هذا، من قبلها، مع حركة التحرّر الوطني للشّعوب العربية، لا تضع إطلاقاً وجود دولة إسرائيل موضع التساؤل بل هي تدين سياسة قادتها الحاليّين وهم يلعبون دور الأداة للإمبرياليّة.. وبسبب هذه السّياسة إيّاها تملأ إسرائيل في الشّرق الأدنى الدور المماثل لذاك الّذي لعبته في أوروبة 'ألمانيا بون' (٢٦ أيار) واستنتجت لومانيتيه:

-'إنّ حصار العقبة لا يهدّد وجود إسرائيل والمصلحة الحيويّة لإسرائيل هي الالتزام بالسّلام..'.

ونعود مع ذلك إلى الأحداث الّتي . - - نشوب الحرب وكانت تقترب حتماً.. في مقدّمة خط الجبهة الإسرائيليّة - الأمريكيّة التي تتخذ نطاقاً متصاعداً ومتميّزاً.. نجد، بين ٢٤ و٢٧ أيار - لا جونسون ولا إيبان - بل رئيس وزراء بريطانية هارولد ولسون.. مقابل رفض فرنسا الاستجابة للنداء للعودة إلى ما 'تعهّدت به الدول الثلاث العظمى' من أجل إسرائيل عام ١٩٥٢، تقدّم رئيس الوزراء البريطاني بمطالبه الأكثر تشدّداً وبعد عدّة أيّام (الخامس من حزيران أي يوم بدء العدوان) لم يكن من قبيل المصادفة أنّ الصّحيفة المعتدلة 'فينانشال تايمس' لفتت النّظر إليه هو ووزيره للشّؤون الخارجيّة 'جورج براون' بأنّه في هذه الأيّام، سينسى دوره 'كصديق للعرب' الّذي لعبه بمنتهى الجودة حتّى هنا، باعتباره أحد 'صقور' الحكومة البريطانيّة.. ومن باب الفضول دعنا نلاحظ أنّ رئيس وزراء بريطانيا لم 'يلبس ريش الصّقر' أثناء الأزمة الروديسيّة وأنّ الدّفاع عن مبادئ وقرارات الأمم المتّحدة لم يمنعه من أن يستقبل على جانب السفينة الحربية البريطانيّة "Tiger" العنصري 'إيان سميث' في حين كان سميث خارجاً على القانون حسب القانون البريطاني ومن جهة أخرى، في ٢٤ أيار، أعطى الدليل على حزم مدهش لما صرّح أن الحكومة البريطانيّة 'ستتمّي وتدع كلّ عمل دولي يرمي إلى تأمين حريّة الملاحة في خليج العقبة'.

وتحوّل ولسون إلى التهديد فأحاط الناس علماً أنّ 'إنكلترا لا تستبعد استعمالها لجميع الوسائل' وواضح أنّه يعني استعمال القوّة.. وكان رئيس وزراء بريطانية عازماً فعلاً على تحريك 'القوّات البحريّة' للعمل وبواسطتها يمكن اختراق السيادة على المياه الإقليميّة المصريّة ومنح إسرائيل، بالقوّة، حق الملاحة في مياه خليج العقبة. وبعد استطلاع دبلوماسي من قبل نائب الوزير البريطاني م.طومسن الذي كان يجري محادثات في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي مع سكرتير الدولة 'دين راسك' في ٣١ أيار. انتقل ولسن بشخصه لإجراء مشاورات في كلّ من كندا والولايات المتحدة وحال عودته تدارس مع جونسون وبرسون مشروع صدور 'بيان الدول البحريّة' في أوتاوا صرّح ولسون أنّ 'بريطانية العظمى كانت جاهزة لاستعمال جميع الوسائل' كي تؤمّن للسّفن الإسرائيلية حقّ الملاحة في مضيق تيران.. وأطلق جهاراً 'فكرة العمل البوليسي الجماعي'.

هناك عدد من حالات التّشابه والتّماثل بين مناورات لندن السياسيّة لعام ١٩٥٦ وتلك التي تجري عام ١٩٦٧ ، ففي ذاك الزّمن وأعني عام ١٩٥٦، دبّرت لندن، أيضاً ضدّ مصر عملاً دولياً مشتركاً أعطي شكل 'مؤتمر مستعملي (مُرتَفقي) قناة السّويس' مع مواصلة تصريحاتها بالوفاء للمبادئ والمواثيق الدوليّة.. لقد اتّبعت طريقتها المألوفة وقامت بتظاهرة قوّة بواسطة أسطولها البحري.. ففي آخر أيّار كانت حاملة الطائرات 'هرمس' تظهر في مياه البحر الأحمر في حين كانت حاملة الطائرات 'فيكتوريوس' والفرقاطة "RHIL" تتلقيان أوامر جديدة.. وكان موقف مُلفت من ويلسون، لمّا غادر مقرّ الأمم المتّحدة سُئل إذا كان يعتبر القرارات المتّخذة حالياً من الجمهورية العربية المتّحدة قرارات غير شرعيّة.. فضّل عدم الإجابة على الأسئلة إيّاها.

وفعلاً، كان من الصعب (خصوصاً على ضوء التّطور التّالي للسّياسة البريطانيّة في مسألة الشّرق الأدنى) من الصعب التفسير لماذا تمّ اتباع هذا النشاط العنيف للسياسة البريطانيّة في عكس الاتّجاه المفاجئ هذا؟ ربما يأتي الجواب عن طريق المذكّرات التي صدرت بعد أعوام من حدوث أزمة السّويس كما كان الحال في مذكرات الوزير البريطاني 'نوتنغ' : - أو لم يكن الزعماء العماليّون يتوقعون أنّ الحرب التي أقرّوا قيامها في البداية يمكن أن تنقلب ضدّ بريطانية بسبب إغلاق القناة؟

- أو لم يكونوا يحسنون التّقدير لما يكلف الإغلاق المذكور بريطانية العظمى وما يهدّد الجنيه الإسترليني من جرّاء ذلك؟

- يبدو أنّ الرهانّ في لندن كان منعقداً على 'الحلّ الشامل'؟ أي على سقوط ناصر وما ينجم عن ذلك من عودة وتزايد نفوذ وسيطرة إنكلترا على قناة السويس التي فُقدت عام ١٩٥٦..

- وحكومة كندا، من جانبها، برهنت على قيامها بنشاط فعّال مما اضطّر الحكومة المصريّة للمطالبة بتسريع سحب وإجلاء الوحدة الكندية في قوّات الطوارئ الدوليّة.. إجلائها من قطاع غزّة بسبب 'نشاطها المشبوه' وثمّة حدث أقلّ أهميّة ولكنه ذو خاصية متميزة جاء من الطرف اليوغسلافي (وقوّات الطوارئ

كانت تضمّ أيضاً وحدات يوغسلافية) لأنّه يوضّح الحالة جيداً: - لدى انسحابهم من أماكنهم قام الكنديّون بهدم وتدمير الأكواخ والأعتدة.. حطّموا الزّجاج، عطّلوا الأجهزة الكهربائية للتكييف والمواصلات وحطّموا الآلات الكاتبة..إلخ. فالخسائر في الأعتدة كلّفت الأمم المتّحدة مئات ألوف الدولارات. إنّ تلك الأعمال المفرطة في سوء الذوق من قبل مفارز ترتدي لباس قوّات الأمم المتّحدة وقبعاتها الزرقاء لم تُحدث أيّ صدى لدى الصحافة الغربيّة وتمّ إغراقها في طوفان الأنباء الإعلاميّة الأخرى.

لقد [illegible] - الصحافة البريطانية مكاناً هاماً لتصاعد الوضع في الشّرق الأدنى وسادت ما تكتبه نبرة عدائية ضدّ مصر وضد الاتّحاد السّوفيتي: - 'التايمس' تاريخ ٢٧ أيار نشرت مقالاً واسعاً عنوانه 'الحقّ بالخليج' وفيه حاولت تقديم البرهان على حقّ إسرائيل بخليج العقبة وإقامة الدّليل بحجج قانونيّة وبمقاييس مطّبقة دوليّاً على أنّ قرار القاهرة كان غير شرعيّ.. ومع ذلك، عبّرت عن رأيها الصحيفة اليوميّة اللندنيّة المحترمة، بعد ذلك بيوم، رأيها في المقال الأكثر رصانة الّذي نشرته 'ليموند' والذي فيه طرح القانوني الفرنسي 'ريمون دي غومز دي بارسيل' طرح المسألة المتميزة التالية: -'هل هناك ناظم قانوني موجود لخليج العقبة؟' وبعد أن استعرض الآراء المتناقضة من إسرائيل ومن مصر، كتب: 'إنّ الفقيه القانوني، مهما بلغت رغبته في خدمة قضيّة السّلام لا يستطيع إلاّ أن يؤكّد، إزاء قضايا من هذا النوع ومع غياب وجود اتّفاقات خاصّة، أنّ الحلّ لخلاف من هذا الشكل يُناط حله بالجهة الدبلوماسيّة وليس بالمحاكم لقضايا التنازع القانوني..'. ويؤكد القانوني الفرنسي بكلّ وضوح أن الناظم القانوني، لقضية خليج العقبة، كما هي معروضة في الغرب، ليس موجوداً أصلاً.

- وصحافة ألمانيا الغربيّة كانت تُسدي النصائح لإنكلترا، فمن وجهة نظر 'بون' لقد أزفت ساعة الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا.. ويجب أن يُناط بهما مباشرةً القيام بمهمة متميزة جداً عندما لا تقوم الأمم المتّحدة بممارسة مهامّها فعلاً.. هكذا كانوا يكتبون في جمهورية ألمانية الاتّحادية.. إنّ وظائف الدركي الدولي وسياسة الدركي الدولي التي تؤدّيها الإمبرياليّة الأمريكية وكذلك تطلّعات

السّاسة البريطانيّين لأن يلعبوا دور 'الصقور' وجدت فوراً تأييداً لها لدى أوساط معينة في بون.

طيلة الأيّام التي، فيها، كانت المسيرات المنظمة من قبل الصهيونيّين تجتاز شوارع نيويورك ولندن وباريس ولاهاي ومدن غربيّة أخرى.. وفي حين كانت الحملة المعادية للعرب تستمرّ وتتصاعد ضراوتها، كان تضامن البلدان العربيّة يزداد قوةً.. ووضعت الجيوش في حالة استنفار في كلّ من العراق والكويت والجزائر والسودان ولبنان وبلدان أخرى.. والعديد من البلدان العربيّة عبّرت عن دعمها للقاهرة ودمشق وأعلنت استعدادها لإرسال القوّات إلى منطقة التّوتر.. والهدف الأكيد من الإجراءات المذكورة كان تقديم الدعم السياسي والمعنوي للدول العربية المهددة.. مفارز من الجيش العراقي تلقت الأمر لدخول الأراضي السوريّة.. وقد استُغلّت كل هذه الوقائع في حملة الدعاية المعادية للعرب والّتي كانت 'اللازمة' لأنشودة: 'إعداد مئة مليون من العرب لتقرير مصير مليونين من الإسرائيليّين' وعلى مدار هذه الحملة تمّ استغلال التصريحات الداعية للحرب واللامسؤولة لبعض 'الزعماء العرب' كما أنّه، وطيلة هذه الأيّام التي نحن بصددها، أعلن ناصر مراراً: 'إذا شنّت إسرائيل الحرب فالعرب سيخوضونها ولا ينقصهم العزم على تدمير دولة إسرائيل'.. عدد من الجنرالات المصريّين، وبعض السياسيّين السوريّين، وكذلك الزعيم الفلسطيني أحمد الشقيري، كانوا لا يردّدون سوى الشطر الثّاني من تصريح ناصر مغفلين وناسين الصيغة الشرطيّة في الشطر الأوّل.. وهذا ما شكل الأخطاء الكبيرة المسيئة للقضية العادلة التي تسعى إليها وتستهدفها حملة السياسة العربيّة.. إنّ هدف السياسة العربيّة طوال الأيّام الأخيرة من أيّار، والأيّام الأولى من حزيران كانت الحيلولة دون العدوان المهيأ من قبل إسرائيل.. دون شنّ العمليّات العدوانيّة.. والعمل على تهدئة الحالة دون التنازل عن حقّ السّيادة أو الانتقاص من الحقوق التي تمّ اكتسابها بل استرجاعها مجدّداً.

إزاء التهديد المحدق أدرك ملك الأردن، حسين، أنّ الحالة تستوجب رصّ الصّفوف العربيّة فكان قراره الذهاب إلى القاهرة بتاريخ ٣١ أيّار.. رغم الخلافات في الآراء والمناظرات السّابقة مع ناصر، فبرهن بذلك عن شجاعة وعن

وطنيته.. وخلال هذه الأيام المشحونة بالتّوتر كان حسين يُدرك وهو يوقّع على اتفاقيّة الدفاع المشترك، أنّ الطريقة الوحيدة لصدّ العدوان المحتمل كانت، بالنسبة للعرب، الوقوف موقف الصلابة والثّبات والحزم.

هكذا فسّرت صحيفة 'الدايلي تلغراف' اليوميّة اليمنية اللندنيّة سفر حسين المفاجئ.. فكتبت في عددها تاريخ أوّل حزيران: 'الواقع أنّ هذا الشّاب الذّكي والمعتدل إذ اعتبر ضرورياً توقيع 'تأمين على الحياة' في القاهرة - إذا جاز لنا استعمال هذا التعبير - إنّما يدلّنا من أين تهبّ الرّيح؟ وهذا ما لا يلائمنا..'

- الوكالة الأمريكية 'آسوسياتيدبريس' أعلنت أنّ توقيع الاتّفاقيّة كان برهاناً جليّاً على التّضامن العربي الذي كنا نراه قبل شهر من الآن أنه إشكاليّ جداً. وكان طبيعياً أنّ 'بون' ستضيف 'حبّة الملح' الخاصّة بها فوكالة الصحافة (DPA) لجمهورية ألمانيا الاتحاديّة، نشرت تعليقها على الاتّفاقية الأردنيّة - المصريّة متوجةً التعليق إيّاه بعنوان متميّز: 'لقد أطبقت الكماشة العربية حول إسرائيل' وكتبت: -'لقد أ . - إسرائيل مطوّقة برّاً من الشّمال من قبل سورية المدعومة بقوّات عسكرية من الكويت والعراق.. ومن الشّرق من قبل الأردن الذي يهدّد إسرائيل ومساعداته بديهيّة من قبل العراق والعربيّة السعوديّة وكذلك من قبل الطيران المصري ومن الجنوب من قبل الجيش المصري تعاونه قوّات التحرير الفلسطينية ووحدات عسكرية من الكويت.. أضف إلى ذلك أنّ مصر تنتظر وصول الوحدات العراقيّة والجزائريّة'.

ويجدر بنا، هنا مقارنة هذا التصريح مع مثيله الذي نشرته الأسبوعيّة الإسرائيلية "Pryeg lad" التي سبق وأخبرت منذ ١٩٦٥، عن 'جولة ثالثة' في العلاقات بين إسرائيل وبين الدول العربية، كتبت أيضاً في ٣ آذار ١٩٦٥: 'إنّ المراقبين السياسيّين والعسكريين لا يستبعدون احتمال وقوع حرب إسرائيليّة - عربيّة.. ويؤكّدون أنّه إن لم تمارس الدول العظمى ضغطاً يمنع وقوعها فنشوب الحرب ليس سوى مسألة وقت فقط.. وبداية الأعمال العدائية منوطة فقط بوزير الدفاع ورئيس الوزراء ليفي أشكول الذين يملكان القرار إذا كانت ساعة العمل أزفت أم لا.. وكما هو المُستَنتج من هذه التّقديرات، فإننا نقترب من اللّحظة التي فيها يتطلّب الأمر اتخاذ قرارات ذات نتائج لا يمكن توقعها.. غير

أنّه، وقبل أن نفعل هذا، يتطلب الأمر إفهام العالم أننا نكافح من أجل هدف مشترك هو، بالنسبة لنا، مسألة حياة أو موت.. إنّ تهيئة الأرضيّة السّياسية بالقياس إلى الدّول العظمى وسواها من أمم العالم تعتبر واجباً أساسيّاً وضروريّاً وعلى دبلوماسيتنا أن تعمل حتّى تستوي في تحقيق ذلك قبل أن يُتخذ القرار المعاكس النهائيّ.

لقد استكملت الدبلوماسية الإسرائيلية القيام بمهامها والتعاقد المالي بين بون وإسرائيل أعطى ثماره.. وأوساط الإعلام الدعائية في بون وضعت نفسها، بكلّ اجتهاد وحماس وخدمة المصالح الإسرائيليّة Stuttgarter Zeitung كتبت في ٣١ أيار ما يوحي صراحةً بالعدوان: -المفاوضات التسويات.. كلّ هذا كلام لا يفهمه العرب.. ومن جانب آخر، إنّ مساعدة الدول الكبرى لم تكن يوماً كما هي الآن: غير مؤكدة.. أيّة حكومة.. أيّة أمة في هذا العالم قاطبةً تواجه مثل هذه الحالة ولا تفكر بقطع الشبكة قبل أن تصبح سجينتها تماماً؟'.

- 'فرانكفورتر نيوبريس' (٣١ أيار) قالت:

- 'بعد توقيع الاتّفاق المصري - الأردني، أُطلقت على الدكتاتور المصري في العالم كله تسمية الزّعيم الحقيقي للبلدان العربيّة في حين لا يزال القرار على الحرب أو على السّلام موجوداً فقط على حد سيف ناصر..'.

- "Handelablat" (٣١ أيار) قالت: 'أصبحت إسرائيل عرضة لأثقل الامتحانات وأشدّها بلاءً بسبب الاعتدال وطول البال..'

- إذا أخذنا قرار أوّل حزيران: - تقديم كمامات الغاز إلى إسرائيل ووصف القرار إياه أنّه 'مساعدة إنسانيّة' فإنّ حكومة 'بون' نفسها أخذت مكانها في صفوف أصحاب الحملة السياسية الدعائية في خدمة إسرائيل..

إنّ 'خدمة إنسانيّة' تتمثّل بكمّامات غاز لا يمكن أن تؤخذ إلاّ على محمل واحد معيّن: - إسرائيل هي الجانب المهدّد من قبل قوى جاهزة لاستعمال أسلحة محرّمة دولياً وبشكل هجومي عدواني.. ذاك كان المعنى الحقيقي لقرار حكومة 'بون' في إطار ما تدّعيه من 'حياد' في نزاع الشرق الأدنى.. إنّ اتّفاق آديناور بن غوريون الموقّع في 'وولدورف آستوريا في نيو يورك' استمرّ في أداء خدماته على

الصّعيد الدعائيّ حتّى بعد تنفيذ التزامات المنح المجّاني للسّلاح من قبل الجمهورية الاتّحادية الألمانيّة إلى إسرائيل.. المنح الّتي توسّعت بعد حين في إطار اتّفاقات عسكريّة جدية وقّعتها الدولتان.

يبدو لنا مناسباً أن نتوقّف طويلاً عند تصرّفات الشّريك الرئيسي لإسرائيل أثناء أزمة الشّرق الأدنى ونعني الولايات المتّحدة الأمريكيّة.. فبعد إعلان جونسون بتاريخ ٢٣ أيّار بموضوع 'عمليّة في نطاق منظمة الأمم المتّحدة ومن خارجها في آن' .. بعد هذا رأينا رئيس الولايات المتحدة وفريقه يلزمون الصّمت.. والمندوب الأمريكي لدى الأمم المتّحدة آرثور غولدبرغ صوّت ضدّ تأجيل اجتماع مجلس الأمن إلى وقت لاحق.. (وكان المطلوب انعقاده في غياب 'ثانت' بناء على طلب الدانمارك وكندا) وأثناء الاجتماع الذي انعقد لاحقاً بناء على مبادرة الجمهورية العربيّة المتّحدة اتخذ المندوب المذكور موقفاً متشدّداً لصالح إسرائيل.. وردّد غولد برغ - على مسامع من يريد سماعه - عبارات 'تعاطف الولايات المتّحدة مع جميع بلدان الإقليم' في حين كان مضمون سياسة الولايات المتحدة الأمريكية مغايراً تماماً.

- الناطق بلسان الإدارة المركزية 'ماك كلوسكي' وفي تصريح مختصر، حاول أن يخلق انطباعاً بأنّ السياسة الأمريكيّة ترمي إلى منع تفجّر النّزاع في الشّرق الأدنى.. وأنها تركز جميع جهودها، قبل كلّ شيء، في سياق الإجراءات التي تتابعها منظمة الأمم المتّحدة.. وكان يبدو، فعلاً، أنّ جونسون لم يكن يعلّق أيّة أهميّة على مشروع ولسون المعلن والخاص بفكرة 'الموقف المعلن للدّول البحريّة' .. علماً أنّه، ومنذ البدء، لم تجد الفكرة إيّاها صداها العملي الواسع.. والاتصالات التي جرت بشأنها اقتصرت على بعض بلدان حلف شمال الأطلسي:
- الدانمارك وهولندا وقّعتا مشروع التصريح وكذلك خمسة عشر بلداً أخرى من بينها أوستراليا وزيلندة الجديدة الجاهزتان لقبول مبدأ 'دبلوماسيّة البندقية والمدفع'

إنّ موقف العديد من بلدان العالم الكبرى، موقف الهند مثلاً، كان تأثيره أشبه 'بالدوش البارد' على المتوعدين 'بعمل بوليسي بحري' .. ففي تصريح رسمي

اعترفت الهند بأنّ خليج العقبة 'بحر داخلي خاص' رافضةً أي تفسير يكون مضيق تيران، بموجبه، ذا طبيعة دوليّة..

إنّ صمت الدبلوماسية الأمريكية، في الحقبة التي سبقت مباشرة الهجوم العدواني الإسرائيلي الذي اعتبر بمثابة دعم أكيد قدم لهذه الدولة، وكان برهاناً على أنّ المسائل الجوهرية بين واشنطن وتل أبيب قد سبق تنظيمها في المحادثات السرية للغاية التي أجراها وزير الدفاع الإسرائيلي آبا إيبان' مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

- ثُنائي 'المدح والرّدح' لعدوان إسرائيل، 'رادولف س. تشرشل وونستن س. تشرشل' أشارا في مؤلفهما 'حرب الأيام الستّة' إلى مسلك مقال 'أندريه كوبكند' المنشور في عدد ٩ حزيران من الأسبوعية 'ني ستاتسمان' وفيه تحليل للانعكاسات الأمريكيّة إزاء مجرى الحرب: -'إنّ المعلومات الخاصة بتفوق القوّات الإسرائيلية لم تكن مبالغاً فيها والرئيس جونسون كان يعلم أنه يستطيع السماح لنفسه بالابتسامة المنتظرة ويترك الباقي للجنرال دايان.. ووكالة الاستخبارات الأمريكية استطاعت هي أيضاً أن تنال رضى الرئيس جونسون..' (حرب الأيام الستّة - لندن - ١٩٧٦ - صفحة ١٥٩).

- 'ابتسامة مرتقبة؟' ما من شكّ أنّ يوماً سيأتي وفيه تظهر مذكرات تُلقي المزيد من الأضواء على مسألة الاتفاقات الأمريكيّة - الإسرائيليّة.. ولنبقَ الآن مع الوقائع المعروفة آنياً.

- في التحاليل العديدة المخصّصة للشرق الأدنى تمّ إبراز المقولة بأنّ العمليّة العسكريّة التي أجرتها إسرائيل في الخامس من حزيران كان يمكن أن تكون، حسب الزعم 'عملاً يائساً' أوجبه - كما يُستوحى - الفشل الكامل لمهمة الاعتراف بالجميل الدبلوماسية التي قام بها آبا إيبان، بين ٢٤ و٢٨ أيّار، إلى باريس ولندن وواشنطن وثمة محاولة للفت الأنظار إلى أنّ جونسون 'ترك إيبان ينتظر يوماً كاملاً قبل أن وافق على عقد جلسة معه في البيت الأبيض' الأمر الذي استدعى إيقاظ شعور بالشفقة والتعاطف مع إيبان ودولته؟

- ومع ذلك لابدّ من أن نتذكّر أن مثل هذا التصرّف كان يتمّ في نفس اللحظة التي فيها كانت تتحرّك وحدات خاصّة من الأسطول السّادس (وبصددها قال إشكول - قبل عدّة أسابيع - 'أنّ مهمتها كانت الدفاع عن إسرائيل..') كانت تتقدّم وتجول في شرقي البحر الأبيض المتوسّط ويترافق ذلك مع بعض مناورات الدبلوماسيّة الأمريكيّة ومع مقالات الصحف المنشورة في نفس الحقبة مبرهنة عن مزاعم بوجود تغيّرات في السياسة الأمريكية تجاه ناصر.. وفي القاهرة تمّ ترتيب وتنظيم 'حكاية تكذيب' (ولا شيء يُلفت أنظار الرأي العام مثل التكذيب) لتصريح سري قام به المكلّف بأعمال السفارة الأمريكية في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة. إنّه 'نيس NES' الذي، - أمام فريق من المندوبين الأمريكيين - عبر عن الرأي بأنّ:

'ناصر كان يملك الحقّ، أساساً، في مسألة خليج العقبة' وهذا الرأي جاء متناقضاً مع الموقف الرّسمي الأمريكي.. هذا التهرّب تمّ تنظيمه من قبل مكتب لندن لوكالة V.P.I وأحدث انطباعاً وتأثيراً في العالم أجمع..

- إنّ تصريح الرئيس ناصر في المؤتمر الصحفي تاريخ ٢٨ أيّار، وتحديداً في التمريرات المتعلّقة بالعلاقات مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لقيت تفسيرات إيجابيّة لدى العديد من الصحفيّين. ففي الأوّل من حزيران وصل إلى القاهرة الموفد الخاص للإدارة المركزيّة السّفير 'يوست' وباشر محادثات سريّة على أعلى مستوى ('يوست' غادر القاهرة على متن واحدة من آخر طائرات الخط الأمريكي في الرابع من حزيران) وقد أعطت سلطات الجمهورية العربيّة المتّحدة موافقتها، في فجر اليوم المذكور لحاملة الطّائرات الأمريكية 'أنتر بريد' للمرور في قناة السّويس وقامت التظاهرات الشعبيّة في بورسعيد والمدن الأخرى المطاولة للقناة وهذا ما كان متوقعاً إلاّ أنها أخذت مداها الضيق والمحدود نسبياً والمراسلون الأمريكيّون لاحظوا ذلك ووضعوه بأنّه 'جدير بالملاحظة'.

الاحتفال الرّسمي المقرّر لتقديم أوراق اعتماد السّفير الجديد للولايات المتّحدة الأمريكيّة لدى الجمهوريّة العربيّة المتّحدة 'ريشارنولتي' كان محدّداً في الخامس من حزيران السّاعة الحادية عشرة صباحاً وواشنطن أعلنت موافقتها على زيارة نائب رئيس الجمهورية العربية المتّحدة لها.. 'محيي الدين' يصحبه

مستشار الرّئيس للشّؤون الخارجيّة الدكتور محمود فوزي والموعد المقرّر للسفر إلى واشنطن كان السادس من حزيران إنّ الوقائع الآنفة الذّكر كانت برهاناً أنّ السياسة الأمريكية تطوّرت في هذا المنحى الذي قررته واشنطن والذي يُتيح تبادل وجهات النظر مع مصر' هل كان ذلك كلّه رهن الصدف ومجرّد تعبير عن 'تعاطف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مع البلدان العربيّة؟' أم هو على العكس من ذلك.. حادث عرضي مُمسرح.. مناورة دبلوماسية تغطي بستار من الدّخان استعدادات إسرائيل مسرحية بسيطة لمناورة كبرى خادعة يراد منها تأمين أفضل فرص النجاح للعدوان التوسعي (الإمبريالي) الإسرائيلي؟

إنّ تصرّفات الولايات المتّحدة الأمريكية، في مجملها، خلال حرب الأيام الستّة وطوال الحقبة التي عقبتها، يستوحى منها الجواب السلبي على السؤال الأول: من المؤكد أنها ليست مجرد صدفة أن يقوم جونسون بإحداث لجنة فرعية خاصة انبثقت عن مجلس الدفاع القومي للولايات المتحدة الأمريكية وفيها عين ولسون 'بوندي' المشهور جداً.. و'هلمس' رئيس C.I.A وماكنا مارا' و'والت روستوف' والعديد غيرهم من 'اللاّمعين الصقور' في واشنطن.. وهذا يعني ماذا؟

- فريق كامل من الشخّصيات التي تداولت السياسة الأمريكية وبخاصة تلك السياسة تجاه فيتنام وأمثالها من التوجهات الوحشية التي تهدد السلام العالمي.

لابدّ من استنتاج فكرة كون الولايات المتّحدة الأمريكيّة لم تكن فعلاً في سياق.. أو لم تكن تستعرض فعلاً ومباشرة مجرى الأمور وبأي اتّجاه تسير.. وماذا كان طور استعدادات آلة الحرب الإسرائيليّة؟ إنّ موجّهي السياسة الأمريكيّة لم ينطقوا بتحذير واحد ولا بأيّة إدانة لهذا النّوع من العسكر الإسرائيلي غير المنضبط غير المنظم لا قبل ولا خلال ولا حتى بعد العدوان الإسرائيلي.. وتحليل الأحداث يؤكّد حتماً أنّ حرب الشّرق الأدنى كانت حرباً أعلنتها الإمبرياليّة ضدّ القوى المعارضة لها في هذه المنطقة من العالم.. حرب كانت أداتها التوسعيّة الإسرائيليّة.. ولنذكر هنا بعض التصريحات للصحافة الأمريكية الصادرة في الأيّام الأولى من حزيران..

- الصحيفة الأسبوعيّة 'نـي ريبوبليك' كتبت في الثّالث من حزيران' ثمّة مبادئ أساسيّة يتوجب علينا أن نبقى أوفياء لها أولها هو كون ناصر هو منبع المرض'

وصحيفة 'ني ريبوبليك' هذه، ودون أن تقول أية كلمة حول ماهية وحقيقة السياسة الإسرائيلية في الشّرق الأدنى، ومع استعارتها نفس النغمة العامة للدعاية المعادية للعرب، تعطي نفسها هدف تكوين الرأي الأمريكي المتدثر بثوب المبادئ والقيم الليبيرالية، هذه الصحيفة تتابع: 'إن مرض الشرق الأدنى ليس الاشتراكية العربية بل هو 'الهاجس المخلّصي' لرجل واحد يريد، مهما كلّف الأمر، أن يلعب دور الزعيم' ثم، وحتى توحي الصحيفة إياها بوجوب الإطاحة بهذا الرّجل، تتابع: 'أمّا الثّاني من هذه المبادئ فيركز على فكرة أن الأمم المتمدنة تتحمل مسؤولية ضمان الوجود الإسرائيلي.. وليس ذلك، فقط، لأن إسرائيل أصبحت، في الشرق الأدنى، المثال للتقليد الإنساني المتجدد في القرن العشرين.. وإنما لأنها أيضاً، تتمثل الصفوة اليهودية والملاذ الآمن لهم بعد كلّ ما فعله العالم بهم وهذا الأمر يجب أن يكون غالباً على جميع الأمم المتمدنة..إلخ'.

مقابل هذا الزّهو والبُطلان لدى 'الليبيراليّين' الأمريكيّين طلعت علينا 'المسحة' الني - يوركيّة 'دايلي نيوز' .لتمارس، هي أيضاً، دورها بنفسها فصبّت جام غضبها على تركيّا لأنها أعطت موافقتها بمرور الأسطول السّوفيتي.

المتمركز في البحر الأسود، مروره عبر 'مضيق الدردنيل'.

'لنكفّ عن هذا الكلام الفارغ عن استحالة استعمال قواعدنا في تركيا ضدّ العرب.. لقد دفعنا لتركيا المزيد من المال ولنا كلّ الحقّ في استخدام قواعدنا كلما كان ذلك يبدو لازماً لنا.. ومع ذلك ليس على الأتراك أي التزام تجاه 'الكولونيل ناصر' وسيكون الأفضل لهم أن يبدأوا النظر من أين يأتيهم العون الحقيقي؟'.

- صحيفة 'كريستيان ميانس مونيتور' تاريخ الأول من حزيران، تؤنب جونسون: 'منذ بداية الأزمة الحالية عمل الرئيس جونسون كلّ ما بوسعه كي لا يجري دفعه نحو مواقف تلزمه أن يدافع وحده عن إسرائيل ويمكن التفكير، مع

ذلك، أنّ ثمة سياسة إيجابيّة يمكن أن تكون ضرورية.. وهذه فعلاً هي السياسة الّتي يدور حولها نقاش ساخن وراء الكواليس..'.

ومن جهتها 'الشيكاغو آميريكان' تاريخ اليوم نفسه، أضافت: 'يجب إعطاء البرهان لناصر ولحفائه أنّ الطريق الذي سلكناه في فيتنام لا يعطيهم فرصة الطغيان ضدّ الولايات المتحدة الأمريكية' - إسرائيل هي المسكينة.. العرب هم الأشرار الخبثاء.. ناصر هو الذي يهدّد.. الاتحاد هو الذي يمسك بيديه جميع خيوط النزاع المتأزّم.. احتمال المجابهة بين دول العالم العظمى.. ضرورة الدفاع عن الأمريكيّة.. هذه هي مجموعة الذرائع والأسلحة في المواضيع والأفكار التي تتناولها بالتفتيت وحتى الطحن الصحافة الأمريكية.. ومع كلّ هذا ما من أحد يفوه بأية كلمة حول ما يجري في إسرائيل.

'أرى لزاماً علي أن أقول هنا لجميع البلدان العربية، وبخاصة لمصر وسورية، إننا لا نتأهّب لأي عمل عدواني..' هذا الكلام نطق به رئيس الوزراء ليفي أشكول في ٢١ أيّار ورئيس الوزراء الإسرائيلي هذا كان يكذب عن علم كامل بالأمر وليست هذه المرة الأولى أو الأخيرة طيلة مرحلة التأهب لعدوان حزيران فالتصريحات الكاذبة أ . - مرتبطة كلياً بمخزون الوسائل المستخدمة قناعاً وستاراً لأهداف الضم والتوسع الإسرائيلية وحتى في الخامس من حزيران، وقت كانت كلّ آلية الحرب تزحف فعلاً، لم تتردد إسرائيل بالكتابة في رسالتها الرسمية الموجهة إلى ألكسي كوسيغني رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي، كتابة العبارات التالية: 'إنني أتوجه إليك بالسرعة الكلية بقصد لفت انتباهك إلى خطورة الوضع الذي استجد اليوم، فمنذ الساعات الأولى من صباح هذا اليوم ثمّة معارك تدور بين القوات المدرعة والجوية المصرية التي من حدود إسرائيل وبين القوات الإسرائيلية التي باشرت العمل بقصد ردع الخصم..' بين المناورة الخادعة والأخرى يرتكب قادة إسرائيل المزيد والكثير من الجرائم المماثلة..

في الأول من حزيران أعاد ليفي أشكول تشكيل وزارته.. انتقلت حقيبة الدفاع إلى الجنرال موشي دايان، في حين أصبح ميناحيم بيغن الرئيس السابق للتّنظيم الإرهابي المتطرّف 'إرغن زفاي ليمي' في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أصبح وزيراً دون حقيبة معيّنة..

".. إنّ تعيين دايان خلق في إسرائيل شعوراً بالانشراح ورفع معنويات الإسرائيليين بشكل ملحوظ" هذا ما قالته وكالة رويتر ":إن دخول دايان وبيغن، ممثلي الخط المتطرف، في الحكومة كان، بشكل ما، ناجماً عن صراع سياسي واسع داخل إسرائيل ومن نتائجه أنّ من يطلق عليهم اسم "حمائم" مثل إشكول وإيبان، اضطروا للانحناء أمام ممثلي النزعة المتطرفة الذين أوجبوا الانتقال إلى العمل لما اتضح أن الجهود الدبلوماسية الرامية إلى حمل الآخرين على قبول مطالب إسرائيل وبخاصة مسألة حرية الملاحة في خليج لعقبة قد فشلت.. "هذا كان منتهى الكذب والباطل" دخل دايان الحكومة لأنّ وزارة أشكول توصلت إلى خيارين لا يمكن اجتنابهما لا خيار لإسرائيل غير الحرب وحكومة إسرائيل بحاجة للحرب لأن الحرب "من موجبات الأمة اليهودية" وهي بحاجة إلى معرفة دايان، إلى شجاعته وإلى تيقنه وتفاؤله بالمستقبل.."

إقرأوا فيما يلي ما كتبه الأخوان تشرشل في مؤلفهما "حرب الأيام الستّة" وهذه الملاحظة، بقصد التحقّق، رافقتها مقارنة لا تنقصها قلة الذوق: "تماماً مثلما كان هتلر عام ١٩٤٠، هو الذي استدعى ترؤس تشرشل الوزارة البريطانية كذلك فإن ٨٠ ألف جندي مصري استدعى وجودهم دخول دايان الوزارة الإسرائيلية..".

والمؤلّفان البريطانيان، وقد سحرتهما شخصية دايان، جعلا منه الشخصية المميزة التالية: في مواجهة الأزمة، توجه شعب إسرائيل نحو رجل واحد هو الجنرال موشي دايان المنتصر في سيناء عام ١٩٥٦.. لقد كان الرجل الذي يدرك حقيقة الوضع ويستطيع تقويم هذا الوضع واتخاذ القرارات الضرورية لمواجهته.. وقرار دايان هل كان القتال أم الانتصار؟ إنه القرار المقبول بمنتهى القناعة والفهم العميق والكامل لدواعي الوضع.. دايان هو البطل القومي في إسرائيل وموضوع فخرها..".

ثمّة بريطاني آخر، هنري براندون، وهذا ما قاله في دايان: "والذي فاجأني وأدهشني أنّ الجنرال دايان، لدى النظرة الأولى إليه، يكون لدى الرائي انطباعاً أنه ضابط إدارة أعمال وليس جنرالاً يقود حرباً.. جسمه يبدو رفيعاً وسراويله تتهدل عند ساقيه والعصابة على عينه كبيرة جداً ورباطها مشدود جيداً..

ويحتاج من يقابله إلى تبادل الحديث معه حتى يستطيع اكتشاف وتقويم قوته، وقوّة شخصيته، ومزاياه كزعيم يقود الرّجال..' (صونداي تايمس ١٩٦٧/٩/١٠)

الصحفي النمساوي 'جورج سيباستيان' مؤلّف كتاب موالٍ لإسرائيل عنوانه ANATOMIE EINES SIEGES هذا الصحفي يرى، بعين أخرى، موضوع إعجاب وتقدير راندولف ونستن تشرشل:

بعد لقائنا الأوّل كان انطباعي أن هذا الرجل مغامر من خلقه.. إنّه مأجور ويقود جنوداً مأجورين ومن الطراز الأول.. وقبل مئة عام كان الأشخاص من هذا الطراز يجدون من يقلدهم التاج في الإمارات البلقانية.

منذ خمسين عاماً وأثناء الحرب الأهليّة الروسية، كان القادة من هذا النمط يفتحون شطر إحدى القارات أو يخسرونه ففي شيكاغو كانوا يقاتلون قطاع الطرق أو يوجدون بعضهم.. أما اليوم وفي أمريكا الوسطى فإنهم يصنعون الثورات أو يصفونها..'.

مثل هذا الرّجل وضع بين يديه مصير إسرائيل قبل العدوان ببضعة أيام، ففي يوم الأحد، الرابع من حزيران، أقسم اليمين في الكنيست كلّ من موشي دايان ومناحيم بيغن وجوزيف سافير الوزير الجديد الثالث المعين وزيراً دون حقيبة وفي غضون ذلك كان قد اتخذ قرار الحرب كما أن تاريخ الهجوم تمّ تحديده أثناء اجتماع الوزارة منذ الثاني من حزيران..

ومن بين الأساطير المختلفة حول العدوان الإسرائيلي القذر كثيراً ما نجد رواية تقول إن موشي دايان الّذي دعته إرادة الشعب قد حقق مأثرة تفوق قدرة وقوة البشر: لقد حقق وحدة الأمة والجيش ونظمهما ووضع ورسم المخططات وسار بالجميع إلى الانتصار بعد ثلاثة أيام فقط من حضوره في وزارة الدفاع وفي الملجأ التحت أرضي لمركز قيادة أركان الجيش الإسرائيلي'. كما أنّ عناصر الدعاية السياسية من الجنسين لكبريات الصحف الأسبوعية الغربيّة ظهرت صورهم مع دايان والعُصابة على عينه، ومثلهم كان المتعشقون لشعارات 'موشي' يبذلون المستحيل لترسيخ هذه القناعات في أذهان الرأي العام.

أمّا إلى أين وصل كلّ هذا؟ فمن بين البراهين المجيبة على السؤال إياه ثمّة نموذج خطّته ريشة المدعوة بربارة زون برغ بعد حرب الأيّام الستّة ونقلته رسالة من باريس إلى صحيفة يومية إسرائيليّة باللّغة البولونيّة (Nouviny kurier) ويصور على الشكل التالي انتصار 'البطل القومي الإسرائيلي' .

يقولون هنا إن موضة التنورة القصيرة (ميني جوب) ستستبدل فوراً باللباس الموحد للجنديات الإسرائيليات وهذا نهج جديد عمد باسم 'موشي' وهذا هو الانتصار الأخير في عهد موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي الذي عمت شهرته جميع أرجاء العالم ومن أجل تعميم هذا النهج شعبياً وضع ملك التصوير الشمسي للموضة في باريس 'غونار لارسن' بعرض عدة صور على سطح مقهى 'فلور سان جرمان دي بري' عدة صور لتمثال عرض الأزياء (M uquin) المشهور (Maud Ann) الذي كان قد ألبس 'الباتل دريس' (Battle Dress) والقبعة (Beret) والصندل على 'الطريقة السينائية (Ala Sinaii) ومعها طبعاً عصابة على العين للشمال.. ويبدو أن 'هوليوود' تبنى أيضاً 'موضة موشي' في فيلم 'صورة أم' (Betti Davis) وظهرت هي أيضاً (بالعين السوداء).

ليست بربارا زونبرغ الوحيدة التي دخلت هذه المتاهة،هناك تاجر برتقال من إسرائيل استخدم للترويج لبضاعته ونوعيتها لصاقات إعلان يرى الناس فيها صورة برتقالة عليها عصابة سوداء مكتوب عليها 'لا يُقهر'.

في الاتصالات العديدة المعلن عنها والمعمّمة بعد الحرب لوحظ أنه، رغم كون دايان عضواً نشيطاً في حزب 'رافي' الذي يشكل جانباً من المعارضة لحكومة 'ليفي أشكول' وكون العلاقات بين الجانبين السياسيين سيئة حصل دايان، قبل تفجر الأزمة بوقت طويل 'على إذن من إشكول بزيارة الوحدات العسكرية' الأمر الذي يعني، عملياً، مساهمة الجنرال الأعور النشطة في وضع المخطط النهائي والحاسم للعدوان.. وليس هناك أي شك بأن دايان كان يحول معرفته العسكرية إلى الضباط الآخرين وكان يصحح المخططات الموضوعية في الأعوام السابقة وأثناء زيارته لجنوب فيتنام وكان، فعلاً ينتحل في أسفاره صفة مراسل للصحيفة الأسبوعية الألمانية الغربية DER STERN والصحيفة اليومية الإسرائيلية

'معاريف' وكان ضيفاً على الجنرال 'ويست موريلاند' محتفظاً طيلة إقامته هناك، بحقه في ارتداء بزة الجنرال..

هذا المراسل من النّوع الخاصّ جداً، أولى كلّ اهتمامه لتأثير وفعالية النابالم ونستطيع الافتراض هنا أنّ إحدى نتائج اتصالاته مع أركان الجيش الإسرائيلي كانت تصحيح المخططات الموضوعة فعلاً لاستعمال هذا السلاح وذلك قبل العدوان بوقت قصير.

حتى اندلاع الأعمال العدوانية لم يقم الجنرال موشي دايان سوى بإعطاء تصريح واحد بصيغته وزيراً للدفاع الوطني وذلك أثناء المؤتمر الصحفي الذي انعقد في المبنى المسمي 'بيت سوكولوف' في تل أبيب الذي يوجد فيه مقر 'رابطة الصحفيين الإسرائيليين' فقدم دايان لممثلي الصحافة العالمية مقولة مهدئة فحواها أن الجيش الإسرائيلي لا يضع نصب عينيه أي هدف توسعي وأنه يتوجب إفساح المجال والوقت للدبلوماسيين' وقد قيلت كلماته هذه قبل الهجوم بثمانية وأربعين ساعة فقط أي لحظة بلوغ الاستشارات السياسية أوجها بخصوص الأعمال التي تجري فعلاً لدى مجلس الأمن.

وكانت مقولة دايان تتطابق تماماً مع نشاط الدبلوماسي الأمريكي 'يوست' في القاهرة وهدفها خداع العالم كله..

- بأمرٍ مباشر منه ذهب العديد من جنود وضباط الجيش الإسرائيلي لقضاء اجازاتهم.. كان السبت الأكثر هدوءاً في إسرائيل منذ بدء أزمة الشرق الأدنى' هكذا أبرق من تل أبيب جميع المراسلين الأجانب وهم يصفون الجنود المجازين يأخذون حمامات البحر أو يستمتعون بالراحة مع عائلاتهم..

إن الاستعدادات للانتقال إلى الهجوم قد استكملت فعلاً.. وسبق أن تم الاستشهاد وبمبررات العدوان.. ابن وحفيد رئيس وزراء بريطانية العظمى ونستن تشرشل أجازا لنفسيهما هذا السبق الصحفي وهما يتحدثان عن اندلاع عمليات العدوان: كما كان يفعل كاوبوى فار ويست القديم، لم تنتظر العدو كي يطلق نار مسدسه.. فكانت الأولى التي رأت بريق النار في عين ناصر.

والمحقق النمساوي إرنست تروست، الذي نشر في فيينا كتاباً عن حملة حزيران العسكرية الإسرائيلية وكان كتابه منذئذ مجموعة استثنائية من التضليل الإعلامي والاستخبارات واضحة الميل والغرض وجد من المفيد تبرير البدء بالأعمال العدوانية بهُزالة إسرائيلية هي التالي:

'أمريكي وإنكليزي وفرنسي وإسرائيلي تمّ أسرهم في إفريقيا من قبل أكلة لحوم البشر وكان مقدراً أكلهم أثناء وليمة.. ووعدهم ساحر القبيلة بالاستجابة لآخر ما يريده كلّ منهم وتنفيذه. فاختار الأمريكي صندويشة ساخنة مع كوكا كولا.. وطلب الإنكليزي قدح ويسكي وطلب الفرنسي امرأة عزباء أما الإسرائيلي فأعلن أنه يرغب بأن يتلقى ضربة رجل في مكان ما من جسده ودهش رئيس القبيلة لهذا الطلب ثم نادى أقوى رجاله المحاربين الذي وجه للإسرائيلي ضربة رجل قوية جعلت الإسرائيلي يدور حول نفسه مراراً في الهواء ثم يقع على قدميه وفجأةً شهر مسدسين وقتل رئيس القبيلة وأتباعه.. وهرب أكلة لحم البشر الباقون بكل ما يملكون من السرعة.. هنا تحلق حوله كلّ من الأمريكي والإنكليزي والفرنسي وراحوا يسألونه لماذا لم يطلق النار قبل ذلك الحين على أكلة لحوم البشر فأجاب مبتسماً:

'نحن الإسرائيليين لا نقاتل إطلاقاً عدونا قبل أن يبادئنا هو بالهجوم' (كتاب تروست 'داود وجليات').

- لا المندوب الأمريكي آرثور غولدبرغ ولا الوزير الإسرائيلي للشؤون الخارجية قصا هذه الحكاية على أعضاء مجلس الأمن أثناء جلسة دامت ١٢ ساعة في الخامس من حزيران قدما فيها مجموعة من الحجج لتبرير العدوان الذي ارتكباه لتوّهما.

ستّة أيّام حرب

في الخامس من حزيران، ١٩٦٧ السّاعة الثامنة والنصف بالتوقيت الإسرائيلي، أعلن الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي النّبأ التالي:

منذ صباح هذا اليوم دارت معارك ضارية على الجبهة الجنوبية بين القوات الجوية المصرية التي هاجمت إسرائيل وبين قوّاتنا التي دخلت المعركة لإيقاف المعتدي لقد استخدموا مرة جديدة أيضاً الأسلوب القديم للمعتدين: إلقاء مسؤولية البدء بالعدوان على المعتدى عليه.

هذا الكذب الأكيد الصادر عن النّاطق بلسان جيش إسرائيل تكرر بعد ذلك من قبل ليفي أشكول في الرسالة التي سبق ذكرها والموجهة إلى رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي أليكسي كوسيغين، كما تكرر من قبل سفير إسرائيل في باريس أثناء مؤتمره الصحفي في الخامس من حزيران.. وفيما يلي شرح كاف لكلّ ذلك قدمه، في ١٩ حزيران، فلاديسلاف غومولكا السكرتير الأول للجنة المركزية P.O.O.U في خطابه الذي ألقاه في وارسو بمناسبة المؤتمر السادس للنقابات:

في رسالة تاريخها الخامس من حزيران، أي يوم بدء العدوان، توجّه ليفي أشكول، رئيس وزراء حكومة هذه الدولة، إلى رئيس مجلس وزراء حكومتنا (بولونيا) الرفيق ج. سيرانكييفتش برسالة لا فائدة من أن نعيد هنا نص محتواها المتبجح والوقح والذي فيه يحاول أشكول بتبرير عدوان إسرائيل وفيه أيضاً لم يتردد في خداع الحكومة البولونية في رسالة رسمية (نقلاً عن تريبونالودو

٢٠/٦/١٩٦٧) هذا الخداع كان ضرورياً لإسرائيل لأهداف ملموسة وواقعية جداً فالأمر كان يتطلب ربح بضع ساعات وربما يوماً كاملاً فقط من أجل تأخير التدخل المحتمل من قبل الأمم المتحدة.. فالوقت في الحالة إياها مسألة موت أو حياة من أجل الإسرائيليين/ ولنقرأ هنا، الصفحة ٩٣ من مؤلف آل تشرشل: إنّ أكثرية أعضاء الوزارة الإسرائيلية كانت في حالة فزع من وقف إطلاق النار المرتقب والسابق لأوانه لأنهم كانوا يحفظون جيداً في ذاكرتهم الذكريات السيئة لعام ١٩٥٦ فموقف الضغط من قبل الولايات المتحدة المجلبب بالخزي والعار أدى إلى هزيمة البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين في حين كان الانتصار على بعد ساعات معدودة.



قوى العدوان تجتاز شبه جزيرة سيناء



طائرات إسرائيلية تحلق فوق قناة السويس



الجنود الإسرائيليون ينتزعون عن سابق تصور وتصميم أحذية الأسرى من الجنود المصريين.



ممارسة المعاملة المذلة للأسرى المصريين أثناء سوقهم، وأيديهم فوق رؤوسهم، إلى معسكر العريش (١٩٦٧/٧/٨).

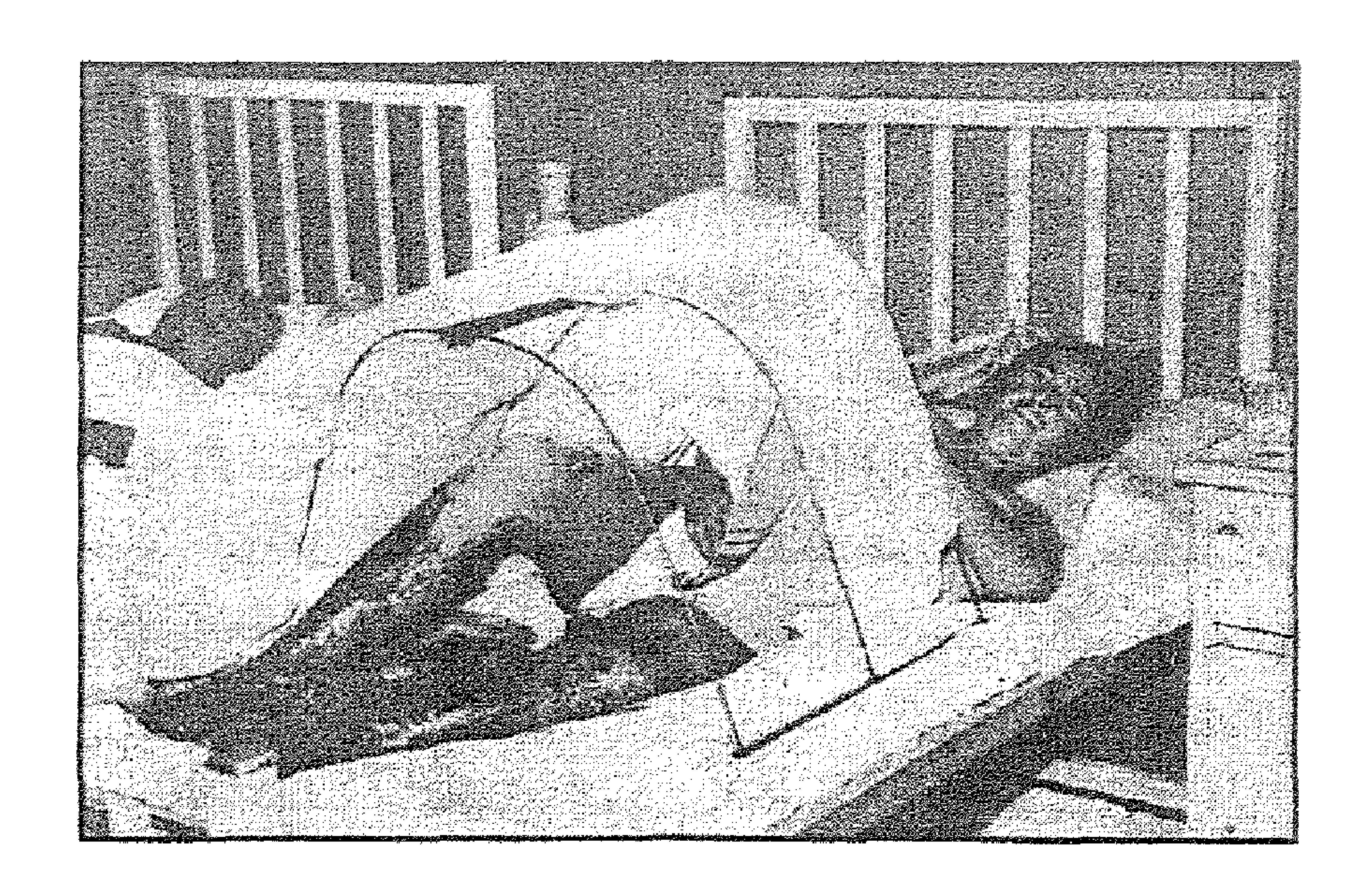


الجنود الإسرائيليون يطلقون النار على الأسرى الأردنيين بعد أن أعلنوا استسلامهم.



سكان لا يجدون من يدافع عنهم فالنساء والأطفال ضحايا النابالم

المستعمل من قبل العدوان الإسرائيلي



أمّا هذه المرّة فلا يوجد أي شيء يدلّ على أنّ الولايات المتحدة كانت تنوي أن تجبر إسرائيل على فعل أي شيء بل الوضع يؤكّد ما هو عكس ذلك تماماً فقوى الدعاية الإمبريالية والصهيونية أخذت دون تردد بوجهة النظر الإسرائيلية: كان 'صوت أمريكا' طوال الأربع وعشرين ساعة الأولى، يتابع في أقسام أخباره أن يضلل سامعيه وهو يردد في صدر نشراته نفس ما تقوله إسرائيل.. كما أنّ "B.B.C" لم تذهب إلى أبعد مما فعل صوت أمريكا واكتفت بإعلام مستمعيها في العالم أجمع أنّ 'الفريقين يتبادلان الاتهام بالبدء بفتح النار والهجوم' وجميع الصحف التي تعتمد على "B.B.C" رددت نفس المقولة إلى ما بعد الظهر إلى المساء والصحيفة اليومية الباريسية الواسعة الانتشار 'فرانس سوار' التي ينشرها المليونير المؤيد للصهيونية 'لازايف' ظهرت بعنوان كبير على كامل عرض الصفحة الأولى: 'مصر هاجمت إسرائيل' ومن جانبه، كتب 'روجيه ماسيب' في 'لوفيغارو' بتاريخ السادس من حزيران 'أن القوات الإسرائلية تحركت على أساس القول الموثوق من قبل الاستخبارات والذي يدل على أن عملية حربية مصرية كانت تجري فعلاً: إطلاق نيران المدفعية الثقيلة فوق الحدود الإسرائيلية - المصرية.. وتقدم قوات جوية كبيرة كشفتها شبكة الرادار الإسرائيلية. وهناك رجل ـ . الشك أنه يجهل الحقائق هو الشيخ 'ديركسن' الزعيم الجمهوري في مجلس شيوخ الولايات المتحدة تحدث عن 'مصاعب في تمييز الصواب من الخطأ في الوضع وفي انعدام الثقة بالجانب المسؤول مباشرة عن البدء بالأعمال الهجوميّة'.

بين وقت وآخر ومنذ السّاعات الأولى من BILTZKRIEG الجوّي وحين كان طيران الجنرال موردخاي هود يوجه ضربات مدمّرة للقوّات الجوية المصرية وكانت جميع الوسائل الفاعلة لآلية الدعاية المتحيّزة تتابع إيقاظ المشاعر المتعاطفة مع إسرائيل كانت الدول الكبرى تتخذ موقفاً من موضوع أحداث 'الشرق الأدنى' فالناطق بلسان إدارة الدولة 'ماك كلوسكي' أعلن أن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى 'محايدة فكراً وقولاً وفعلاً' تجاه النزاع. وهذا الموقف المعلن كان مخالفاً تماماً للمبادرات الحقيقية والواقعية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ويتوجب انتقاده فوراً ثمّ تصحيحه.. وبعد عدة ساعات فقط بدأ الناطق بلسان البيت الأبيض، كريستان' مسلكاً صعباً في إقامة الحجة: فأكد أنه

'إن لم يكن هناك التزام مباشر في النزاع فالخيار الوحيد يبقى الحياد' وأخيراً استأنف سكرتير الدولة نفسه 'دان راسك' الكلام شارحاً من موقع المسؤولية أنّ 'الحياد لا يعني اللامبالاة'.

ما الذي قرره رئيس الدبلوماسية الأمريكية لمواجهة مثل هذه التظاهرة لأن 'دان راسك' عضو لامع في فريق جونسون ومعروف بما اعتاده من إطلاق تصريحات في منأى عن الحقيقة؟ هذا العامل كان ضغط القوى الصهيونية وتلك التي سممتها دعاية القوى إياها.

نيويورك تايمس قدرت بصراحة الموقف الرسمي للناطق باسم السياسة الأمريكية وأعلنت تحققها من أن الموقف إياه مستغرب إذا أخذنا في الاعتبار الالتزامات والمصالح الأمريكية في هذه المنطقة من العالم.. فالفريقان معاً سيكونان مهددين إذا ارتكب الخطأ الإضافي وهو الاقتداء بفرنسة وتعليق المساعدة العسكرية.

نيزويك أعلنت في نفس السياق أن الرئيس جونسون 'انفجر' لما أخذ علماً بتصريح إدارة الدولة وأمر راسك بتصحيح هذا الموقف.

وزير الشؤون الخارجية البريطانية العظمى جورج براون أعلن بعد ظهر الجمعة في مجلس العموم أنّ حكومته لا تبدي رأيها بخصوص أي من الجانبين فيما يتعلق بالنزاع القائم حالياً وليس في نيتها القيام بأي بحث عمن يتحمل المسؤولية. وموقف براون هذا مخالف للالتزام المتحيز والصارخ السابق.. موقف بريطانية العظمى إلى جانب إسرائيل ولأول مرة منذ بداية أزمة الشرق الأدنى لا تتبنى لندن موقفاً متطابقاً مع موقف واشنطن، وفي هذه الأيام المليئة بالتوتر العصبي لم يول أحد انتباهاً لهذه الواقعة.. إنّ بريطانية التي كان لرجالها السياسيين مساهمتهم البارزة في تفاقم واستفحال الوضع تفهمت النتائج والتوقعات المحتملة وبدأت خطواتها التراجعية..

خلال هذا اليوم لم تقم الحكومة الفرنسية بأي تصريح رسمي (كان على وزير الشؤون الخارجية كوف دي مورفيل أن يقوم بهذا في السابع من حزيران فيعلن مبدأ 'الحياد الفعلي NEUTRALITE ALTIVE' الذي اعتبره المراقبون بمثابة

'موقف ذي صبغة موالية للعرب' إلاّ أنه، ووفقاً للموقف السابق تبنيه والذي يحدد المعتدي بأنه البادئ بعمليات الهجوم، أوقف تزويد إسرائيل بالأسلحة.

إنّ هذا الموقف من قبل الحكومة الفرنسية قد أثار الاعتراضات في العديد من الأوساط والمراكز الموالية للصهيونية: المعلق الفرنسي 'إدوارد سابلييه' أعلن في السابع من حزيران، في التلفزيون البريطاني، أن ما من شك إطلاقاً بأن الموقف الحالي لحكومة فرنسة ليست له علاقة إطلاقاً مع الموقف الذي اتخذته حكومة 'موليه' عام ١٩٥٦ وأن هناك فجوة محسوسة بين الموقف الرزين المتعقل للجنرال ديغول والموقف المتعاطف بقوة من قبل ٩٠٪ من الأمة المؤيد لحق إسرائيل في الوجود.

وهناك تصريحات أخرى أعلنها الفرنسيّون المؤيدون للصهيونية: كتبت 'كومبا COMBAT) أنه لم يكن أمراً جوهرياً معرفة من الذي أطلق النار أولاً ففي حين أن جماعات من قدامى أنصار (الجزائر الفرنسية) لا يكفون عن الظهور في شوارع باريس، نجد معظم الرموز القدامى جعلوا، بضجيج كبير برنامجهم اليومي، رفع شعار 'ستنتصر إسرائيل' وجعله مألوفاً لدى جماهير الشعب.. هذا.. التحالف لا يضم فقط الفاشيين الفرنسيين الذين يتظاهرون متخاصرين في شوارع عاصمة فرنسة وكذلك في مدن أخرى من البلاد مع التجمعات الصهيونية بل يضم أيضاً قادة من الوسط البورجوازي.. إن السكرتير العام M.R.P جوزيف فونتانيه، كان يعلن: إن حكومتنا لا تستطيع الانفراد بموقف حيادي، في حرب كان تحمل مصر مسئوليتها أمراً لا يقبل الجدل.. كما أنّ زعيم المحور الديمقراطي جان ليكانيه، من جانبه أكد: 'أنّ الحياد ليس أمراً ممكناً أو محتملاً' أما 'غي موليه' الذي لا يعرف الكلل فقد قارن، في مجرى النقاش البرلماني بتاريخ ٨ حزيران، بين موقف ديغول من إسرائيل وبين موقف فرنسة عام ١٩٣٨ لما تخلت عن تشيكوسلوفاكية وتركتها فريسة للخطر الفاشي: ثمة مطابقة لم تحصل في أي مكان سوى فرنسة.. مطابقة بين معركة تمت المبالغة في تضخيمها بحجة 'إنقاذ إسرائيل' وبين اهتمامات السياسة الأمريكية المؤدية لإلحاق الأضرار بالمصالح الوطنية لبلدهم بالذات.

إن الحسابات التي سبق أن لحظها إدوارد سابلييه، أي ٩٠٪ من الأمة الفرنسية الذين يكلون الجانب الذي تم تخيله عن سابق تصور وتم تكذيب ذلك من قبل وكالة رويتر نفسها التي نشرت في الثامن من حزيران نتائج سبر للرأي العام الفرنسي ونجم عنها أن ٥٩٪ من المواطنين الفرنسيين يؤيدون موقف الحياد للحكومة في حين أن ٢٣٪ لم يعربوا عن أي رأي بهذا الخصوص.. و١٦٪ فقط من المواطنين الفرنسيين - حسب السبر المذكور - يطلبون التزام فرنسا بالوقوف إلى جانب إسرائيل.

إن موقف الحكومة الفرنسية من موضوع الشرق الأدنى قد لقي الدعم من قبل النقابات (C.G.T) وكذلك من الحزب الشيوعي الفرنسي والصحيفة الناطقة باسمه 'لومانيتيه' كشفت القناع، في ٦ حزيران عن أكاذيب قيادة جيش إسرائيل حول البدء بعمليات الهجوم والمزاعم أن الرادار أثبت كون طائرات مصرية تتجه نحو إسرائيل ونشرت هذه الصحيفة اليومية تصريحا .. لوالديك روشيه' وفيه يطلب من سكرتير عام الحزب الشيوعي الفرنسي تحقيق تسوية سلمية تأخذ بالاعتبار الوجود الإسرائيلي وحقوق الشعوب العربية ومن ضمنها حقوق العرب الفلسطينيين ونشر الاتحاد السوفييتي، في الخامس من حزيران، تصريحا نقرأ فيه ما يلي: تفجر نزاع عسكري في الشرق الأوسط وسببه النهج المغامر لقادة 'إسرائيل' بتشجيع من بعض الأوساط الإمبريالية..

لقد دفعت إسرائيل إلى هذه الأعمال الخطرة من قبل قادة يتابعون التأكيد أنهم يتابعون النزاع الرامي لتثبيت وجود إسرائيل باعتبارهم دولة.

وعليه، فإن أي شيء يمكن أن يكون سببا لهدم أسس النمو والوجود الحقيقيين لدولة إسرائيل يعتبر الخط المهيج للسياسة التي تتبناها أوساط القيادة الإسرائيلية في الوقت الراهن.

على ضوء أحداث حزيران وتصاعد الحالة الناجمة عنها يحتفظ هذا القول بكل جديته، ففي مجرى الأيام التي تلت الخامس من حزيران تطورت الأحداث في طريقين مختلفين: فعلى الجبهة يزداد سعير المعارك العسكرية في

حين تتصاعد ضراوة المعركة السياسية في مقر منظمة الأمم المتحدة.. وصار من الصعب أن نحلل هنا، على نطاق أوسع، التطور المتصاعد للمعارك العسكرية فمن وجهة النظر العسكرية الدقيقة سبق تحليل حملة سيناء من قبل خبراء ينتمون لعدة بلدان.. فالجنرال السويسري 'إرنست أوهلمان' لفت النظر في "NEUE ZURIEHER ZEITUUG" أنه، وفق قاعدة الانتصار العسكري، تأكدت القابلية الحركية للوحدات الإسرائيلية.. وفي 'باري - ماتش' نجد الجنرال 'بوفريه' القائد السابق لهيئة أركان الحملة الفرنسية في عدوان السويس عام ١٩٥٦.. نجده يتابع تحليله للعمليات العسكرية.

في جريدة 'غارديان' البريطانية درس معلقها العسكري في مقال عنوانه 'غير مؤهبين لممارسة الحرب' درس الهزيمة العربية.

الأسبوعية الأمريكية "AVIATION WEEK" ركزت على فاعلية الطيران الذي أظهر كونه العامل الحاسم الذي لم يسمح للعرب أن يردوا على العدوان.. وفي عموم الحالات تمّ لفت الانتباه بقوة إلى فاعلية نشاط مؤسسة المخابرات والجاسوسية الإسرائيلية 'شين بيت' فالمؤلف البريطاني سيفتن ديلر لاحظ أنّ 'شين بيت' كانت تعتمد اعتماداً واسعاً جداً على التعاون مع عناصر مؤسسات تجسس أخرى وبخاصة مع أشخاص من أصل يهودي.

بشكل عام، وباستثناء الجنرال أوهلمان، تحاشوا تحليل وجهات النظر السياسية للمسألة مركزين انتباههم على وجهها العسكري ولا يتخذون موقفاً محدداً مما يتعلق ببعض المشاكل ومنها، مثلاً، البدء بالعمليات العسكرية من قبل إسرائيل أو الأساليب والأنماط لتي طبقت أثناء هذه الحرب.. وعبروا عن إعجابهم بمعنويات الجيش الإسرائيلي، ومستوى إعداده للمعركة وخططه الستراتيجية والنتائج المحققة من قبل جهازه التجسسي وكذلك صفات قيادته.. هؤلاء المؤلفون المذكورون حاولوا الالتزام بتحليل دقيق للأحداث.

لقد حدثت الحملة العسكرية على الشكل التالي:

في الموقع الأول كان هجوم طيران إسرائيل على ١٢ قاعدة طيران في أراضي الجمهورية العربية المتحدة وتوصل هذا الهجوم إلى تدمير جانب مهم من

قوى الطيران المصرية.. تدميرها على الأرض. وخلال اليوم الأول للحرب ترافقت الهجومات المذكورة بهجومات مماثلة على المطارات العسكرية للبلدان العربية الأخرى..

وبلغ عدد المطارات العسكريّة التي شملها القصف الإسرائيلي ٢٥ مطاراً ومنذ شهر حزيران هذا بدأ الكلام عن استعمال إسرائيل لنوع جديد من القنابل لم يكن معروفاً من ذي قبل.. وظل مجهولاً حتى شهر كانون الأول وفيه نشرت المجلة البريطانية المتخصصة بالطيران "FLIEEHT" معطيات عن القنبلة إياها المسماة 'القنبلة الخارقة للأسمنت' التي يجري قذفها على ارتفاع قليل.. تقذفه طائرات (AREIACTION) تمتلك نظام توقيت يؤخر وقوع القنبلة (محرك ومظلة) التي تدمر مدرج الإقلاع.. وقد تم صنع وإنتاج هذه القنبلة في إسرائيل.

بعد أن وضع خارج المعركة معظم قوى طيران الخصم انتقلت إسرائيل إلى الهجوم على أرض سيناء وتم ذلك على ثلاثة اتجاهات وانتهت هذه الحملة بالنجاح في الثامن من حزيران.. ووحدها فرقة من القوات المصرية مع عتادها نجحت بالوصول إلى الضفة الغربية من قناة السويس والهجوم الكثيف الذي شن على الأردن بعد انكسار الجبهة المصرية في ٦ حزيران حقق هدفه في الانتصار بعد يومين من بدايته.وبعد الاستيلاء على القدس في السابع من حزيران أي في اليوم الثاني بلغت قوات المعتدي الخط الذي يشكله نهر الأردن.

بعد ذلك استدارت القوّات الإسرائيلية ضدّ سورية.. وفي التاسع من حزيران استولت على خطوط الدفاع السوريّة في هضاب الجولان وبالرّغم من النداءات المتكرّرة من قبل مجلس الأمن استمرّت الهجمات حتى العاشر مساء. وكثر الكلام في العالم أجمع عن الاستقلاليّة الكبرى وحريّة التصرّف المعطاة أو المتروكة لقادة الجيش الإسرائيلي ومزاعم المتكلّمين أنّ هذا كان مصدر النجاحات المحقّقة.. وأنه البرهان على عدم وجود مخطط عام سابق للعدوان 'لدى بلد يلتزم حالة الدفاع؟ لقد كشف القناع عن هذه الأكذوبة من قبل الأخوين 'تشرشل' من حيث لا يريدان كما يظهر. في مؤلفهما عن حرب الأيّام الستّة، يستشهدان بالتصريح 'المتعنتر للجنرال 'عيزروايزمان' قائد عمليّات الجيش الإسرائيلي وفيه يعلن لنا: 'كانت لدينا خطط حتى لفتح القطب الشمالي' ومن جانبه (ص ٦٥)

أعلن الجنرال مردخاي هود قائد الطيران وهو يتحدث عن الاستعدادات الحربية الإسرائيلية أن إسرائيل تقوم بها منذ ١٦ عاما: 'كنا نعيش مع المخطط.. ننام معه.. نأكل برفقته.. ونحسنه دون انقطاع' (ص ٩١).

وقبل أن نقدم التصريحات التي أثارتها وأحدثتها الحملة العسكرية الإسرائيلية ثم الأحداث السياسية التي راهنت عليها وتزامنت معها نلحظ العبارات الموجزة وتواريخ نداءات الأمم المتحدة (وهذا هو الأهم) التي تطالب بوقف القتال بل توجب وقفه.. فقد تعذر التصويت على القرار الأول في نفس يوم اندلاع الحرب أي الخامس من حزيران.. وأرجئ التصويت إلى اليوم الثاني أي السادس منه.. وكان القرار يطلب: 'على جميع الحكومات المعنية أن تتخذ حالا جميع الإجراءات من أجل وقف إطلاق النار وإيقاف جميع العمليات العسكرية'.

والقرار الثاني بمضمونه المشابه تم التصويت عليه يوم السابع من حزيران الساعة ٢٠ (GMT).. ولأن الأعمال العدوانية ظلت متواصلة ضد سوريا، تم التصويت على قرار ثالث في ٩ منه.. أخيرا وفي ١٢ حزيران أقر مجلس الأمن قرارا من أربع نقاط تأمر الرابعة منها بالانسحاب السريع لجميع القوات التي تجاوزت المواقع المحتلة في الساعة ١٦,٣٠ (GMT) من يوم العاشر من حزيران ١٩٦٧. أي من هذه القرارات لا يدين العدوان.. أي منها لا يأمر المعتدي بالانسحاب إلى الخطوط التي كان يحتلها قبل الخامس من حزيران.. وظلت مستمرة ومتصاعدة وأكثر قوة وفاعلية الدعاية التي أطلق لها العنان قبل العدوان حرصت الأوساط الصهيونية على استمرارها حتى تعطي العمليات العسكرية الإسرائيلية كل ثمارها كذلك اشتدت وتزايدت الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية على منظمة الأمم المتحدة، فرئيس الولايات المتحدة قدم البرهان على ذلك في السادس من حزيران، لما طمأنته دائرة مخابراته بأن العدوان من وجهة النظر العسكرية، قد حقق نجاحا، اعتبر أن التصويت على قرار منظمة الأمم المتحدة الأول.. اعتبره جونسون في تصريح له أنه 'الخطوة الأولى نحو حقبة سلام جديدة وازدهار في الشرق الأدنى'.. وتابع قائلا: 'هذا هو الهدف الذي نسعى إليه جميعنا'. دون أن يعود إلى تصريحه في الثالث والعشرين من أيار الذي يتحدث عن 'إدانة للعدوان'.

استعمل ممثّل الولايات المتّحدة الأمريكيّة لدى منظّمة الأمم المتّحدة 'آرثور غولدبرغ' دائماً ودون انقطاع مخارج وتعابير ديماغوجيّة حول 'الحرّيّة والعدالة' القصد منها نسف جميع المحاولات الرّامية لحمل المنظّمة على تبنّي قرار يصدره مجلس الأمن ويقضي بانسحاب القوّات المعتدية، وفسّر الموافقة على قرار وقف إطلاق النّار على الشّكل التّالي: 'الآن علينا أن نعزّز السّلام'.

في الثّامن من حزيران أكّد جونسون اقتناعه 'أنّه يتوجّب دراسة العديد من المسائل الجوهريّة وصولاً إلى استقرار حقيقي'.. والكلّ يعلم ماذا يعني بقوله هذا، فموقف الولايات المتّحدة كان من جانب، تشجيعاً لاعتماد زمر الجنّود غير المنظّمة في جيش إسرائيل ومواصلة إسرائيل هذه سياستها القائمة على العنف والإكراه والقوّة، وكان من جانب آخر، الوعد المقنع بدعم واشنطن لمطالبات إسرائيل بما تدعيه 'إرثها التاريخي للأرض' وسياستها التّوسّعيّة.

ولوندن جونسون، تكلّم أيضاً عن 'مسائل جوهريّة' بعد تصريح وزير الدّفاع الإسرائيلي دايان، وفيه 'بشّر بفتح العديد من الأراضي العربيّة'.

نيويورك تايمز، تاريخ ٩ حزيران، (مقال 'فرانكل') فسّرت خطاب جونسون كما يلي: 'بعد أن وضع في الحساب بكل وضوح الاستغلال السّريع لانتصار إسرائيل السّاطع أمر جونسون بوضع مخطّطات لسلام جديد في الشّرق الأوسط الأدنى'. فإذا كان يوجد هناك من يستطيع إظهار أيّ شك بموضوع تعاون وتساعد إسرائيل مع الأمريكيّين فإنّ موقف جونسون هذا يبدّد هذه الشّكوك تبديداً كاملاً.

'إنّ الولايات المتّحدة -كتبت واشنطن إفننك ستار بتاريخ ٨ حزيران- قد راهنت على النّجاح العسكري الإسرائيلي السّريع، وكان ربحها مزدوجاً، فمن المؤكّد أنّ المؤرّخين سينصرفون إلى مناظرات جدليّة لمعرفة من كان البادئ بالهجوم؟ في حين تكون الأوساط الرّسميّة وغير الرّسميّة في واشنطن قد توقّعت مسبقاً أنّ الخطوة الأولى كانت من قبل إسرائيل.. وهي مقتنعة أنّ الزّمن يمرّ ولا مجال لحلٍّ آخر.. هذا الكسب المزدوج سيزداد ويرتفع أكثر أيضاً إذا توصّل،

بالنّتيجة إلى سقوط نظام ناصر وسقوط حكومات عربيّة أخرى تعتمد على 'معتقد استحالة التّعايش مع إسرائيل'.

في ٨ حزيران، أعلن مراسل وكالة رويتر: 'إنّ النّجاحات السّريعة والخطرة التي حقّقتها إسرائيل خلقت في أوساط واشنطن الرّسميّة شعوراً بالرّضى والارتياح'. لقد كانوا سعداء منذ علموا أنّ إسرائيل ' . - لوحدها بتحقيق ما كان يتوجّب على إنكلترا والولايات المتّحدة الأمريكيّة أن تفعلاه أي تقومان بفعله في تدخّل مباشر من قبلهما.

لقد ذهبت الصّحيفة الألمانيّة الغربيّة 'دي ويلت' إلى أبعد من ذلك في استنتاجاتها: 'ليس من باب المبالغة القول، في مجرى هذه الأيّام المليئة بالتوتّر، أنّ الجنّود الإسرائيليّين وليس الدّول الكبرى، جديرون بالسّلام العالمي'. وفي أحد أبواب هذه الصّحيفة يرتسم موقف الصّحافة الألمانيّة الغربيّة وتضامنها الكامل سواء مع المعتدي الإسرائيلي أم مع السّياسة الأمريكيّة وحتّى من ملاحظاتها الانتقاديّة -كما فعلت Voltksblatt- إنّما فعلت هذا للتنديد بإعلان حياد الولايات المتّحدة.

خلال مدّة الحرب كلّها، كان الشّروع في 'حملة تضامن' مع إسرائيل.. تنظيم اليهود الأمريكيّن L'umited yewech Appeal قام بحملة جمع تبرّعات كانت حصيلتها الفوريّة تقريباً أكثر من عشرين مليون دولار.. وروبرت كيندي الذي كان يعتمد على أصوات النّاخبين الأمريكيّين من أصل يهودي، أيّد علناً تقديم مساعدة مواد غذائية لإسرائيل، وفي الولايات الجنوبيّة الرّجعيّة والعنصريّة والتي أحد مظاهر العرقيّة فيها يتمثّل في التّفرقة العنصريّة لدى اليهود في 'اللاّساميّة'، أعلن أنّ 'إسرائيل هي أهون الشّرّين'.. وفريق من رجال الفكر الأمريكيّين، معظمهم من أصل يهودي، نشر بياناً تضامن فيه مع العدوان..

وفي بريطانيا العظمى، (E.clinwell) النّاطق المشهور بلسان الصّهيونيّين، دعا الحكومة البريطانيّة 'أن تعبّر على الأقلّ عن تهانيها لدولة إسرائيل على مقاومتها المنتصرة لنوايا إبادتها'..

والمدهش حقاً، هو كم كانت الصّحافة الغربيّة والدّعاية الغربيّة تخصّان المكان الضّيّق للعمليّات، فلا تتطرّق إطلاقاً إلى 'العمليّات الدّفاعيّة' وطيلة تلك الأيّام تمّ الاحتفاظ بصور المعسكرات الموجودة في قطّاع غزّة وفيها كان لا يزال يوجد الجنّود الهنود الذين لم يتمّ إخلاؤهم وهم تابعون لقوّات منظّمة الأمم المتّحدة.. وعلى إحدى الصّور إيّاها نشاهد الكتابة التّالية على أحد الجدران (Don't Shoot: We are in UND) 'لا تطلقوا النّار نحن موجودون في الدّاخل- منظّمة الأمم المتّحدة'.. ولكن حقد الإسرائيليّين تجاه الهنود وبخاصة تجاه عناصر قوّات منظّمة الأمم المتّحدة كان من القوّة إلى حد عدم إعطاء أي اعتبار أو مراعاة لعلم الأمم المتّحدة.. ١١ جندياً هندياً قُتلوا في قطّاع غزّة من جراء قصف المدفعيّة الإسرائيليّة الذي استؤنف بحجّة أنّ 'الهنود قاتلوا إلى جانب المصريّين'. لقد تصرّف الجنود الإسرائيليّون بوحشيّة وفظاظة ولا يمكن ولا بحال تبرير هذه المجزرة ضدّ أعضاء قوّات منظّمة الأمم المتّحدة.. هذا ما قاله الجنرال Rikhie قائد قوّات منظّمة الأمم المتّحدة في غزّة إلى مراسل يوغسلافي. لقد خرقوا، عن سابق تصوّر وتصميم حرمة وامتيازات علم منظّمة الأمم المتّحدة الأزرق. 'ففي مشفى القوّات المسلّحة لمنظّمة الأمم المتّحدة وفي مركز التموين في رفح عشنا أيّاماً رهيبة' هذا ما رواه بالتفصيل 'أ.جيرانوفيك' الطبيب اليوغسلافي.. 'لقد أجبرونا على ردّ الضّمادات والأدوية، وفي مساء السّادس من حزيران شنّ فصيل عسكري إسرائيلي هجوماً على المشفى.. أمرونا أن نقف في الصّف ثمّ أخرجونا وهم يأمروننا برفع الأيدي في الفضاء ثمّ بهروا أبصارنا بضوء فنّارات الدّبابات والسّيارات.. كان الوقت ليلاً.. سُمعت طلقات بنادق وكنّا على يقين أنّهم سيعدموننا رمياً بالرّصاص وأضافوا إلى الفصيل اليوغسلافي الممثّلين النروجيّين في قوّات منظّمة الأمم المتّحدة'، إلى هنا انتهت رواية الطبيب اليوغسلافي.

إلى جانب التّعليقات الصّحفيّة التّافهة حول احتجاج الحكومة الهنديّة، كانت 'ضجّة' الصّحافة العالميّة ضعيفة عديمة الأصداء حول هذا الموضوع.. وكأنّها تفضّل التعتيم على هذه الفعلة المخزية التي تطال جميع الأنصار النّاشطين والمتحمّسين لإسرائيل.. ولا يقلّ عنها خزياً استعمال الجيش

الإسرائيلي لسلاح النابالم.. لأن إسرائيل لم تستعمل هذا السلاح لأسباب تندرج في نظام استراتيجي وإنما بدافع الثأر والانتقام. وقد سبق عرض ما أجمع عليه جميع مراقبي الأحداث أن ما ينجلي عنه الأمر هو أن التصاميم كانت موضوعة للهجمات الجوية المنفذة منذ اليوم الأول للعدوان.. وقد استعمل سلاح النابالم ليس فقط ضد قوات الخصم المسلحة وإنما أيضا وعلى نفس المستوى ضد السكان المدنيين.. والشاهد على ذلك هذه الصور الشمسية للجثث المتفحمة للنساء والأطفال وهذه الحروق الفظيعة على وجوه وأعضاء الذين بقوا أحياء في مشافي الأردن وسوريا.

في هذا الوقت بالذات، كانت الصحافة الأمريكية تتحدث عن 'استعمال النابالم وفق القواعد المشروطة' محاولة، بل عازمة على التشكيك بصحة وصدق البلاغات والبيانات الصادرة عن سلطات الدول العربية.. واقتصر القول: 'إن ثمة ضحايا حرقوا أو قتلوا بسلاح النابالم'.. والمؤلفان السابق ذكرهما للكتاب الذي عظم ومجد العدوان الإسرائيلي، راندولف ونستن تشرشل وضعا خطا مميزا تحت عبارة النابالم لدى ذكره مع الوسائل الحربية الأخرى المستخدمة، ولم يحاولا حتى تبرير استعماله.

'إرنست تروست' سماه 'وسيلة عملية للإذلال' وهذا هو الأكره والأكثر تنفيرا في كتابه كله 'داود وجليات' المؤلف من ١٤٦ صفحة.. علما أن تروست لم يدخر وسعا لتعظيم وتمجيد تصرف الجنود الإسرائيليين وما تميزوا به من روح التضحية والبطولة وحتى التدين والتقوى.. في الفصل المعنون: 'الرب سيعطيكم إياه' (ص١٥٢-١٥٣) وصف مشهدا يمثل ناقلة جنود تحمل جنودا إسرائيليين أصابتها قنبلة وبدأت تحترق فغادرها جميع ركابها ماعدا واحدا بقي في مكانه رغم اللهب.. كان 'يتدلل في زاويته ويحرك شفتيه ببطء..' فصاح به رفاقه: 'اقفز يا داود' أخيرا خرج من الهول المحيط به وقفز وقد اسود وجهه وصار أشبه بالفحام وتغير لون لحيته الصهباء.. ماعدا بعض الحروق، كان سالما معافى.. 'هل صرت مجنونا'؟ سأله الآخرون: 'لا! أجاب داود.. كنت أتلو ١٨ مزمورا كاملة.. وليس من حق أحد أن سينقطع عن التلاوة مهما كان ممكنا أن يحدث'. وداود عضو في طائفة متشددة جدا في نهجها المستقيم، وتحت خوذته يرتدي قلنسوة

سوداء. وفي الفصل ذاته (ص١٤٨) وصف المؤلّف كيفيّة حثّ وتنشيط الجنود الإسرائيليّين: يصرخ فيهم الآمر: 'أيّها الجنود. أوشويتز تعتبر جنّة قياساً على ما ينتظرنا إذا خسرنا هذه الحرب'.

بهذه الطريقة خلقوا المناخ الذي يسمح بل يستدعي استعمال النّابالم وقصف القوّات 'ذات الخوذات الزّرقاء' وحتّى مهاجمة 'ليبرتي' سفينة الصّديق الأمريكي الكبير لإسرائيل..

إنّ حادث 'ليبرتي' حكاية من نوع خاص جداً: إنّ هذه السّفينة، وهي جزء من الأسطول السّادس خاصّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، أوجدت نفسها طوال أيّام الحرب بشكل مُريب ومشبوه، على مقربة من ميدان المعركة وتمّ الهجوم عليها من الجوّ ومن البحر من قبل الإسرائيليّين، ٣٤ أمريكيّاً قُتلوا وبلغ عدد الجرحى ٨٠ تقريباً.. وادّعت إسرائيل أنّ هجومها كان نتيجة 'خطأ له ما يبرّره' أي نتيجة التقدير أنّ 'ليبرتي' كانت سفينة مصريّة. ويبدو 'احتمال فرضيّة الخطأ' هذا فريداً من نوعه إذا أخذنا بعين الاعتبار دقّة وصحّة المعطيات عن القوّات المسلّحة خاصّة البلدان العربية من قبل مراجع التّجسّس الإسرائيليّة.. (ولا مجال للشكّ أنّ المعطيات إيّاها كانت تأتي مباشرةً من الجّهازين المماثلين 'جاسوسيّة' الأمريكي والألماني الغربي.

كذلك إنّ انعكاس الحادث لدى الأوساط الرّسميّة الأمريكيّة ولدى صحافة الولايات المتّحدة الأمريكيّة لم يكن يبدو أقلّ غرابة إذا اقتصر فقط وبكل بساطة على حسن القبول لما أعلنته إسرائيل من 'أسف'!؟ وسكرتير الدّولة 'دان راسك' اكتفى بصياغة احتجاج بسيط تلقّاه 'آرثر غولدبرغ' وهذا كلّ شيء.

رُغم التّصريحات الأوّليّة لم يتلقَّ المجرمون أيّ قصاص.. وكدلالة ظاهرة للعيان رؤية الكاتبين آل تشرشل مؤلّفي كتاب 'حرب الأيّام الستّة' وهما يقوّمان هذه القضيّة بمجملها (ص٩٨-١٠٠):

'بعد ظهر الخميس الثّامن من حزيران، كانت 'ليبرتي' إحدى سفن الولايات المتّحدة Navi Elint (المتخصّصة بالتجسّس الإلكتروني والتّابعة لأسطول الولايات المتّحدة) كانت تُبحر بسرعة ٥ عقد بالاتّجاه الغربي- الشمالي- الغربي على بعد

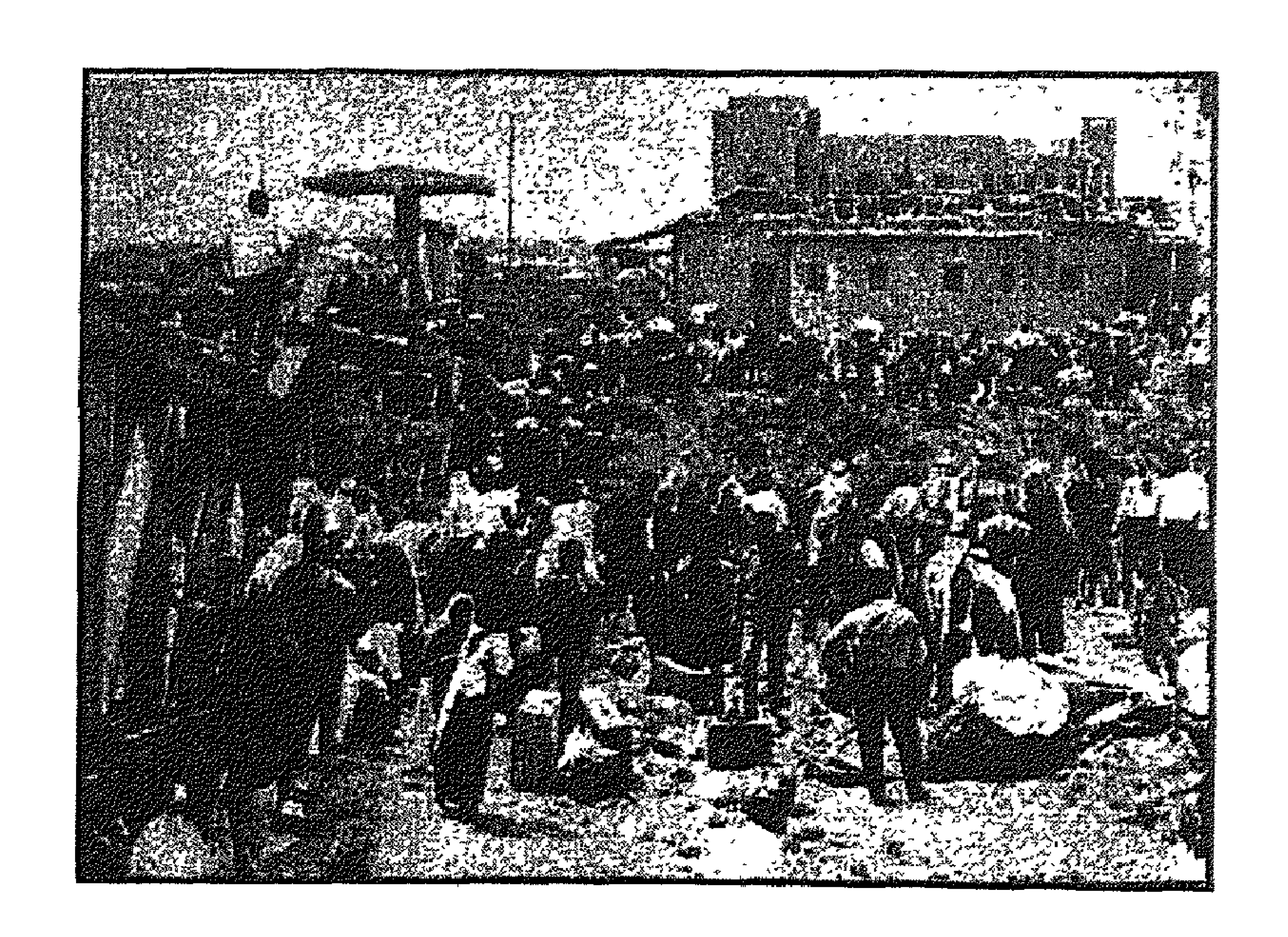
١٤ ميلاً بحرياً شمال شبه جزيرة سيناء على مقربة من العريش.. وحسب تصريح 'إدارة دفاع الولايات المتّحدة' الذي نُشر متأخّراً في نفس اليوم، أقلعت 'ليبرتي' في الثّامن من حزيران، من مرفأ 'روتا' الإسباني ووصلت صباحاً إلى مركزها لتقوم بمهمّة الارتباط بين المراكز السّياسيّة الأمريكيّة في الشّرق الأدنى والمساعدة على الحصول على المعلومات الخاصّة بإجلاء المواطنين الأمريكيّين من بلدان الشّرق الأدنى.. ولم تُقدّم أيّة معلومة إضافيّة تشرح لماذا ثبت فجأةً نقص وقصور وعجز نظام الرّبط الحاذق والفعّال الذي تنظّمه وتعتمده السّفارات الأمريكيّة في العالم أجمع؟

في سماء زرقاء صافية ظهرت طائرات قتاليّة إسرائيليّة بالرّتل الثّنائي وقادمة من الجنوب الشرقي، ومن ارتفاع ٥ إلى ٦ آلاف قدم قذفت ورشّت السّفينة الأمريكيّة.وبعد عدّة دقائق وصلت ثلاثة زوارق إسرائيليّة (MTB'5) آتية من الشّمال الشّرقي وباشرت هجومها قاذفة 'ليبرتي' بالرّشّاشات ثمّ بطوربيدين اثنين (ناسفين) أصاب أحدهما الهدف مُحدثاً شرخاً من ٤٠ قدماً تحت رفرف العنبر من يمين السّفينة.

بين وقت وآخر كان الإسرائيليّون يلحظون خطأهم ويوقفون النّار.. ٣٤ ضابطاً وبحّاراً من 'ليبرتي' قُتلوا وجُرح ٧٥ آخرون.. وبلغت الإصابات في جسم السّفينة ٨٢١ قذيفة واندلعت الحرائق من مقدّمها ووسطها.



السكّان المدنيّون في القدس تحت حراسة الجنود الإسرائيليّين



اللاّجئون العرب يجتازون الجسر لقطع الأردن وهم هنا على ضفة يمين النّهر.

ROK X (XVI) Nr 228 DZIŚ 6 STRON CENA 30 AGOROT

CZWARTEK 28 WRZEŚNIA 1967 R.

Nowiny i Kurier

CODZIENNA GAZETA INFORMACYJNA

...się z każdym dniem coraz ...bardziej pewny siebie. | ...puszczania domów obowiązywał

Rozmowa na klęczkach między Dajanem a Rubinsteinem

Pierwsze spotkanie między ministrem obrony, Mosze Dajanem, a światowej sławy pianistą, Arturem Rubinsteinem, miało niezwykły charakter.

Rubinstein przyjechał do hotelu „Hamelech Dawid" w Jerozolimie akurat w tym czasie, gdy Dajan konferował tam z gen. Bullem. Gdy Dajan zakończył rozmowę z szefem obserwatorów ONZ, zwrócono się do niego z zapytaniem, czy chciałby zapoznać osobiście Rubinsteina i Dajan odpowiedział pozytywnie.

Gdy Dajan wszedł do apartamentu Rubinsteina, powitany został bardzo serdecznie przez wielkiego pianistę. Nagle Rubinstein ukląkł przed Dajanem. Dajan zrewanżował się natychmiast podobnym gestem, a ponieważ żaden z nich nie chciał wstać pierwszy, rozmowa między nimi toczyła się przez pewien czas na klęczkach.

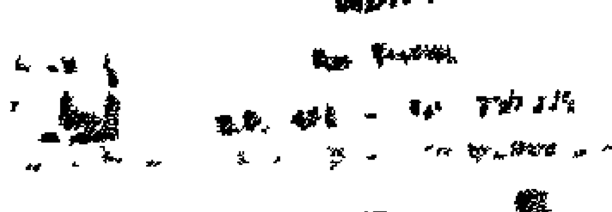
يتحدثان راكعين دايان وروبنشتاين هذا كان عنوان الصحيفة الإسرائيلية (NOWINYI KURIER) (أخبار ورسائل) مقال حول اللقاء بين دايان وروبنشتاين.



L'Orient

LE PLUS FORT TIRAGE DES JOURNAUX DE LANGUE FRANÇAISE DU LIBAN

Mercredi 29 nov. 1967





Déchaînement hystérique en Israël contre de Gaulle

La presse le compare à Hitler !

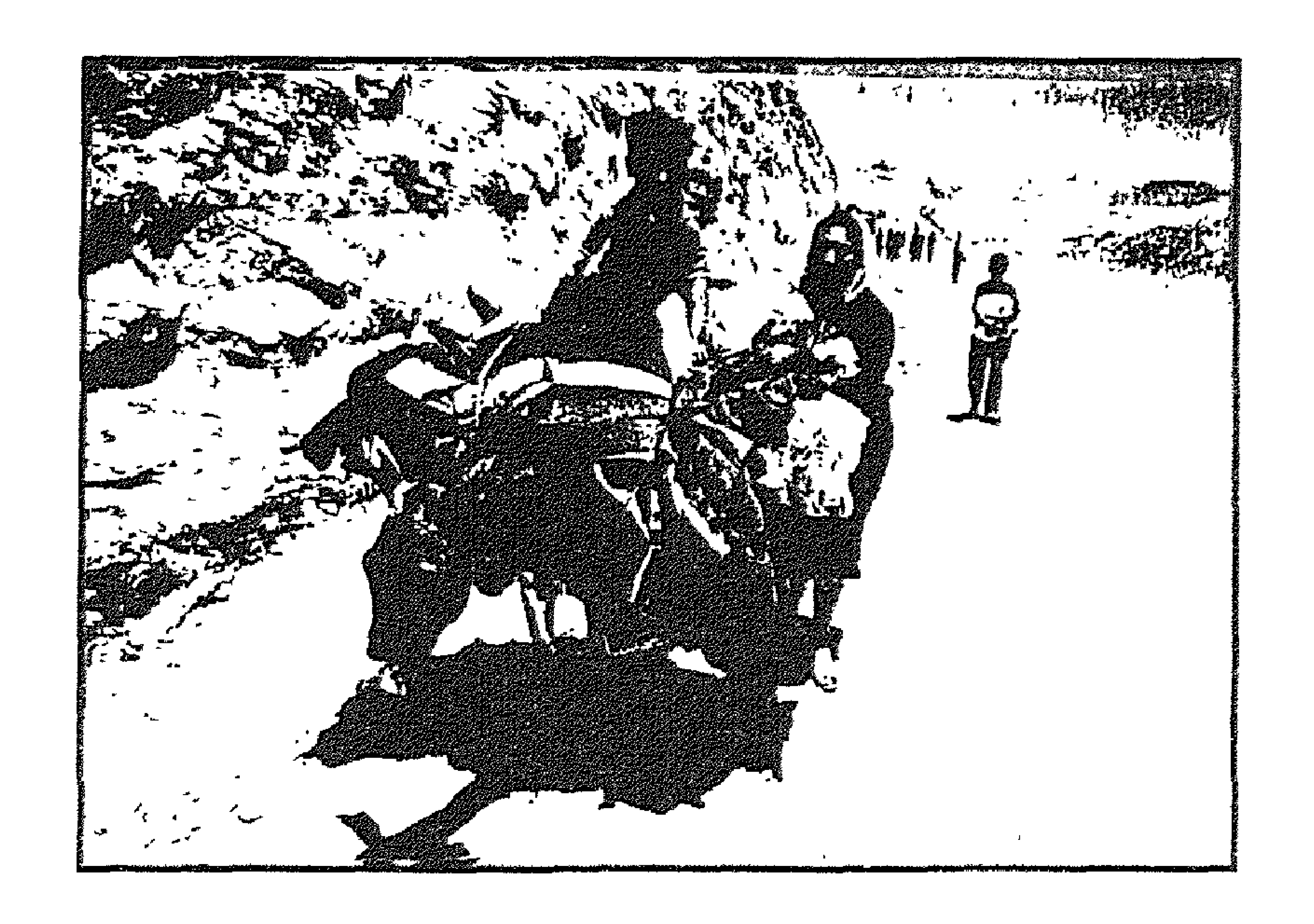
حملة هستيرية في إسرائيل ضد ديغول

الموقف السلبي للرئيس ديغول تجاه عدوان إسرائيل أثار حملة هستيرية ضده.

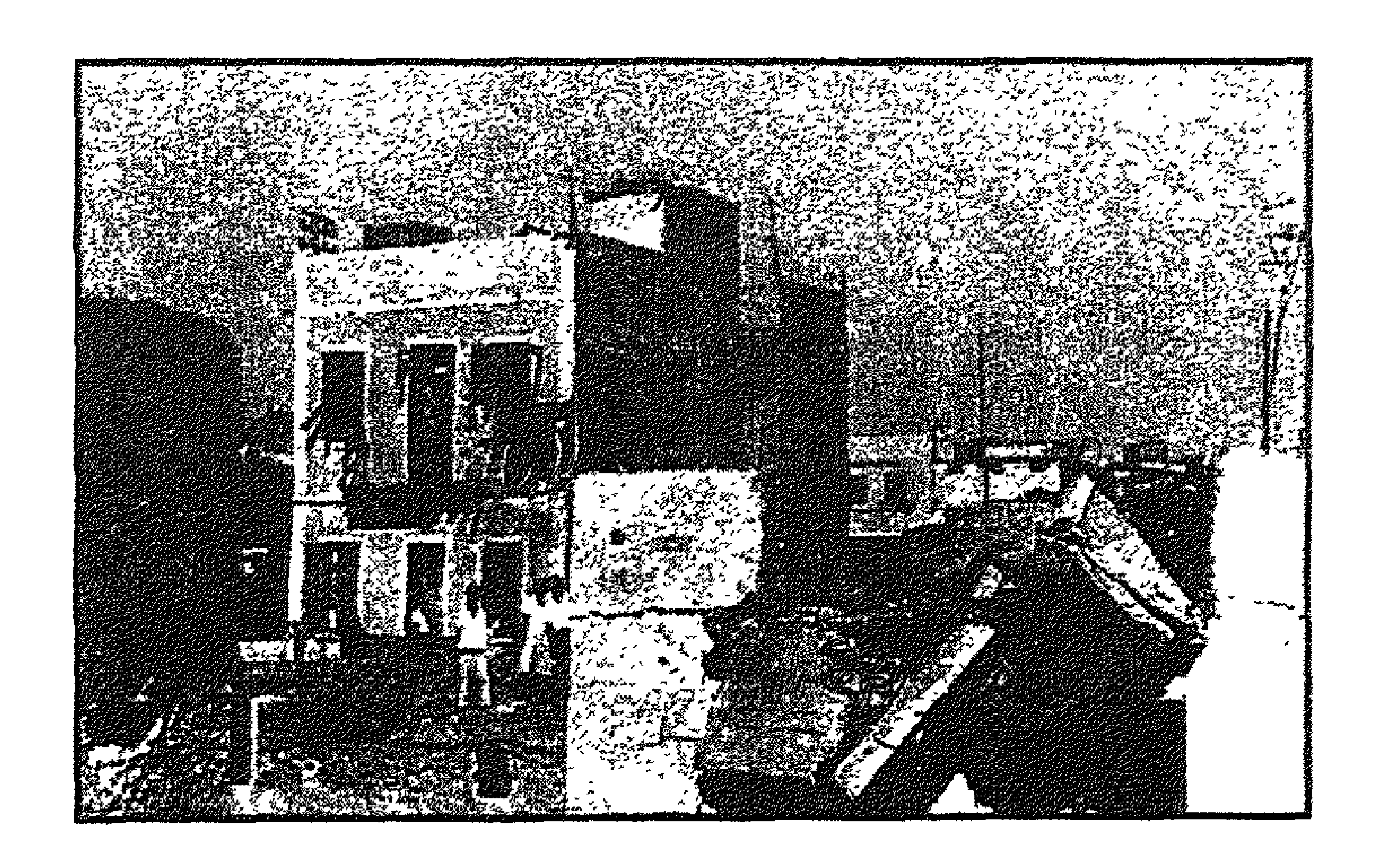




في جمهورية ألمانيا الاتحادية صنعت في بافاريا ميدالية ذهبية على شرف دايان.



العرب المطرودون من منازلهم المرهقون يصطحبون القليل مما يملكون ويسيرون باتّجاه الأردن.



السّويس- منظر حي سكني هدّمه الإسرائيليّون.

استعمل أحد الزّوارق إشارات وسأل 'ليبرتي' إذا كانت تحتاج مساعدة.. ويظهر أنّ الجواب كان جافّاً جدّاً.. ويجب تقديم الثّناء لشجاعة ومهارة طاقم 'ليبرتي' فبعد نصف ساعة من الهجوم فعلاً، تمّ إطفاء الحرائق وتحرّكت السّفينة مبتعدةً بسرعة عشرة عقد وذلك رغم ميل فيها يبلغ ثلاثين درجة.. وأُعطيت تفسيرات شتّى للهجوم أحدها أكّد أنّ في هذا الجزء من العالم يملك الإسرائيليّون احتكار عمليّات الاستماع ويريدون طرد أيّ دخيل.. وآخر كان يصرّح بأنّ 'إسرائيل باشرت هذه العمليّة بناءً على طلب من (CIA)' وذلك كي تقدّم تكذيباً للشكاوي التي استوحاها المصريّون وموضوعها تعاون إسرائيل مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

وإليكم ما يقوله لنا آل تشرشل الذين أسرعوا طبعاً، إلى التّأكيد 'أنّه لا مجال ولا سبب يدعو إلى الشكّ بمضمون التّفسيرات التي أعطاها الإسرائيليّون والتي كانت مقبولة من قبل الأمريكيّين'.. إلاّ أنّهم أعطوا بعد زمن ليس ببعيد كثيراً براهين على التناقض بين تأكيدات تل أبيب أي إنّ السّفينة المهاجمة لم تكن تحمل أيّة علامة تعريف بها.. كما أنّ البلاغ الرّسمي الأمريكي يقول إنّ 'ليبرتي' كانت تسير 'رافعة العلم ذا النّجوم 'الأمريكي قياس ٨ أقدام على ٥'.

إرنست تروست، في مؤلّف 'داود وجليات' الآنف الذّكر، وصف قضيّة 'ليبرتي' بالطّريقة التّالية: 'إنّ ظلاً من السّريّة سيظلّ دائماً يحيط بالهجوم ضدّ السّفينة الأمريكيّة ليبرتي ففي الثّامن من حزيران قامت طائرات مقاومة (areation) إسرائيليّة بمهاجمة هذه السّفينة التي زُعم أنّها تقوم بمهمّة تفتيش de reeherehe والتي كانت في الحقيقة مختبراً إلكترونيّاً حقيقيّاً عائماً.. وبواسطتها يمكن القيام بالتّنصّت وبالتّشوش وحتّى بتوجيه مجمل عمليّات الاتصال.. والهجوم وقع بالانقضاض والضّرب العمودي على ارتفاع العريش وفي حين كانت السّفينة ترفع عالياً العلم ذا النّجوم.. وحال إتمام الطّائرات عمليّتها قامت الزّوارق قاذفة الطّوربيد الإسرائيليّة بالقذف على 'ليبرتي' ونتائج التّحقيق المعطاة بأمر من البيت الأبيض لم تكن مقنعة.. فقبلت الأعذار والتبريرات الإسرائيليّة، وتأكيداتهم أنّهم حسبوا السّفينة قطعة بحريّة مصريّة تُبحر تحت علم مستعار.

وماذا كانت مهمّات 'ليبرتي'؟ لا يوجد أيّ شكّ بأنها تلتقط اتّصالات الإسرائيليّين والمصريّين بقصد جمع الاستعلامات الأكثر دقّة حول سير العمليّات الحربيّة..

وثمّة آراء أخرى تؤكّد أن 'ليبرتي' باتّفاق ضمني مع إسرائيل، كانت تشوّش على عمليّات البث الإذاعي لرادارات ونظام اتّصال ناصر.. أمّا في إسرائيل، وبحركة رفع الأكتاف يقولون: 'هذا . ولكن ما يتوجّب على الأمريكيّين أن يحشروا أنفسهم قريباً بهذا المقدار من ساحة المعركة.. وهذه الحكاية كلّها مجرد غباء وبلاهة..'.

'غباء'- 'بلاهة'- تعتيم على السّر- 'أعذار' 'أسف' المراسلة الأمريكيّة لجريدة 'فيينّا' اليوميّة Diepress 'مارلين موني' تحدّثت عن 'تشويشات على إشارات البثّ الإذاعي' وهذا صحيح فعلاً فالقيادة الإسرائيليّة باشرت هذا العمل عن سابق تصوّر وتصميم وبقصد تصفية الشّهود المزعجين والمضايقين..

وعن سابق علمٍ كامل كانوا يريدون وبكلّ وقاحة، إغراق السّفينة الأمريكيّة مع طاقمها المُرسلة من قبل البنتاغون إلى منطقة الأعمال العدوانيّة لتقدّم خدماتها إلى جيش المعتدي.. وقد توافقت وتساوت وقاحة القيادة الإسرائيليّة مع وقاحة رئيس الولايات المتّحدة الذي عبّر عن رأيه على الشّكل التّالي حول موت وجرح عناصر البحريّة الأمريكيّة وأخصّائيّيها: 'هذا الحادث المأساوي يسمح لنا بأن نُفهم جميع الأمريكيّين كم كانت رغبتنا قويّة بوضع حدّ سريع لأعمال العدوانيّة' هذا الكلام يذكّرنا بصلوات الرّئيس الأمريكي من أجل السّلام في فييتنام!

أمّا فيما يخصّ حادث 'ليبرتي' وفضلاً عن كونه (scoop) سبقاً صحفياً حقيقياً، فالصّحافة الأمريكيّة والغربيّة كانت مختصرة جداً ومعتدلة جداً بدليل أنّه ازداد أضعافاً كثيرة ما خصّصته من الاهتمام بالشكاوى المقدّمة من القاهرة وعدّة عواصم أخرى بموضوع الاشتراك المباشر من قبل الأمريكيّين والبريطانيّين في الأعمال العدوانيّة.. ومن أصل الشكاوي إيّاها تلك المتعلّقة بالهجمات الجويّة

الكثيفة جداً من قبل إسرائيل واستعمالها الواسع لمختلف الآليّات الحربيّة وكلّ هذا مدعاة للاعتقاد الجازم بمشاركة الطّيران الأجنبي.

ولم تكن ضعيفة الأضواء التي سُلّطت على نوايا ورغاب ممثّلي الوحدات العسكريّة الإسرائيليّة غير النّظاميّة وذلك من قبل ضبّاط إسرائيليّين من رُتب عالية وتصريحاتهم عن الخصم المهزوم، ويسهل العثور عليها في التحقيقات الصّحفيّة ومنشورات أخرى مليئة بالإعجاب بقوّة السّيف الإسرائيلي..

وقد انتشرت على نطاق واسع وبكمّيات كبرى، وكانت 'رؤيتها' Leitmotiv الاحتقار، العجرفة، والغطرسة دون حدود.. تقصد إذلال العرب.. والتبجّح والإشادة بسمات الإسرائيليّين المتميّزة وبنجاحاتهم..

الجنرال 'تال' أحد قادة جبهة سيناء ثمّ الجبهة السّوريّة أعلن أنّه، من جهة العتاد، كان جيش الجّمهوريّة العربيّة المتّحدة قادراً ألاّ يستسلم إلاّ لجيش واحد من جيوش العالم: الجيش الأمريكي؟!

إنّ هذه البيانات التي لا تُحصى عن 'تفوّق إسرائيل وطريقة معاملة أسرى الحرب المصريّين والأردنيّين والسّوريّين دون أيّة مراعاة لأعراف الحروب وأعمال الحسّ بالكرامة والنيل منها.. كلّ هذا كان برهاناً على أنّ الغاية الرّئيسيّة من هذه الحرب لم تكن 'إقامة علاقات تعايش ووجود مشترك بل هي وقبل كلّ شيء، الاستيلاء على أراضٍ جديدة'.

ومع ذلك، فقد وجدت المساعدات والتّشجيعات المغدقة من قبل الأمريكيّين، وجدت، فوراً انعكاساتها في التّصريحات الصّادرة عن الإسرائيليّين.. فالوزير الإسرائيلي للشؤون الخارجيّة 'آبا إيبان' أعلن منذ السّادس من حزيران، أنّ 'إسرائيل ترفض النّظام القديم وترغب في أن تبني على خرائبه نظاماً جديداً لسلام دائم'.. والجنرال 'موشي دايان' الذي أثبت وجوده، في الثّامن من حزيران، في القدس المحتلّة، أكّد: 'لقد عُدنا إلى هنا لكي لا نترك أورشليم أبداً' وأمام 'حائط المبكى' المزعوم أنّه الباقي من هيكل سليمان الذي هدّمه الرّومان عام ٧٠م، أقيم احتفال 'رائع' وأثناءه قام الحاخام الكبير للجيش الإسرائيلي 'شلومو

غورين' يُحيط به سينمائيّون ومراسلون صحفيّون، قام بالنّفخ في البوق الخاص بالطّقوس الدّينيّة مفتتحاً الاحتفال الدّيني.

وقد أعطى المراسلون الغربيّون في إسرائيل المزيد من الأهميّة لهذا المشهد.. فالخرائب التي تحدّث عنها آبا إيبان أصبحت بناءً حقيقيّاً'.. وفي القدس القديمة هدموا العديد من البيوت العربيّة تاركين لسكّانها مهلة ثلاث ساعات فقط لإخلائها وبهذه الطريقة تمّ توسيع الموقف Parking الخاص بالسّيارات أمام حائط المبكى.

في العاشر من حزيران، وفي مقابلة أعدّها التّلفزيون الأمريكي، كان دايان أوّل من أعلن ضمّ القدس وأضاف أنّ إسرائيل لا تنوي إطلاقاً التخلّي عن غزّة وعن الأراضي المستولى عليها من شرقي الأردن: 'إن هذا المركز الصّغير لثقافة ومُثُل الغرب المسمّى دولة إسرائيل (كما قالها روبرت كيندي في الحادي عشر من حزيران) أثبت أنّه لم يكن إطلاقاً البلد الصّغير الذي لا يطمح إلى أكثر من أن يعيش بسلام مع جيرانه العرب.

بل أبدى للعيان ما أعدّه من كلاّبات 'للتوسّع وضمّ الأراضي' أحد ممثّلي الصّهيونيّة الأكثر نشاطاً، الشّيخ 'جافتيز' أعلن في الحادي عشر من حزيران، خلال اجتماع United Jewish Appeal، أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة مُلزمة بعدم الموافقة على أي مشروع يُجبر إسرائيل على الانسحاب من المراكز المحتلّة حاليّاً'. كما أعلن 'جافيتز' أيضاً وجوب 'ترحيل اللاّجئين العرب'. كما أنّ القائد السّابق للطيران الأمريكي 'ستيوارد سيمنتغتون' توصّل في هذا الصّدد إلى استنتاجات مماثلة: 'لو كنت مكانهم (ويعني الإسرائيليّين) لفرضت ما هو أكثر من الوعود التي اعتادوا تقديمها في الماضي'.

وحده، جانب هامشي صغير من الرّأي العام الأمريكي اتّخذ موقفاً مختلفاً عن 'النّغمة' العامّة والسّائدة المليئة بالتّناغم مع المعتدين والدّعم للمعتدين.. فالجريدة اليوميّة 'آتلانتا' كتبت: 'لا تستطيع نجاحات إسرائيل سوى زيادة تفاقم الأخطار في الشّرق الأوسط نتيجة هذا الإذلال من جديد لأمم معروفة بالأنفة والإباء..'. 'واشنطن دايلي نيوز' لاحظت في التّاسع من حزيران، 'أنّ جوّاً من

الانتشاء بالنّصر يسيطر على إسرائيل ويضعها في حالة من السّكر.. علماً أنّ نهاية هذه الحرب ستكون حرجة مثل بدايتها، وإنّه لضربٌ من الجنون، يتجافى مع المنطق والتفسير المقبول أن يفرض الإسرائيليّون شروطاً صارمة وشاذّة'.

إنّ هذه الأصوات المعتدلة والمعبّرة عن بعض التّحفّظات تبقى أبعد من أن تعطي تقديراً للحالة يتّصف بالحقيقة والواقعيّة.. أمّا في فرنسا فصحيفة 'لومانيتييه' النّاطقة بلسان الشّيوعيّين أعطت تقييماً حقيقيّاً للوضع إذ أعلنت أنّ موقف قادة الإسرائيليّين لا يمكن تفسيره سوى أنّه نشوة سكر ناجمة عن النّجاحات الأوّليّة التي لو لم تكن ناجمة عن تشجيع ودعم واشنطن لكان القادة إيّاهم في وضع آخر يجبرهم أن يتبنّوا مواقف أخرى.. غير أنّهم لم يفعلوا ذلك، ففي الأراضي التي احتلّوها أطلقوا لأنفسهم العنان في أعمال القوّة الأولى التي اقترفوها: مدينة قلقيلية الأردنيّة الصّغيرة دكّوا بناءها كلّه.. والمعلومات التي ترد من منطقة اللّطرون و'غوش إتزيون' وقبل كلّ شيء من غزّة وجنوب شرق سيناء ومدينتي رفح والعريش تحكي عن ضروب العنف والاغتصاب والإعدامات الجّماعيّة والنّهب التي جرت فيها.. والتي تُظهر ما يجب سماعه فعلاً خلافاً لمزاعم إسرائيل 'إنّها تُدافع عن وجودها الخاص'.. وفي الأيّام الآتية يتوجّب على العالم كلّه أن يتلقّى ويتفهّم حقيقة كلّ ما ارتُكب في سيناء.. ففي سيناء لم يكن وجود للأسرى لدى إسرائيل لأنّها بكلّ بساطة، جعلتهم يموتون جوعاً وعطشاً وحتّى ١٦ حزيران لم تسمح حكومة إسرائيل للهلال الأحمر الدّولي بأي شكل من أشكال التّدخّل في سيناء وذلك رغم إلحاح هذه المؤسّسة الدّوليّة المتواصل بطلب إرسال فرقها إلى ميدان المعركة والسّماح لطائرات الإسعاف العموديّة الخاصّة بها بالمرور في تلك الأجواء. لقد قامت حكومة الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بإبلاغ ذلك إلى ثانت السكرتير العام لمنظّمة الأمم المتّحدة.. والضّابط السّياسي في جيش إسرائيل 'يائيل دايان' ابنة وزير الدّفاع موشي دايان، أعلنت في السّادس عشر من حزيران إلى مراسل وكالة الصّحافة الفرنسيّة 'أنّه لا يوجد ولا جندي إطلاقاً في الصّحراء فالذين كان يجب أن يموتوا قد ماتوا جميعاً' وقد اقشعرّت أبدان الذين كان عليهم أن يقرأوا مثل هذه التّصريحات.

وتتابعت المشاهد الجهنّميّة يتحدّث عنها الشّرفاء من مراسلي وسائل الإعلام وينشرونها مصحوبة بالصّور فكان لها تأثيرها البالغ.. وحتّى 'تروست' الذي سبق وأشرنا إليه اضطرّ أن يكتب: إنّ آلاف الجنود المصريّين الذين عرضوا أنفسهم لأن يؤخذوا كأسرى سجناء كان يتمّ صدّهم كلما حاولوا الاتّصال مع القطعات المدرّعة الإسرائيليّة، وفي تلك الآونة إيّاها لم يكن الإسرائيليّون يستطيعون -أو بكلّ بساطة- لم يكونوا يريدون الانشغال بالأسرى..

كذلك فإن راندولف وونستن تشرشل قد تعاميا عمّا كان يعانيه الجنّود المصريّون من آلام وكذلك عمّا كان يمارسه الإسرائيليّون من أعمال وحشيّة.. لأنّهما كانا جادّين فقط في تقديم إسرائيل وعدوانها بالصّورة المجمّلة الملائمة والتّعتيم على كلّ الأعمال التي يمكن أن تؤدّي إلى إدانة عاليّة.فاستخدموا سلاحاً مضاداًّ للمبدأ البريطاني (Fair Pluy) ومعناه الكذب: 'ليس باستطاعة الإسرائيليّين أخذهم (والمقصود هنا الجنود المصريّون) أسرى أو سجناء، فعلى مقربة من القناة قالوا للذين يحسنون السّباحة أن يتابعوا طريقهم سباحة لأنّ القناة في المكان المذكور لا يزيد عرضها على المائة باردة، وعندما بلغت إحدى المجموعات منتصف القناة تمّ إغراقهم برصاص الرّشاشات الذي تطلقه القطعات المصريّة من الجانب الآخر من القناة.. والحقيقة المستوحاة هي أنّ 'ناصر ومعه كبار الضّباط لم يكونوا يريدون رؤية هؤلاء الجنّود يصلون الضّفة الثّانية حتّى تبقى هزيمة مصر في سيناء غير معروفة إطلاقاً'.. كلّ هذه المزاعم محض أكاذيب ولم تحصل أيّة واقعة ممّا ذكر وأكاذيب المؤلّفين التي تندرج في بحثهما عن الحطّ من الثّقة من الجمهوريّة العربيّة المتّحدة تكشف عن وجهها الحقيقي..

ثمّة صحفيّون تحدّثوا عن حالة محدّدة وقعت: كان الإسرائيليّون يُجبرون المشرفين على الموت عطشاً أن يُنكروا وطنهم، والذين يرفضون ذلك منهم يتمّ، من جديد، نقلهم عشرات الكيلومترات في عمق الصّحراء.. إلاّ أنّ وقائع كهذه لا تتوافق مع المفهوم ومع المهمّة اللذين أوكل الاضطلاع بهما إلى المؤلّفين البريطانيّين اللذين يحملان اسماً يرقى في إنكلترا إلى قمّة الفخار والشّرف.

لقد خلقت أيضاً حرب الأيّام السّتة مشكلة أخرى: إنّها مشكلة اللاّجئين. مئات ألوف الأشخاص وجدوا أنفسهم دون مأوى.. لقد نزحوا هاربين من أعمال العنف الوحشيّة المباشرة ضدّهم ومن أعمال النّهب فاستولى عليهم الخوف من مواجهة المحتلّ..

لقد خلقت إسرائيل مشكلة اللاّجئين هذه بجميع صورها لعدّة أغراض: أرادتها أداة ضغط على الأردن.. واتّخذتها هدفاً يُتيح لها تحقيق مخطّطاتها في ضمّ الأراضي وإعداد الأماكن الخالية الحرّة للمنتصرين كي يقيموا مستعمراتهم فوق الأراضي التي افتتحوها.

إنّ مخطّط 'بن غوريون' القاضي بتنظيف غزّة والعريش من سكّانها العرب وقذف هؤلاء السّكان نحو الأراضي التي هجرها وأخلاها الهاربون واللاّجئون من أبناء الأردن.. هذا المخطّط بدأ تطبيقه عمليّاً.. كما أنّه أيّ المخطط المذكور، يرسم بين توقّعاته، خلق 'دولة عربيّة صغيرة' هي مجرّد اسم لغير مسمّى.. دولة تكون مجرّد 'مَصَدّ' وخاضعة مباشرةً لسيطرة تل أبيب: ومن أجل كلّ هذا كم من الجرائم والأخطاء ارتُكبت؟ كم من صنوف الإذلال تمّ تحمّلها؟ وحدهم الذين عاشوها يعرفونها.

وبالرّغم من تصريحات الدبلوماسيّين الإسرائيليّين واعترفوا به لمنظّمة الأمم المتّحدة، أو زوّدوا به المدافع عن قضيّتهم 'آرثر غولدبرغ' أصبحت الحقيقة واضحة أكثر فأكثر.. حقيقة العدوان وغرضه الأصلي: ضمّ الأراضي.

لقد نشرت الجريدة اليوميّة Unzer Weg، بتاريخ ٣٠ حزيران، نداءً صادراً عن المركز العالمي لمنظّمة 'مزراحي هابويل مزراحي' من مقرّها في باريس.نداءً لايدع أيّ شك في المعنى والأهداف التي تلاحقها إسرائيل وهاكم النّص لهذا النّداء:

'إلى اليهود المؤمنين الأوفياء في دولة إسرائيل وفي الشّتات! بفضل النّجدة الفائقة من جيوش الرّب قد أحرزنا في ميدان القتال انتصاراً عظيماً ستتناقله أجيالنا جيل عن جيل وسيكون الأمثولة للأجيال إيّاها، وتحلّت العبقريّة اليهوديّة في بطولتها الرّائعة وإيمانها الأزلي الأبدي.

كما أنّنا أبصرنا فيها الأعجوبة المعجزة العظمى، فقد ظهر وجاء الخلاص ضدّ الشّر كما سبق وكان ذلك في 'أيام الزّهد والاعتكاف الثلاثة' .. وذلك في طرفة عين. (آيتك ألاّ تُكلّم الناس ثلاثة أيّام إلاّ رمزا- ق.ك- المترجم).

لقد وجّه الرّب ضربة قويّة بيده إلى مصر وليس مصر وحدها بل طالت يده القويّة هذه أربعة أو خمسة بلدان تجاوزت كلّ الحدود في حقدها وكراهيّتها.

وكانت المعجزة الأعظم في انتصار إسرائيل التي بها توّجت الإرادة الإلهيّة إسرائيل، كانت تحرير أورشليم، تحرير الأماكن المقدّسة، تحرير جدارنا 'حائط المبكى' وهو الأغلى عندنا من كلّ ماعداه، من بين أطلال وخرائب هيكل الخليل، مدينة أجدادنا، وقبر أمّنا راحيل، على طريق بيت لحم وغوش آتزيون الذي دُمّر عام ١٩٤٨ من قبل القتلة وقطّاع الطّرق.

ليكن مباركاً كلّ ما استعدناه.. ما كبّدنا من أجله.. ما أبصرته عيوننا في هذه الأزمنة.

ومع ذلك، فقد دفعنا ثمناً كبيراً ٧٠٠ من أبنائنا الأعزّاء ومئات من الجرحى بذلوا حياتهم الفتيّة كي تحيا إسرائيل.. وبعاطفة وتأثّر مقدّسين نذكر أسماءهم ونصلّي من أجل أرواحهم.. والآن فقط نستعيد حسابنا للخطر الذي كان ينتظرنا: فالوثائق التي اكتُشفت والوقائع التي نُشرت، برهنت على النوايا والأهداف السّوداء.. أهداف التدمير التي كان يعدّها لنا أعداؤنا.. الحمد لله الذي هزم وشتّت أعداءنا.

أمّا الآن ووفق مشورة ونصائح من يتّهمنا، تُشنُّ ضدّنا حرب دبلوماسيّة مسعورة نحتاج معها إلى الكثير من الرّحمة والرّأفة، فالشّعوب التي كنّا نعتقد الاعتماد عليها قد خانتنا في الظّرف الصّعب وتكاد تُبدي فرحها وهي تشهد دمنا يسيل..

إنّنا نجد أنفسنا في مواجهة معركة جديدة.. معركة شعب يهودي في الشّتات وصديقنا الوحيد المخلص هو الشّعب اليهودي في أيّ مكان يوجد فيه يهود.. ودولة إسرائيل تحتاج الآن أكثر من أي وقت مضى إطلاقاً، تحتاج إلى هجرة واسعة.. عشرات الآلاف من الشّباب يتوجّب عليهم العودة إلى إسرائيل كي

يملأوا المدن والقرى.. نحن لا نستطيع، بل ليس من حقّنا، إهمال هذه المسألة، فلا نستطيع أن نصبح، في المستقبل القريب بين العرب الذين بعد انتصارنا استقبالهم في الأراضي المحتلّة.. ونسبة مواليدهم أكثر وأقوى من نسبة مواليدنا وهذا يشكّل خطراً على إسرائيل.

على اليهود المؤمنين، بصورة خاصّة، أن يُبرهنوا أنّهم مستعدون للعمل من أجل بناء 'الأرض المقدّسة'.

منظّمة مزراحي هابويل ها مزراحي

المركز العالمي- باريس

إنّها وثيقة رهيبة، تُعطي البرهان على صوابيّة الكلام الذي تلقّاه العالم من على منبر منظّمة الأمم المتّحدة على لسان ممثّل العراق عدنان البهشجي خلال المناقشات العامّة للجمعيّة العموميّة الذي أعلن ما خلاصته: 'إن الغزو الصّهيوني ينهل موحياته وقوّته الفاعلة من أحلام ومطامح هذه النّفوس المضطهدة لحياة أحياء اليهود المعزولة في أوربّة.. إنّ الحقب الطويلة من الإذلال والقمع فعلت فعلها في يهود أوربّة ووجدت تتويجاً لها أفران الحرق الهتلريّة ويبدو أن كلّ هذا ترك جرحاً عميقاً في السّمة والخاصّيّة الأخلاقيّة ليهود أوربّة الذين يمسكون بأيديهم أزمة ومصير إسرائيل، إن الكراهية والحقد اللذين تراكما عبر الأجيال يجدان الآن منفذاً لهما في وحشية لا مثيل لها، وضحاياها هم العرب الفلسطينيّون.. وإنّها لسخرية القدر أنّ العرب الذين على أرضهم وجد اليهود الملاذ والمأوى والحماية من أهوال أوربّة القرون الوسطى.. هؤلاء العرب تحوّلوا الآن إلى ضحايا اضطهاد دون رحمة.. إنّ الجماعة العربيّة الفلسطينيّة الموجودة منذ آلاف السنين في فلسطين أصبحت الآن مهدّدة بالإفناء.. فبتأثير أيّ وهم مجنون ينساق قادة إسرائيل عندما يفكّرون أو يعتقدون أنّ الشّعب العربي سيكون دائماً هو الأضعف؟ لقد سمعنا في هذه الحقبة الأخيرة 'ركاماً' من البلاهات والغباوة حول 'مزايا وصفات فوق بشريّة' نُسبت إلى الإسرائيليّين تقابلها صورة 'جنائزيّة محزنة' تمّ اصطناعها للعرب: موجة داعية سياسيّة تجد التقدير لدى الصّهاينة ويتمّ بثّها ونشرها بكلّ حماس واجتهاد دون نقد أو تمحيص من قبل

بعض الأوساط والمؤسّسات الإعلاميّة سواء في إسرائيل وفي بلدان الغرب.. وهي تستمدّ فكرها وأخلاقيّتها من حقد وغطرسة عنصريّين يقوم الصّهاينة بإشباع جيلهم الصاعد وتسميم نفوس هذا الجيل وإفساد أفكارهم بها.. (نقلاً عن الدّائرة المختصّة في منظّمة الأمم المتّحدة برقم ١٥٣٧ تاريخ ٢٧ حزيران ١٩٦٧)

صاحبة هذا الخطاب سلّطت الضّوء على وجه آخر من المسألة عندما أعلنت أنّ المسلك الذي اتّبعته الولايات المتّحدة برّر، للأسف، الشّكوك الرّهيبة للبلدان العربيّة ويبدو فعلاً، أنّه حسب رغبة ومقاصد سياسة حكومة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ستكون إسرائيل الأداة الأمينة التي تخدم المصالح والمطامح الأمريكيّة تجاه العالم العربي.

إنّ مقاصد عدنان البهشجي قد تمّ التعبير عنها في خضمّ المعركة السياسيّة من أجل تصفية نتائج العدوان، المعركة التي بدأت فوراً بعد نهاية "حرب الأيّام الستّة".

آليّة ومركّب عمل الصّهيونيّة

قبل عدوان إسرائيل ضد البلدان العربيّة ببضعة أيّام كانت إدارة المنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة تنشر وتعمم في القدس بتاريخ الثاني من حزيران، نداءً نستطيع أن نجد فيه هذا التأكيد البليغ:

إنّ وجود وأمن دولة إسرائيل في خطر جدّي.. وسكان إسرائيل جميعاً على علم بهذا الخطر وهم عازمون على تحمّل أكبر التضحيات.. وجميع طبقات هؤلاء السّكان، بصرف النظر عن بلدان منشئهم أو انتمائهم السّياسي أو وضعهم الاجتماعي قد قاموا دون أيّ تحفّظ، بوضع جميع خدماتهم تحت تصرّف دولة إسرائيل.. ومظاهر التعبير عن التّعاطف وتأكيد التّضامن المطلق تشكّل ينبوعاً إضافياً لشجاعة وإيمان شعب إسرائيل في المعركة المنتظرة.. إلاّ أنّ الوضع يزداد تفاقماً وما من أحد يستطيع التنبّؤ كم من الوقت سيدوم.

وفي هذه السّاعة الحاسمة نوجه نداءنا إلى جميع أخوتنا في الشّتات كي يوثّقوا روابطهم مع صهيون من أجل استنفار وتعبئة العطف والدّعم الفاعلين لإسرائيل من قبل جميع جيل الشّباب كي يعودوا إلى إسرائيل من أجل العمل فيها وملء أماكن الذين تمركزوا على حدود الدّولة من أجل الدّفاع عن البلاد.. هؤلاء الذين من صميم قلوبهم، قدّمت أيديهم، من مواردهم الماديّة مساهمات المساعدة للدولة في حمل الأعباء الاستثنائية المفروضة على إسرائيل..

وإنّ عظمة هذه الوسائل الماليّة الضّروريّة خلال هذه الأزمة تتمثّل في كونها من الصّعب توفيرها مسبقاً فيجب أن نوليها الأهميّة المستحقّة بكلّ معانيها.

نحن نملك القناعة العميقة الرّاسخة بوحدة الشّعب اليهودي، ونحن كذلك على يقين من أمانة وروح التّضحية لدى جميع اليهود حيث وُجدوا والأعضاء النّاشطون في الحركة الصّهيونيّة وفي الدّولة ملزمون باستنفار وتعبئة الأمّة كلّها حتّى نتمكّن من أداء واجبنا التّاريخي حتّى تقف الأمّة كلها وقفة الرّجل الواحد للدفاع عن إسرائيل وتحقيق أمنها. (أخذنا نص هذا النداء عن J liti sehes Waehrnblott تاريخ ١٩٦٧/٧/٢).

إنّ التّطبيق العملي لهذا النّداء المتميّز جداً قد تمثّل في التحليل الذي قدّمه ناحوم غولدمان نفسه خلال تصريح له بتاريخ ١١ حزيران ١٩٦٧ أمام الهيئة التنفيذيّة للوكالة اليهوديّة التحليل الذي أُعيد نشره في الجريدة اليوميّة الإسرائيليّة التي تصدر باللّغة البولونيّة Nowinyi Koureer (العدد رقم ١٣٧ تاريخ ١٢ حزيران ١٩٦٧): 'إنّ الحالة النفسيّة للجماهير اليهوديّة في العالم كلّه كانت أيضاً أسمى وأكثر نبلاً ممّا كانت عليه يوم إعلان قيام دولة إسرائيل وطوال الخمسين عاماً من نشاطي الاجتماعي لم أشاهد قط مثل هذه الوحدة في حضن عائلتنا.. وحدة شملت الجميع من أصحاب 'الرّأي المستقيم' (الأرثوذكسيّين) حتّى الشّيوعيّين.. ويجب عمل كل ما يجب عمله حتّى تصمد وحدة الأمّة هذه وحماسها هذا إزاء المعركة السّياسيّة الصّعبة التي تنتظرنا'.

ناحوم غولدمان هذا ذاته أعلن في سياق خطاب له ألقاه في كنيس لندن تمجيداً لانتصار إسرائيل:

'إضافة إلى انتصار إسرائيل العسكري فإنّ المعجزة الأكثر أهميّة كانت ردّ الفعل لدى يهود العالم جميعهم الذين تركوا جانباً اختلاف الآراء بينهم وبرهنوا عن تضامن دائم مع إسرائيل وهي ظاهرة لم نشهدها إطلاقاً قبل اليوم.. لقد برهنوا مرّة أخرى، أنّ أفضل حلفاء إسرائيل هم اليهود أنفسهم وما أطلبه منكم هو أنّ تظلّوا معبّئين حتّى يتحقق النّصر الكامل..'

إنّ نداء المنظّمة الدّوليّة الصّهيونيّة، على ضوء تصريحات ناحوم غولدمان، برهان على توطيد الحركة الصّهيونيّة داخل إسرائيل، وهذا ما أصبح جليّاً وواضحاً أثناء عدوان إسرائيل ضدّ البلدان العربيّة في حزيران ١٩٦٧.. ففي العديد من بلدان الغرب تمّ تنظيم لجان تضامن مع إسرائيل وجمع التبرّعات وتجنيد متطوّعين وتنظيم مظاهرات وتهيئة الرّأي العام عن طريق الصّحف والإذاعات والتّلفزيون والنّفوذ إلى الأحزاب السّياسيّة والأوساط الثّقافيّة والعلميّة.. كذلك الدّوائر ذات النفوذ والروابط مع المال والاقتصاد.. في العديد من البلدان الغربيّة، وإزاء الموقف المنطقي للبلدان الاشتراكيّة الذي أدان عدوان إسرائيل، قامت لجان التّضامن المذكورة بتنظيم تظاهرات أخذت طابع العداء للشيوعيّة.

إنّ الدّور اللّامع الذي لعبته الأوساط الصّهيونيّة في تعبئة الرّأي العام لدى البلدان الغربيّة لصالح التّضامن مع والدّعم لإسرائيل وذلك في حقبة التوتّر في الشّرق الأوسط قد أصبح ممكناً للأسباب الآتية:

أ - إنّهم يعدّون وينظّمون جهازاً واسعاً من الدّعاية ووسائل للدعاية الجماهيريّة.

ب - إنّهم يملكون العديد من الرّوابط مع الأوساط الماليّة وكذلك روابط تنظيميّة وشخصيّة على اتّصال مع الأقنية الرّسميّة للدعاية في البلدان الغربيّة.

ج - إنّهم يحقّقون أهدافاً محددة من الدّعاية بالتّعاون مع الأوساط والمراكز الأمريكيّة والألمانيّة- الغربيّة المتخصّصة بالحرب النفسيّة.

د - في الأوساط والمراكز الغربيّة للحرب النفسيّة يلعب اليهود اللاّجئون من البلدان الاشتراكيّة دوراً هاماً وقد أصبحوا متخصّصين 'بالمسائل الشّيوعيّة'.

منذ زمن طويل تقوم الأوساط الصّهيونيّة بالتّعاون مع المنظّمات الغربيّة المتخصّصة بالحرب النفسيّة، بعمل هدفه الحطّ من الثقة بالاتّحاد السّوفييتي والبلدان الاشتراكيّة.. ويتمثّل هذا العمل من أحد جوانبه بالهجمات الموجّهة ضدّ سياسة الاتّحاد السّوفييتي المتعلّقة بالمشكلة القوميّة.. والهجوم بخاصة ضدّ السّياسة الموجّهة تجاه اليهود.. وقد شملت الهجمات إيّاها بولونيا التي

استهدفتها الدّعاية إيّاها دون تحفّظ لأنّها تأخذ على البولونيّين أنّهم ساعدوا في عمليّات إفناء اليهود أثناء الاحتلال النّازي.

مقابل هذا، فإنّ الدعاية الصّهيونيّة تستخدم عادة وبمهارة الاختلافات القائمة في سياسة البلدان الاشتراكيّة نحو الأقلّية اليهوديّة، وتعارض سياسة الاتّحاد السّوفييتي مع بلدان أخرى كرومانيا مثلاً وتستغلّ أيضاً، الاختلافات الموجودة بين جميع البلدان الاشتراكيّة فيما يخصّ تقييم وتثمين 'القضيّة الألمانيّة' . إنّ هجمات الدّعاية الصّهيونيّة الصّادرة عن الغرب كان هدفها تليين وتفتيت البلدان الاشتراكيّة المتّهمة 'بمعاداة السّاميّة' .

تماماً قبيل النّزاع الإسرائيلي- العربي ثمّ أثناء العدوان ركّزت الدّعاية الصّهيونيّة الغربيّة كلّ قواها وجهودها لكي تربح عطف أوسع أوساط الرّأي العام، وخلق تيّار داعم لإسرائيل، ومبدئياً حقّقت نجاحاً كاملاً فيما يتعلق بالجماعات اليهودية ونجاحاً جزئياً في بعض الأوساط غير اليهودية.

وتُعطي النّمسا مثالاً: - نشرت الصّحف والإذاعة والتّلفزيون المقالات والأخبار المتحيّزة تماماً لإسرائيل وكانت تعليقاتها متماثلة، فالتلفاز النّمساوي قدّم العديد من المقابلات المؤيّدة لإسرائيل.. ومن بينها مقابلة مع سفير إسرائيل في فيينّا ثمّ مع متطوّعين يهود كانوا يستعدّون للذّهاب إلى إسرائيل وكانت تشيد بشجاعة الجيش الإسرائيلي وتعلّق بسخرية وتهكّم على مساعدة الاتّحاد السّوفيتي والبّلدان الاشتراكيّة للدّول العربيّة.. في السّابع من نيسان نظّم مدير مركز التّوثيق اليهودي في فيينّا المهندس وايسنتال مؤتمراً صحفيّاً قدّم خلاله معلومات كاذبة، منها أن ستّة إلى سبعة آلاف مجرم حرب هتلري يعيشون مختبئين في كلّ من الجمهورية العربية المتّحدة وسورية وذكر وايسنتّال قرابة ٣٠٠ اسماً من النّازيّين الذّين - حسب زعمه - يتابعون نشاطاتهم في الجمهورية العربيّة المتّحدة ومن هذه النشاطات تنظيم حركة فاشيّة جديدة.. وهاجم البلدان الاشتراكية واللّجنة الدّولية الخاصّة 'بأوشويتز' الاتّحاد البولوني للمناضلين من أجل الحرّيّة والدّيمقراطيّة الذين - حسب زعمه - يضيّعون وقتهم في دعايتهم الموّجّهة ضدّ الجمهوريّة الفدراليّة الألمانيّة.. بدلاً من ملاحقة مجرمي الحرب. لقد جرى هذا المؤتمر الصّحفي بحضور فئة من المراسلين النّمساويّن والأجانب،

بينهم مراسلان اثنان لراديو 'أوروبة الحرة - إيروب - ليبر' وتمّ نقل وقائعها مباشرة من قبل راديو هولاندة.

إن الأعضاء النّاشطين للحركة الصهيونيّة ومعهم الأوساط ذات النفوذ المالي اليهودي في الغرب قد نشروا بإمداد ضخم من الوسائل واقع أنّ الولايات الأمريكية كانت تعدّ دعمها ومساعدتها لعدوان إسرائيل مؤكدين أنّ أحد أنواع الدعم إيّاه كان، في حال تعرّض وجود دولة إسرائيل للخطر، يقدّم الأسطول السّادس الأمريكي مساعدته المباشرة للقوّات الإسرائيلية.. إنّ هذه الدّعاية الصّهيونيّة التي تابعت خلال وقت محدّد ، نشاطها المدوّي لعبت دوراً أساسياً في تحقيق تضامن الأوساط الإسرائيليّة في البلدان الغربيّة وقد ساهمت في النّشاط إيّاه المنظّمات اليهوديّة اللّيبراليّة واليساريّة التّي أبدت رأيها المؤيد لإسرائيل.. ومن بين مظاهر التّعبير عن تضامن الأوساط الإسرائيليّة كانت التظاهرات المؤيّدة لإسرائيل التي قامت في البلدان الغربيّة وكذلك تعاظم التطوّع اليهودي النّشط لدى يهود الشّتات من أجل مساعدة إسرائيل.

لقد ساهمت جماهير يهود البلدان الغربيّة بعمليات جمع الأموال لإسرائيل ففي النّمسا مثلاً، تمّ جمع ما يقارب عشرين مليون 'شيلن.. وفي فرنسا تعهّد اليهود الميسورون بمبلغ يساوي ١٠٪ من دخلهم الشهري لأجل إسرائيل وفي إطار هذه المساعدة تمّ أيضاً جمع 'بلاسما الدم' والأدوية الأخرى . وقامت المنّظمات الصهيونيّة بتعبئة المتطوّعين اليهود وقد بلغ عددهم ٥٠٠ ألف متطوّع من الولايات المتحدة الأمريكية والبلدان الأوروبيّة.. كما أنه، وقبل اندلاع النزاع المسلّح، انتقلت من هولندة إلى إسرائيل مجموعة متطوّعين بلغ عددها ٣٠٠ ألفاً. وحتى ٢٥ أيّار، كان على القنصليّة الإسرائيلية في باريس أن تسجّل أكثر من ٨٠٠٠ شخصاً أعلنّوا تطوّعهم.

- 'سيمون وايسانتال' الّذي سبق وتحدّثنا عنه، أرفق حملته المؤيّدة للصّهيونيّة والمساعدة لإسرائيل بالهجوم على بولونيا.. وبالاتّفاق مع الطائفة اليهوديّة في فييّنا، ولجنة التّضامن مع إسرائيل، نّظم في ١٨ حزيران، في معسكر موتوزين السّابق، تظاهرة جمعت قرابة ٨٠٠ شخص جاء أغلبهم من فييّنا بالأوتوكارات (الحافلات).. وانتقد رئيس الطائفة اليهوديّة الدكتور فيلديسبرغ، في خطابه، البلدان الاشتراكية، وبخاصّة بولونيا، بخصوص موقفها ودعايتها،

متّهماً إيّاها بنشر الأكاذيب في موضوع النّزاع وقطع علاقاتها الدّبلوماسيّة مع إسرائيل.. وكانت الأعلام المرفوعة في الاحتفال تحمل العبارات التّالية: 'نريد السّلام وأمن إسرائيل'..

'الشكر لجيش إسرائيل البطل'.. ' Blitz krieay إسرائيلي أنقذ السّلام العالمي'.. 'التّضامن مع إسرائيل ضدّ العدوان وقتلة الشعوب'.. 'أمس كان هتلر واليوم ناصر'.. '١٩٣٩ كان هتلر - ستالين - واليوم ناصر - موسكو'.

إنّ أوساط المهجّرين اليهود من بولونيا الذين يبلغ عددهم قرابة ٣٥٠ ألف نسمة قد قدّموا دعمهم لوضع حكومة إسرائيل فيما يخصّ العدوان ضدّ البلدان العربيّة والأجواء 'الشوفينيّة' (التعصّبية العنصريّة) والمواقف المعادية لبولونيا تفاقمت وتزايدت حدّتها بواسطة الصّحف اليوميّة الحكوميّة التي تُنشر باللّغة البولونيّة مثل الجريدة اليومية Nowiny I kurier والجريدتين الأسبوعيّتين Odnotva perzeglad خلال الحقبة الّتي سبقت عدوان إسرائيل أثيرت موجة جديدة من الدعاية المعادية لبولونيا بواسطة الصّحافة الإسرائيلية، وكتّابها كانوا قبل أيّ شيء آخر، من الصّحفييّن الذّين هُجّروا من بولونيا بعد الحرب.. وتمّ تجديد الهجوم ضدّ الشّعب البولوني وقادته وتوجيه تهمة اللاّساميّة (العداء للسّاميّة) إلى الأمّة البولونيّة وأنّها لا تختلف عن هتلر في ارتكاب ما يماثل جرائمه هذا، وبالمقابل تكيل التمجيد لألمانيا الجديدة: جمهورية ألمانيا الاتحادية.

ومباشرة قبل العدوان قام محرّرو Nowiny I kurier بتوجيه النّداء إلى قُرّائهم سواء داخل إسرائيل وخارج حدودها يطلب منهم تعبئة الرّأي العام بجميع الوسائل للحصول على مساعدة متزايدة لإسرائيل وسياستها.. كما يطلب تنظيم المساعدات الماليّة وسواها، وفي النّهاية مضاعفة أعداد المتطوّعين المطلوب أن يملأوا أماكن الإسرائيليّين المدعوين لخدمة العلم في المشاغل والأعمال الحرفيّة.. وبعد العدوان قام المحرّرون إيّاهم بتوجيه الحملة الشّاملة لذمّ بولونيا والحطّ من قدرها.. وفيما يلي نقدّم لمحات موجزة وملخّصة مأخوذة من بعض المقالات المنشورة في هذه الجريدة اليوميّة خلال أسبوع واحد فقط من ١٦ إلى ٢٢ آب ١٩٦٧: ١٦ آب - خبر عن تسمية الكولونيل باروخ باروشين في مركز قائد سلاح المشاة الإسرائيلي وباروشين مهندس بناء وُلد منذ ٤٥ عاماً في بولونيا ووصل إلى

إسرائيل عام ١٩٤٣ وهو برتبة ضابط في جيش Anders . ١٧ آب نقل ونشر مقال عن جريدة التّايمس عنوانه: 'القضيّة اليهوديّة في بولونيا'.

١٨ آب مقال لألكسندر غلوكمان عنوانه 'حول كواليس الكذب' وهو مناظرة وجدال مع مقال نشرته الأسبوعيّة التي تصدر في وارسو (كوليزي kulizi) عنوانه: (المساعدة والدّعم من قبل 'بون' للعدوان الإسرائيلي).. كذلك مع مقال G. Wojeieehowski المنشور في الأسبوعية Dookola Pwiata بعنوان 'أبناء آوى' Les Chaeals'. غلوكمان يدخل أيضاً في مناظرة وجدال مع تصريح K.rousinek

مؤكداً أن جمهورية ألمانيا الاتحاديّة قدّمت مساعدة فعّالة في تدريب الجيش الإسرائيلي.

وهناك مقال 'ألكسندر سزيرسكي' بعنوان 'ليس لي إلاّ وطن واحد'.. كاتب المقال يقدّم البرهان أنّه بولونيّ الأصل، يهوديّ، يبلغ من العمر ٥٠ عاماً وفي إبّان أزمة الشّرق الأوسط. كان مسافراً بمهمّة في تشيكوسلوفاكيا والنّمسا وأنّه بحكم الموقف الّذي اتّخذته بولونيا قرّر عدم العودة إليها والذهاب إلى إسرائيل.. والمقال مُحرر على شكل بل بدافع تقديرات ومؤثّرات شخصيّة ليهوديّ يتملّكه الشعور أنه بولوني. ٢١ آب - نُشر مقال بعنوان ' بيانات وكالة أنباء بولونيّة' والمقال يصف كيفيّة إنقاذ بعض ضحايا العدوان من قبل البحّارة البولونييّن وتشير 'نوويني إلى كوربيه' إلى أنّ المقال إيّاه صادر عن الوكالة البولونيّة وأعادت نشره وكالة 'نوفوستي' السّوفييتيّة ونصّ المقال يبلغ ٨٠ -٩٠ سطراً.

-٢٢ آب صدر 'نص رسالة المقاتلين ضدّ هتلريّة حكومة الجمهورية العربيّة المتّحدة'؟ وموضوع الرّسالة إعادة مزخرفة موّقعة من قبل اتّحاد المحاربين القدماء ومشوّهي الحرب وموجّهة ضد 'الهتلرية'، ومن قبل كلّ من 'أنصار ومقاتلي الـghettos واتّحاد الـVeterans للحرب العالميّة الثانيّة'.

- العدد الثالث (تموز ١٩٦٧) للمجلة الصهيونيّة 'Der Ausweg' التي تصدر باللّغة الألمانيّة في عدّة بلدان غربيّة يحتوي على مقال بعنوان 'بولونيا لم تتعلّم شيئاً' وهو متوافق مع العنوان الفرعي 'واقع مُحزن- اللاّسامية باقية حيّة ضد اليهود'.. المقال غير موقّع ولكنّ ما تضمّنه من حجج وبراهين يُعيد إلى الذّاكرة تلك التّصريحات الّتي أطلقها 'ويبسنتال' في مؤتمره الصّحفي لشهر

حزيران وهي مقدّمة وفق الديباجة المعروفة جيّداً والّتي نجدها في المؤلّفات المعادية لبولونيا لليون أوريس أو كوزنسكي. ويذكّر الكاتب، بادئ ذي بدء، بتصريح 'هملر' في مؤتمر ee W (كانون الثاني ١٩٤٢) الّذي برّر فيه الإفناء الجماعي لليهود على أراضي الـ 'Gou verne ment General' ثمّ كيف كان البولونيّون، لقاء مئة زلوني ولتر فودكا، يساعدون اليهود.. وكيف كانوا يتصرّفون في 'معسكرات الحشر'.. ثمّ ينتقل إلى الزّمان الحالي فيتّهم السلطات البولونيّة بالتعتيم والصّمت إزاء كون ٩٠٪ من المواطنين البولونيّين الّذين قُتلوا خلال الاحتلال كانوا يهوداً ثمّ يذكر أنّ أحداث الشّرق الأوسط بعثت في بولونيا موجة من الدّعاية الحاقدة والمعادية للسّاميّة.. ويشير إلى أن خيبة الأمل والمرارة لدى الذين كانوا تربطهم ببولونيا أواصر تقليديّة وفي الختام يطرح السّؤال: 'هل هو صحيح أنّ اللاّساميّة ضدّ اليهود يجب أن تنبعث من جديد في بولونيا؟'

ويحتوي العدد المذكور نفسه على النّصّ الموثّق الكامل للمؤتمر الصّحفي المنعقد في ٧ حزيران تحت عنوان: 'جَنّة من أجل النّازيّين'. ومن جانب آخر أظهرت مجموعة مقالات شهر حزيران أنّ الحركة الصّهيونية كانت في حالة تعبئة كاملة.. فأعداد تموّز لصحيفة 'دير أوسويغ' و 'نووينى إي كورييه' و'بنو ويلت' الصهيونيّة كانت كلّها تنشر المقالات الواسعة الّتي تحلّل مواقف مختلف البلدان من النّزاع الإسرائيلي العربي.. نيو ويلت خصّصت عدّة مقالات مخصّصة لتحليل موقف جمهورية ألمانية الفدرالي، وفرنسة، والنّمسا، والصّحافة العالميّة.

– وبقصد إدانة جميع الّذين اتّخذوا موقف المعارضة للعدوان الإسرائيلي، ركّز محرّرو المقالات المذكورة على التعريف بسياسة الحكومة الإسرائيلية وشجبها للاّسامية.. ولنقرأ في إحدى المقالات إيّاها في صحيفة 'Haderekh' :

– 'هاجمت بقوّة الصحيفة الإسرائيلية 'ماآريف' (التي كان 'فيليب بن' أحد مؤسّسيها وهو المراسل السّابق في بولونيا لجريدة 'ليموند' وتمّ استدعاؤه من قبل السّلطات البولونية) التصّريح الرّسمي الصادر عن جمهورية هنغارية الشّعبيّة والّذي أدان العدوان الإسرائيلي واتّهامها لحكومة هنغارية باللاّساميّة.. وواجهت الصحيفة المذكورة بالصّمت 'تمرير' التّصريح إيّاه بحجّة أنّه غير موجّه ضدّ ديانة أو طائفة أو عرق محدّد بل موجّه، فقط، ضدّ عملاء 'الإمبريالية'.

وتميزت مقالات الصّحف الإسرائيلية من حيث الأسلوب ولكنها كانت على جانب كبير من سوء الذوق وهي تكيل افتراءاتها ضدّ بولونيا وهي - المظالم الهتلريّة المرتكبة على أراضي بولونيا. ويبقى هو نفسه، لا يتغيّر المنطق الافترائي لهؤلاء الكُتّاب: من يكتب، أو يبدي تصريحاً ضدّ العدوان الإسرائيلي ويكون من غير اليهود فهو 'معادٍ للسّاميّة'.. أمّا من يفعلون هذا من اليهود أنفسهم، فهم 'عملاء'.. ومن بين أصحاب هذا المنطق، نجد كمثال، مقال 'مارك جيفن' في الجريدة اليوميّة الإسرائيليّة 'آل هاميشمار' (٢٠ حزيران) وفيه يهاجم اليهود المنتمين للجمهوريّة الدّيمقراطيّة الألمانيّة من أجل مواقفهم المعادية للصّهيونيّة.. وكما لاحظت، وكانت على حق، 'الهاديّريك' بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٦٧ فإن الصّحافة الصّهيونية قد أسدلت حجاب الصمت على حقيقة كون الخطّ المحدّد بين الذين يؤيّدون العدوان وبين الّذين يدينونه، ليس معيّناً على أساس المعيار الوطني بمعنى أنّ هناك أناس من غير اليهود يؤيّدون العدوان مثل: فرانز جوزيف شتراوس، جاك سوستيل، ريشارد نيكسون، والمحرّكون الأوائل لعدوان ١٩٥٦ ضدّ مصر مثل 'غي موليه وأنطوني إيدن'.. إلاّ أنّه، من جهة أخرى، يوجد، من غير اليهود، من يفرّق بين ما هو عادل وما هو ظالم حتى إذا كان الأمر يتعلّق بدولة إسرائيل، المثال: آل هاميشمار (٢٠- ٢١- ٢٢- حزيران ١٩٦٧)- دافار (٢٣ حزيران ١٩٦٧)- Lamershau (٢١ حزيران ١٩٦٧)- ما عاريف (٢١ حزيران ١٩٦٧)- يديعوت آحرنوت (٢٣ حزيران ١٩٦٧) التي نشرت مقالاً بعنوان متميّز: 'أكره البولونييّن' إلخ...)

- والصّحافة الإسرائيليّة، في حقدها الأعمى على الأمّة البولونيّة، لأنّها أدانت المعتدين بقوّة وعنف، هذه الصحافة التي توجّهها السّلطات الحاكمة وأوساط الدّعاية الصّهيونية صعّدت حملة طويلة النّفس ضدّ بولونيا (M.Sneh السكرتير البولوني السابق لنادي المندوبين الإسرائيليّين إلى La Diete Polonaise قبل الحرب).

والجدير بالذكر أيضاً هو أنّ تصريح حكومة بولونيا الّذي شجب وأدان عدوان إسرائيل لم يُنشر إطلاقاً من قبل الصحافة الإسرائيليّة.. ومقابل ذلك فإنّ تجاوب حكومة إسرائيل مع ممثّلي الأوساط الإسرائيلية المتطرّفة والفاشيّة مثل دايان وبيغن لقي تأييداً واسعاً من قبل مختلف منظّمات المهاجرين اليهود من

بولونيا في إسرائيل.. الّذين قدّموا دعمهم الكامل 'لحكومة الوحدة الوطنيّة' هذا الدّعم الّذي - الصحافة حقولها الواسعة للتعبير عنه..

ومن المؤسف أنّ الجماعة المؤيّدة للصّهيونية المنشقّة عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي، جماعة 'ميكونيس سنيح' (السكرتير السياسي السابق لنادي المنتدبين الإسرائيليّين إلى La Diete Polonaise قبل الحرب) التي تشمل إدارتها مهاجرين من بولونية مثل 'م. سنيح المذكور وبريتشتاين'.. هذه الجماعة قدّمت أيضاً دعمها البرلماني إلى حكومة 'إشكول' وإلى سياسته المتعلقة بالأزمة القائمة مع البلدان العربيّة..

وحدها، جماعة مكوّنة من ثلاثة أشخاص يوجّهها 'ويلنر' ممثل الحزب الشيوعي الإسرائيلي، صوّت في البرلمان ضدّ عدوان إسرائيل على البلدان العربيّة وحظي بتقدير كامل من قبل البلدان الاشتراكية لموقفه هذا (وقد أشارت صحافة إسرائيل إلى أن زعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي تعرّض لاعتداء عليه وجُرح في أحد شوارع تل أبيب في تشرين الأول ١٩٦٧).

بعد نشر وتعميم تصريح الحكومة البولونيّة الخاص بالعدوان بوشر حالاً في إسرائيل موقف مضادّ تُميّز فيه بصورة خاصّة الصّهاينة من أصول بولونيّة ووجّهت إلى المسؤولين في سفارة الجمهورية الشعبيّة البولونيّة في تل أبيب تصريحات عديدة تؤكد أنّ المهاجرين اليهود من بولونية يعتبرون تصريح الحكومة البولونية 'عملاً عدائياً' موجّهاً إلى إسرائيل.. 'وأنّ الرّأي العام في كلّ مكان يشجب موقف بولونيا..' واستعملت تعابير وصيغ مثل: 'يجب اعتبار بولونيا عدوّاً ويجب أن يُواجه بمنتهى القسوة.. لأنّ بولونيا أعطت البرهان أنّها ليست أفضل من روسية واليهود لا يسامحون أعداءهم إطلاقاً'

'لقد تصرّفت بولونيا بطريقة غير مسؤولة ويهود بولونيا ساخطون ويعتريهم الخجل لأنهم من أصول بولونيّة.. سيكفّون عن الكلام باللّغة البولونيّة ويرفضون انتمائهم أصلاً لبولونية..'

- 'بولونيا تصرّفت تجاهنا كعدوّ وستلمس ردّنا على ذلك' وتجدر الإشارة هنا، أنّ ثمّة محاولة- جرت استثناءً في هذا الظرف- لإظهار مشاعر وآراء عدائيّة ضدّ بولونيا وبشكل استفزازي، وكمثال، في الثامن من حزيران ١٩٦٧، رفض بريد تل أبيب قبول برقيّة جاء بها موظّف من سفارة الجمهوريّة الشعبيّة

البولونيّة موجّهة إلى بولونيا.. وقيل للموظف إيّاه، بكلّ صراحة، إن مثل هذه البرقيات يمكن أن توجّه إلى جمهورية ألمانية الفيدراليّة أو إلى غيرها من البلدان ولكن ليس إلى بولونيا؟!

- في 'نووينـي إي كوربيـه' تاريخ ٢٤ تموز ١٩٦٧، يقول 'ناتان روزنبرغ' مذكراً: - ' مادامت حكومة بولونيا قد قطعت علاقاتها الدبلوماسيّة مع إسرائيل، وقد أغلقت سفارتها في تل أبيب فقد تركت عندنا، مع ذلك، 'بنك بيكاو'.. ونظراً إلى المشاعر المعادية للسّاميّة التي عومل بها دبلوماسيّونا لدى مغادرتهم وارسو.. وإزاء الحملة المعادية لليهود التي قامت بها حكومة بولونيا، ففي تقديري أنّ الزّبائن الإسرائيليين لبنك 'بيكاو' Pekaio يجب أن يتحمّلوا النتائج التي تفرض نفسها.. فقد حان الوقت الّذي فيه يتوجب على الإسرائيليّين أن يسحبوا جميع أرصدتهم وجميع ودائعهم.. فالكرامة الوطنية توجب على أيّ إسرائيلي عدم دخول أبواب هذا البنك..'

- الجريدة اليوميّة الإسرائيليّة Haioni تاريخ ١٣ حزيران ١٩٦٧، حاولت 'إشاعة الخوف' عندما صرّحت بأنّه يوجد في إسرائيل ما يقارب نصف المليون مهاجر من بولونيا لديهم حسابات يريدون تصفيتها مع الشّعب البولوني ومع بولونيا بالذّات..' ('أوروبة الحرّة' والصحف الإسرائيلية والصحف اليوميّة الغربيّة، بتوجيه من الصّهاينة،نشرت خبراً كاذباً يقول إن الدبلوماسيّين الإسرائيليّين تعرضوا لماحكة ومشاجرة قبل مغادرة وارسو من قبل سكان العاصمة الّذين زعمت الصّحف إيّاها أنهم جاؤوا على شكل جماعات كبيرة مظهرين عداءهم لإسرائيل..).

إن هذا الموقف من قبل المهاجرين اليهود من بولونيا، حيال عدوان إسرائيل ضدّ البلدان العربيّة، ليس فيه شيء مستغرب أو غير منتظر، إنّه، ببساطة، النتيجة المنطقية للموقف المعادي لبولونيا والمعادي للشّيوعيّة من قبل معظمهم وبخاصّة من قبل الّذين هاجروا من بولونيا بعد الحرب.. فهذه الشريّحة من المهاجرين مصمّمة على تبني مواقف علنيّة شوفينيّة ومعادية للشّيوعيّة وتقديم دعمها الكامل للسّياسة الرّجعيّة المؤيّد للإمبرياليّة والاستعمار الجديد أي سياسة حكومة إسرائيل..

ويجدر التذكير هنا، أنّ يهود بولونيّا، وبخاصة الّذين، منهم، هاجروا بعد الحرب، يشغلون، في إسرائيل، عدة مراكز هامّة في جهاز الدّولة وفي الأحزاب السّياسيّة والحياة الاقتصاديّة والصّحافة ومؤسّسات الدّعاية إلخ..

ويكفي القول أنّه من بين ١٢٠ نائباً في البرلمان الإسرائيلي، ٢٧٪ هم من أصول بولونيّة.. كما أنّ هناك حقيقة أخرى هي أنّ البوليس الإسرائيلي وقوّات إسرائيل المسلّحة مدعّمة بشكل واسع بكوادر من الضبّاط المؤهّلين الّذين جاؤوا من بولونيا أثناء هجرة يهود بولونيا إلى إسرائيل خلال الأعوام ٤٨/١٩٤٧ و ٥٨/١٩٥٦.

كان الزعماء المسيطرون الصّهاينة في إسرائيل يتوخّون أن يكون موقف الأمّة البولونيّة تجاه نشاطاتهم في ضمّ وإلحاق الأراضي هو الذي وصفته. الصّحيفة الأسبوعيّة 'بريزيغلاد' في عددها تاريخ ٢٨ حزيران ١٩٦٧ تحت عنوان 'سبع باقات زهر' وفيه نقرأ مايلي: - '.. في اليوم الأول، وبينما كانت المعارك محتدمة على الجبهة الإسرائيليّة، قامت سيّدة بولونيّة بزيارة سفارة إسرائيل في 'وارسو' حاملةً سبع باقات زهر، وكلّ باقة كانت ملفوفة بشريط وعلى كلّ شريط تسجيل رمزي معيّن: -الأول كان شريطاً أسود تمجيداً لذكرى الأموات.. والثاني موجّه إلى الجنود المقاتلين.. والثالث إلى دايان.. والرّابع إلى الحكومة الإسرائيليّة.. والخامس إلى الشّعب اليهودي.. إلخ.. إلخ..

- بهذه الطريقة أرادت هذه المرأة المجهولة الّتعبير عن آرائها ومشاعرها وإعجابها بالجنود الإسرائيليّين الأبطال..

- لقد وضعت الباقات في الباحة واختفت.. وهذا التّكريم الصّامت والمؤثّر ليس فيه شيء استثنائيّ فعديدون هم سواء من أبناء الشارع أم من الشخصيّات المعروفة، ومن غير اليهود خصوصاً، منهم الشباب ومنهم الشّيوخ، عبّروا عن مشاعرهم تجاه إسرائيل المقاتلة.. فمنهم من يخاطب السّفارة بواسطة الهاتف.. ومنهم كان يرسل البطاقات البريديّة حاملة كلمة واحدة: 'برافو!' .. ومنهم أيضاً كانوا يعبّرون عن تأثرهم بالذّهاب والتّطوّع للقيام بأيّ عمل..'

إن آلية الدّعاية الإسرائيليّة كانت تجذب إليها أيضاً أصدقاء مخلصين من بين المهاجرين البولونيّين في بلدان الغرب الّذين تجمّعوا حول الصحيفة الشّهريّة الباريسيّة 'كولتورا' وحول القسم البولوني من برامج 'راديو أوروبة الحرّة' وهما

المركزان الدّعائيّان اللذان اغتنما الفرصة من أجل أن يكونا 'الناطقين بلسان الرّأي العام البولوني' وهما مغتبطان بنجاحات إسرائيل الرائعة..'

كما أنّ الموقف المتخذ من قبل 'أوروبا الحرة' لمصلحة إسرائيل ما كان إطلاقاً بلا قصد أو هدف.. مادام مدير القسم البولوني 'جيزيورانسكي إلياس نوفاك' موجّه مختلف النشاطات ضدّ بولونيا وأقرب مساعديه إليه 'ميشال غامازنيكوف' مادامًا قد قطعا أيّ رابط يربطهما بوطنهم الأصلي.. فقد جمعا حولهما المحرّرين 'بوزنسكي - كليبانسكي- دوروفسكي- بالستر- بونس- ستيبول- نيكوفا- مييكزكوفسكا-.. كما تتألف سكرتاريّة نائب المدير من 'شخصيات' مثل: غامارنيكوفا - ناتانسينوفا - راتوفا وأخته كاليسزيفسكا.. وكلّ هذه المجموعة الشّديدة الالتزام بالحركة الصهيونيّة في 'ميونخ' استخدمت تكتيكاً ليس مبعث خجل للقوى المتطرّفة المتجمّعة حول موشي دايان.. إنّها تستخدم في نشاطاتها برامج 'إذاعة أوروبة الحرة' المترجمة إلى البولونية وعبرها تمجّد إسرائيل وهذا، يا للسّخرية!، يُذاع باسم المواطنين البولونيّين في بولونيّة..

إنّ التركيز على وجود القسم البولوني في 'أوربّة الحرّة' ومن الصّهيونيّين المهاجرين من بولونيا كان من أولويّات هذه المحطّة.. وهذه الأولويّة ظهرت للعيان منذ بدأ مذيعو راديو *'أوربّة الحرّة'* يطالعون تحقيقاً تمّ وضعه انطلاقاً من تصريحات 'مسافرون قادمون من بولونيا' التي تتخذ موقفها من عدوان إسرائيل على ضوء مسلسل 'محادثات مع ممثّلي أوربّة الحرّة'.. وحتّى لا تتشوّه مصداقيّة عمل 'أوربّة الحرّة' يتوجّب أخذ العلم بتحقيقاتها المنشورة بعد بثّها إذاعيّاً في الصّحيفة الشّهريّة (Na Antenie) (العدد ٥٢ تاريخ ٣٠ تمّوز ١٩٦٧) التي تصدر في جمهوريّة ألمانيّا الاتّحاديّة.

وفيما يلي مثال منها:

'يتوجّب أن أصرّح بصدق أنّ ليس عندي أيّ تعاطف مع اليهود.. عديدون هم الذين احتلّوا مراكز هامّة في جهاز الحزب في بولونيا.. وعدد كبير منهم كانوا، خلال الحقبة الماضية، مسؤولين عن جرائم ارتُكبت.. إلاّ أنّني، وفي النّزاع الحالي الإسرائيلي- العربي أنا مع إسرائيل كلّيّاً.. أمّا أمر قيام حكومة جمهوريّة بولونيّة الشّعبية بقطع علاقاتها الدبلوماسيّة مع إسرائيل فإنّه يعود -كما كان يقول واحد

من رفاقي- إلى 'البصق على ذكرى ملايين اليهود الذين ذُبحوا خلال الحرب الأخيرة'.

وقال طالب قديم من إحدى المدارس العليا يسكن مدينة أوبول:

'فيما يخصّ النّزاع العربي- الإسرائيلي لستُ فقط وحدي بل الأكثرية العظمى من المجتمع نقف إلى جانب إسرائيل'.

أحد التكنوقراطيّين من كراكوف' جرى التّساؤل معه في إحدى محطّات باريس حول موقفه إزاء النّزاع في الشّرق الأوسط:

'طبيعي أن أكون متعاطفاً مع إسرائيل فانتصارها برهن للعالم عن حقيقة الاعتقاد بالقوّة الإسرائيليّة.. ومن جهة أخرى فإن انتصار إسرائيل كان برهاناً على تفوّق الذّكاء على الحقد الذي يرتكز عليه الجانب العربي'.

موظّف في مجلس إدارة مدينة (Szezecim) عمره ٥٠ عاماً قال:

'ما من شكّ إطلاقاً أنّ المجتمع البولوني، في السّاعة الحاضرة سيتلقّى إلى حين، موجة جديدة من الدّعاية الرّسمية التي تدين إسرائيل.. وجميع الوسائل صالحة لذلك كما هي العادة دائماً، وسنسمع مجدّداً من بين الشّعارات المعادية لإسرائيل، 'أنّ الإمبرياليّين الإسرائيليّين ينزعون منذ زمن طويل لتحقيق فتوحات جديدة وأنّ إسرائيل تقتل بواسطة النابالم'.. وكلّ هذا لا يخلو من النبرة الألمانيّة المعروفة جيّداً.. مع الزّعم أنّ ثمّة بلاغ أذاعه راديو إسرائيل يقارن بين نجاحات الطيران الإسرائيلي وبين هجوم 'لوفتواف' الألماني ضدّ بولونيا عام ١٩٣٩.

ومعلوم ما هو المقصود من هذه الحملة إذ يحاولون أن يوقظوا لدى البولونيّين مشاعر معادية للساميّة.. وما هو مثير للاشمئزاز بصورة خاصّة أنّهم يكذبون بوقاحة.. وأنّ بين الذين وضعوا أنفسهم في خدمة مثل هذه الحملة الدّعائية يوجد صحفيّون بولونيّون من أصل يهودي مثل 'ستيفان آرنسكي' مثلاً..

ومهندس في سن الأربعين من وارسو:

'جميع عواطفي تتوجّه إلى إسرائيل.. لقد حقّقت إسرائيل نصراً ساطعاً وضخماً من وجهة نظر عسكريّة.. وما هو جدير بالإشارة أنّ إسرائيل كانت دائماً الشّبيه لمثال داود الذي يواجه جليات العربي.. لقد كان الشّعب البولوني معجباً دائماً بشجاعة إسرائيل ولهذا في بولونيا، السّعادة عامّة بنصر إسرائيل'.

إنّ المحتوى لهذا التحقيق، أقوى برهان على 'القدرات النفسانيّة' لاختصاصيّي محطة 'أوربّة الحرّة' وعلى معرفتهم لمشاعر المجتمع البولوني في الجانب الآخر من 'الستّار الحديدي' ويُروّعنا فعلاً التحقّق من جهل هؤلاء السّادة وعدم معرفتهم لحقيقة الرّأي العام البولوني وإلاّ كانوا كتبوا ونشروا مثل هذه الحماقات البلهاء واتّخذوها أمثلة صبّوها في تحقيقات مزعومة افترضوا أنّها منسوبة إلى 'طلاّب' .. إلى موظّف عمره ٥٠ عاماً .. إلى 'تكنوقراطي' إلى 'من يزعم أنّه مهندس من بولونيا ..

ولمّا كان ما يبثّه راديو 'أوربّة الحرّة' مقدّر للبولونيّين أنّهم يسمعونه وأعني البولونيّين الذين يعيشون في البلدان الأجنبيّة .. وأن الصّحيفة الشّهريّة Na Antenie موجودة للبيع في المكتبات والأكشاك البولونيّة في البلدان الغربيّة، نريد أن نلفت انتباه مذيعي راديو 'أوربّة الحرّة' وقرّاء الصّحيفة الشّهريّة المذكورة إلى بعض الوجوه الخاصّة لهذه المسألة:

إنّ الضّبّاط الإسرائيليّين الذين أثاروا إعجاب البولونيّين المحقّق معهم، بسبب نجاحهم الذي أحرزوه على خصم أضعف منهم .. هؤلاء الضّبّاط لا يمكنهم الاعتماد على تعاطف الشّعب البولوني لأنّ هذا الشّعب يحفظ في ذاكرته جيداً الاحتلال وكلّ حملة أخذت بأسلوب (Rlitz Krieg) الهتلري وتوحي بالكراهية الكبرى .. أضف إلى ذلك أنّ الحملة الإسرائيليّة قادها أناس -سبق لهم في حقبة مضت- أن تجاوزوا الشّرعيّة والقانونيّة 'ضدّ مواطنينا' كما سبق لهم عقب مغادرتهم بولونيا بعد عام ١٩٥٦ أن 'استوطنوا في إسرائيل' بهدف القيام بدورهم بعد ذلك في العدوان على البلدان العربيّة .. وأكثر من واحد من هؤلاء الضّبّاط الذين تميّزوا 'في الحقبة الماضية' بوحشيّة متميّزة مارسوا نفس الأسلوب ضدّ السّكان المدنيّين العرب .. في الأراضي المحتلّة تماماً كما فعلوا ذلك قبلاً في بولونيا .. حتّى أنّ ثلاثة قاصرين بولونيّين كانوا موضوع التجربة حيث تمّ سلبهم ونهبهم ثم قتلهم مع غيرهم من قبل جنود إسرائيليّين غير نظاميّين (soltda tesques) يتكلّمون البولونيّة .. وهؤلاء هم الذين أدانهم وسخط عليهم ما زعم أنّه موظّف من مدينة Szezecin البالغ من العمر ٥٠ عاماً. الذي تمّ اختراعه تماماً وبأسلوب غير حاذق من قبل 'علماء النفس' في محطّة 'أوربّة الحرّة'.

عام ١٩٦٧ نشر معهد Literacki في باريس (وهو معهد ثقافي يتولّى طباعة 'كولتورا' الشّهريّة) نشر مؤلّف 'آليسيا زاوادز كاويتز' وعنوانه 'أفكار حول بعض الوقائع' وفي الصّفحة ١٠٠-١٠١ قالت المؤلّفة بكلّ وضوح، من كان المسؤول عن أعمال العنف والقمع والإرهاب أثناء حقبة وجود الضّباط الإسرائيليّين موضوع بحثنا وجودهم في بولونيا وتعتبر الآراء التي تذكرها موثّقة 'انعكاساً صحيحاً للمجتمع البولوني' ولا تخشى أن تُتّهم باللاّساميّة عندما تكتب: 'خلال الحقبة الماضية في بولونيا كانت المراكز المسؤولة في جهاز الأمن والإعلام والدّعاية في أيدي اليهود'.

وعلى العكس من ذلك، تُتّهم محطّة 'أوربّة الحرّة' بواسطة ما تذيعه من معلومات، تتّهم البولونيّين بأنّهم لاساميّين لأنّهم أدانوا العدوان الإسرائيلي ولأنّ جمهوريّة بولونيا الشّعبية قطعت علاقاتها الدبلوماسيّة مع إسرائيل.. عقب أعمال العنف والقمع والظلم المرتكبة من قبل هذه الدولة.

إنّ 'المتخصّصين بالقضايا البولونيّة يعتمدون دائماً على البساطة وفقدان الذّاكرة لدى الذين يستمعون إلى بثّهم الإذاعي وهذه الخاصّة أصلاً في دعاية 'أوربّة الحرّة' هي التي نشرت بقعة الزّيت بين الكتّاب المهاجرين وخصوصاً بين الذين يتلقّون من مصادر مختلفة مباشرة أو غير مباشرة يتلقّون 'إكراميّاتهم' سواء من إسرائيل أم من صناديق المنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة.. هكذا وكمثال، حاول كاتب يوقّع ما يكتب بتوقيع 'صيّاد اللؤلؤة' حاول إقناع المهاجرين البولونيّين بأنّ سفير إسرائيل في وارسو تلقّى إلى حين مغادرته بولونية، ٣٠٠٠ رسالة تضامن مع إسرائيل ومرسلوها ليسوا يهوداً.. والسؤال:

من هو هذا الذي يستطيع أن يحدّد الفوارق، داخل بولونيا، بين غير اليهود وبين اليهود؟ إلاّ إذا كان الصّهيونيّون هم الذين يفعلون ذلك بقصد الإشارة إلى كونهم ينتمون إلى شعب الله المختار، ومنهم السّيد 'صيّاد اللؤلؤة' الذي حصل على هذه الأرقام الدقيقة؟ والمسألة كانت على درجة من الإثارة للسخرية حتّى أنّ الكاتب نفسه يعترف أنّ جانباً من الرسائل إيّاها كان 'مجهول المصدر'.

في أعمدة الأسبوعية 'تيرزيان بولسكي' تاريخ ٢٠ آب ١٩٦٧ حاول كازيمير زد زاي كوفسكي' إقناع المهاجرين قرّاء هذه الصّحيفة أنّ العلاقات الجيّدة سواء مع إسرائيل أم مع الأوساط ذات النفوذ الدّائم من 'اليهود الشّتات' تبقى أكثر

أهميّة من تعاطف العرب.. ثمّ يربط ذلك مع حماس البولونيّين ودعمهم للمعتدين الإسرائيليّين سواء خارج البلاد أم في داخلها.. والسؤال:

هل هذا الكاتب وأمثاله لا يقرؤون مثلاً، الصّحافة الإسرائيليّة؟

ثمّة شخص يُدعى 'كلوغمان' ولا أحد غيره كتب مقالاً بعنوان 'فليموتوا غيظاً'! نشره العدد تاريخ ٢٣ حزيران ١٩٦٧ من الجريدة الإسرائيليّة اليوميّة باللّغة البولونيّة 'نوويني إي كوربيه' قيّم فيه على الشّكل التّالي، الجوّ السّائد في بولونيا بعد عدوان إسرائيل: 'أعترف أنّني بشعور من الرضى والارتياح والسّرور البالغ، أقرأ الأخبار عن مظاهر العداء لإسرائيل التي حدثت في موسكو ولينغراد وبراغ ووارسو ومدن أخرى من معسكر الاشتراكيّة والدّيمقراطيّة'.. وبسرور غامر أتلقّى كلّ جديد من الأخبار المتفجّرة غضباً لدى مختلف الـ Fié doren Kos والزّعيق المعادي لإسرائيل حتّى أصغر المقاييس.

وقد أصبح الإيحاء الصّهيوني لاذعاً وسامّاً بشكل أكبر في عدد شهر تمّوز من كولتورادي 'باريس' لقد نشروا فيه نداء إلى التّضامن من أجل الدّفاع عن إسرائيل مع الزّعم أنّها مهدّدة.. وتناقلت نشر النداء إيّاه بعض جرائد المهاجر الأخرى.. والهدف منه إظهار أنّ البلدان العربيّة، بمساعدة بلدان المعسكر الاشتراكي تعمل من أجل تدمير إسرائيل.. ففي عدد أيلول من الصحيفة إيّاها 'كولتورا' نشرت مقالاً ردّد، من جديد مزاعم استخدام الموظّفين القدامى في أجهزة 'دولة هتلر'.. استخدامهم في مناصب عامّة في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. وهذه الإيحاءات المنشورة بهذا الصدد في المقال المذكور تدلّ بوضوح أنّ المراجع الصّهيونيّة هي مصدر الإيحاء إيّاه.

وعندما تتّخذ 'كولتورا' الباريزيّة موقفها هذا لا يكون إطلاقاً مجرّد مصادفة فمدير معهد 'ليتيراكي' ومدير تحرير 'كولتورا' (G. Fietroie) على صلة منذ سنين مع الحركة الصّهيونيّة ومن بين موظّفي هذه المؤسّسة المطلقي الصّلاحيّة لعب دوراً ذا أهميّة أولى الزوجان 'زوفيا وزيغمانت هيرتز' ومنذ بداية تأسيس الصّحيفة الشّهريّة المذكورة تقريباً، كان الجّانب الأكثر أهميّة من أعمدة صفحاتها تملؤه نصوص يتولّى تحريرها عناصر معروفة بنشاطها وارتباطها الوثيقين بالصّهيونيّة.. وكمثال نستطيع أن نذكر أسماء: ألكسندر هيتز- ويتولد جيرليكسي- ليوبولد تيرماند- الخ.

إنّ 'التوجّه القومـي' لـدى اليهود، الشـديد التوهّـج إلـى جـانب كونـه أداة الصّهيونيّة ووكلاءها الإمبرياليّين، يجب عدم السّكوت عن كشف حقيقتها، فهو مرفوض من قبل هذه الأوساط من 'شعب اليهود' التي تبقى غريبة عنها تماماً هذه 'الشّوفينيّة' (التعصّب الوطني) وهذه المرامي التّوسّعيّة لدى دولة إسرائيل وكذلك النظريات السّياسيّة الصهيونيّة للشعب المختار.

إنّ المعتدين الإسرائيليّين ومعهم أسيادهم الصّهيونيّون.. لا يملكون إطلاقاً دعم الشّعب البولوني الذي أعلن بالإجماع موقفه ضدّ أحداث حزيران ١٩٦٧.. والمتخصّصون الغربيّون بالحرب النفسية لم يلحظوا هذه الحقيقة في وقتها ولهذا السبب أتاحوا للمستمعين وكذلك لقرّاء المهاجر، سماع وقراءة موجة دعائيّة رخيصة بدائيّة تعتمد على سذاجة البولونيّين الذين يعيشون سواء في مناطق اغترابهم وفي بولونيا.

وآليّة الدّعاية الصّهيونيّة تجد تطبيقاً كاملاً لها في نشاطات حكومة إسرائيل.. هذه الحكومة التي تعتمد على أهمّ الأحزاب الممثّلة في 'البرلمان' والتي تتجاوب إيديولوجيّتها مع الأهداف التي تتّخذها الصّهيونيّة ركائز لكيانها.. ويُستثنى فعلاً من ذلك كلّ من:

- 'نادي نوّاب الحزب الشّيوعي الإسرائيلي' وقوامه ثلاثة أشخاص أي الجزء البرلماني المسمّى 'ويلنر'.
- 'الماباي' (حزب عمّال إسرائيل).
- 'أحدوث- حا- آفودا' (اتّحاد العمّال) الذي يمثّل 'الكيبوتزيم' ويملأ في البرلمان ٤٥ مقعداً. وزعيم الماباي هو ليفي آشكول رئيس وزراء إسرائيل وسكرتير عام 'أحدوث- حا- آفودا' كما أنّ 'إسرائيل غاليلي' وزير دون حقيبة وأحد زعمائه الرّئيسيّين.. و'إيفائيل آلون' وزير العمل وحسب تقييم الأسبوعيّة البريطانيّة 'الأوبزرفر': 'يشكّل الحزبان المذكوران أهمّ أحزاب الحركة العمّاليّة في إسرائيل التي لا تحمل من الاشتراكية سوى اسمها.. والأحزاب الأخرى لهذه الحركة هي:
- 'المابام' (حزب العمّال الموحّد) وله ٨ نوّاب.
- 'رافي' (القائمة العمّالية الإسرائيليّة) له ١٠ نوّاب وهذا الحزب تأسس عام ١٩٦٥ عقب انقسام الماباي ويقود هذا الحزب دافيد بن غوريون وموشي

دايان يدعمه أقصى اليمين والجماعات الدينيّة في أزماته وهي أزمات شخصيّة أكثر منها سياسيّة مع آشكول.

ومن بين الأحزاب الكهنوتيّة الأكثر أهميّة حزب مافدال (الحزب الأرثوذكسي الوطني- وكلمة أرثوذكسي تعني المستقيم الرّأي) وله ١٠ نواب برئاسة موشي شاييم شابيرو وزير داخلية إسرائيل.

والحزب الأكبر أهمّية، من حيث العدد بعد ماباي هو حزب 'حيروت' (حزب الحرّيّة) تمثّله العناصر الأشد تعصّباً (شوفينيّة) والأكثر رجعيّة في إسرائيل ورئيسه هو مناحيم بيغن وله مع الحزب اللّيبرالي ٢٦ مقعداً في البرلمان.

إن زعماء جميع هذه الأحزاب التي تمثّل حسب الظّاهر، مختلف الميول والاتّجاهات والفصائل السّياسيّة، لها مع ذلك، وبالإجماع، نفس المطالب الخاصّة 'بامتلاك الأرض' وهذا هو البرهان والدليل على أنّ الصّهيونيّة بصفتها الإيديولوجيّة، لها نفوذها الأقوى والأرجح على جميع البرامج السّياسيّة التي تضعها وتقدّمها مختلف هذه الأحزاب؟

م. سنيح الذي 'يكرّس نفسه' شيوعياً وآشكول 'الاشتراكي' من الماباي.. أو هو هذا الاشتراكي الآخر من المابام، مردخاي، بينتوف، بيغن، شوفيني الحيروت يلتقون سريعاً في خطاب مشترك..فالصّهيونيّة هي القاعدة المشتركة الإيديولوجيّة لعدوان إسرائيل المسلّح وسياستها الحاليّة الرّامية إلى ضمّ ودمج الأراضي العربيّة المحتلّة بأسلوب تدريجي.

سيأتي يوم يفهم فيه الناس الأسباب والدوافع الحقيقيّة للنهج المغامر والمجازف لدى أوساط الحكم في إسرائيل عندما تؤخذ في الحسبان حقيقة وجودهم المتين تحت تأثير ونفوذ وتسلّط الرّأسماليّة الاحتكاري الكبير وأنّهم يخدمون بأمانة مصالحه في الشّرق الأوسط.

في منتصف آب ١٩٦٧، حصل اجتماع، وراء أبواب مغلقة، عقده ممثّلو الأوساط الماليّة، والصّناعيّة والتّجاريّة في العالم الغربي.. عقدوه في القدس.. بينهم سبعون من كبار رجال الأعمال من أصل يهودي ومن أربعة عشر بلداً غربياً يمثّلون أكبر البنوك العالمية والعديد من المؤسّسات والشركات الماليّة والتّجاريّة والصّناعيّة.

صحيفة 'الأوبزرفر' تاريخ ٦ آب ١٩٦٧ تحدّثت عن هذا الاجتماع فكتبت تقول: 'بمبادرة من رئيس الوزراء آشكول تمّت دعوة سبعين مليونيراً يهودياً يجدون لزاماً عليهم الاهتمام بمستقبل اقتصاد إسرائيل.. وهؤلاء المليونيريّون ينتمون بأصولهم إلى مختلف البلدان الغربيّة: ثلاثة منهم يمثّلون بريطانيا العظمى وهم 'اللّورد سييف' رئيس المؤسّسة الماليّة (مارك أندسبانسر) ذات المساهمة الفعّالة في تمويل المنظّمات الصّهيونيّة.. و'هايمان موريسون' من مؤسّسة 'وولفسونس غرات أونيفارسال ستورس' 'وشارل كرول'. هذه القمّة من 'النّاباب' اليهود (كبار الأغنياء وأصحاب السّلطة والنّفوذ) حدّدت مهمتها بدراسة الوسائل للحصول على اعتمادات ماليّة خارجيّة لإسرائيل لا تقلّ عن مليار جنيه إسترليني أي ما يعادل قرابة ٢,٨ مليار دولار خلال السنوات العشر القادمة.

واستناداً إلى ما نشرته الجريدة اليوميّة الإنكليزية 'فينانشل تايمس' وهي ترافق مجرى أعمال هذا الاجتماع تقرّر منح إسرائيل مساعدة سياسيّة ومساعدة اقتصاديّة عن طريق إيداع رساميل جديدة لديها. وعن طريق المساعدة الماليّة لصادراتها ومدّها بالمعلومات التقنيّة. كما قرّر أيضاً المشاركون في الاجتماع أن ينظّموا في القدس، في شهر نيسان ١٩٦٨ اجتماعاً أوسع لممثّلي الرّأسمال الكبير وتكرّس أعمال الاجتماع إيّاه لمعالجة المشاكل الاقتصاديّة الحاليّة في إسرائيل. وإنّ اجتماع القدس هذا قد أظهر بوضوح مدى وأهمّية الاهتمامات المكرّسة لخدمة دولة إسرائيل ومن كان الوليّ للاهتمامات إيّاها؟

وكان مفهوماً أيضاً أنّه لو كانت إسرائيل تعتمد على مواردها الذّاتيّة لما استطاعت إطلاقاً أن تكون دولة قادرة على شنّ حرب ضدّ البلدان العربيّة.. ولا أن تمتلك جيشاً قوامه ٢٠٠ ألف عنصر ولسنوات طويلة مع إمكانيّة ارتفاع العدد المذكور إلى ٣٠٠ ألفاً في صيف عام ١٩٦٧.

ومنذ إقامة إسرائيل (ميلادها) كانت أوساط حكومات البلدان الإمبرياليّة تعتبر هذه الدّولة نقطة ارتكازها في المناطق الغنيّة بالبترول في الشّرق الأوسط وعلى مقربة من قناة السّويس وكذلك تعتبرها الرّتاج الذي يُحيط أيّة حركة تحرر قومي لدى البلدان العربية.

إنّ المبلغ الإجمالي للرساميل المودعة لدعم الاقتصاد الإسرائيلي من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة والجمهوريّة الفيدراليّة الألمانيّة دون غيرهما، حسب

الكشف المقدّم في الاجتماع المذكور من قبل المساهمين أنفسهم ارتفع إلى سبع مليارات من الدولارات.. وما يقارب نصفها (أكثر من ٣,٢ مليار دولار) أخذت طريقها إلى إسرائيل خلال الأعوام الستّة الأخيرة ١٩٦١- ١٩٦٦ (نقلاً عن إيكونو ميتشسكايا غازيتا، العدد ٣٤، آب ١٩٦٧).

٣,٦ مليار دولار تمّ تقديمها لإسرائيل من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة.. منها ٥٠٠ مليون دولار على شكل سلفة دولة طويلة الأجل.. و٦٠٠ مليون دولار مساعدة تقنيّة، عسكرية، غذائية.. و٨٠٠ مليون دولار على شكل سلف خاصة.. و١.٧ مليار دولار هبات قدّمتها المنظّمات الصّهيونيّة الأمريكيّة وأمريكيون موسرون من أصل يهودي، ومبالغ منشؤها ودائع وأموال مشغلة في الولايات المتّحدة.. ديون إسرائيليّة (قروض دولة) محقّقة في الخارج.

قرابة ٣,٤ مليار دولار انتقلت من جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة إلى إسرائيل (دون الكلام عن التّصريحات والتّعويضات الحربيّة) على شكل قروض دولة على شكل مساعدات، واعتمادات خاصّة، ومنح (هدايا) مصدرها المنظّمات الصّهيونيّة في ألمانيا الغربيّة ومن العديد من الأشخاص من أصل يهودي..

وتلقّت إسرائيل إضافة إلى كلّ ما ذُكر، قرابة مليار دولار من بلدان رأسماليّة متقدّمة على شكل قروض طويلة الأجل ومختلف أنواع المساعدة وهذا المبلغ موزّع على الشّكل التّالي: مائة مليون دولار من البنك الدّولي لأجل الإعمار والتّنمية وقروض طويلة الأجل..

٣٠٠ مليون دولار على شكل اعتمادات خاصّة..

٤٠٠ مليون دولار هبات من قبل تنظيم صهيوني وعدد من الأشخاص، أفراد، من أصل يهودي، كذلك ١٠٠ مليون دولار على شكل ودائع لدى البلدان المذكورة وديون قروض دولة.

إنّ القيمة الإجماليّة للاعتمادات الخاصّة التي تدفّقت على إسرائيل بلغت ما يقارب ١,٢ مليار دولار كما أنّ هبات الأشخاص، الأفراد، الخاصّة وهم من أصل يهودي مغتربون بلغت ٠,٨٥ مليار دولار.

خلال أعوام ١٩٦١-١٩٦٥ بلغت الرّساميل الأجنبيّة المصروفة لإسرائيل ٥٠٠-٦٠٠ مليون دولار عن كلّ عام.. وعقب الاتّفاقات المعقودة سيحوّل كلّ من الولايات المتّحدة الأمريكيّة وجمهوريّة ألمانية الفيدراليّة، والبنك الدّولي للإعمار

والتّمية سيحوّلون إلى إسرائيل خلال أعوام ١٩٦٧-١٩٧٥ رساميل يصل مبلغها إلى٩ مليارات دولار من أصلها مليار دولار اعتمادات خاصّة (نفس المصدر السّابق).

أثناء عدوان إسرائيل ضدّ البلدان العربيّة وبمبادرات من قبل بنوك واحتكارات البلدان الغربيّة، تمّ عام ١٩٦٧ إنشاء صندوق مساعدات طوارئ في إسرائيل.. وفي فترة قصيرة من الوقت قدّم مسؤولو البنوك ٤٧٥ مليون دولار لتعويض الخسائر التي تكبّدتها إسرائيل أثناء هجوماتها ضدّ البلدان العربيّة.. وقد ضاعف هذا المبلغ إدّخارات إسرائيل من العملات الصّعبة التي وصلت في مطلع ١٩٦٧ إلى ٥٥٣ مليون دولار.

ورغم ذلك تبقى إسرائيل فريسة صعوبات اقتصاديّة بدأت تظهر قبل اندلاع الحرب في الشرّق الأدنى.. إضافة إلى كون هذه الحرب ونوازع ضمّ الأراضي لدى إسرائيل قد زادت هذه الأزمة تفاقماً.. فالاقتصاد الإسرائيلي ليس في حالة وجوب الوفاء بالالتزامات التي تفرضها سياستها العسكريّة، وتعقيدات إسرائيل الاقتصاديّة تتناقض مع مفهوم وأعباء 'إسرائيل الكبرى' التي تعمل لتحقيقها حكومة آشكول-دايان.

الصّحيفة الأسبوعيّة الأمريكيّة 'ذي تايم' كشفت ذلك في شهر حزيران ١٩٦٧ في إشارتها إلى تناقص الولادات في إسرائيل وحركة 'الهجرة المضادّة' وهذان عاملان رئيسيّان في تفاقم الحالة وهي في الأساس صعبة.

بمناسبة الذّكرى السبعين 'لميلاد' أول مؤتمر كونغرس صهيوني عقدت المنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة جلسة احتفاليّة في 'بال' بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٦٧. والتقى فيها وفي نفس صالة انعقادها ممثّلو الحركات الصّهيونيّة في العالم الرّأسمالي وهناك في ٢٩ آب ١٨٩٧ قام مؤسّس الصّهيونيّة تيودور هرتزل بافتتاح أول كونغرس صهيوني عالمي:

خلال ذلك الاجتماع، أُلقيت خطابات من قبل الشّخصيّات التّالية أسماؤهم:

الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة.

الدكتور مورتيز برنستاين رئيس اتّحاد الصّهيونيّين في سويسرا.

ألفريد غويتسشل رئيس الطّائفة اليهوديّة في 'بال'.

زيڤ لوري عضو اللّجنة التّنفيذيّة للمنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة في القدس.

ودُعي إلى رئاسة الكونغرس كضيوف شرف أربعة ممثّلين للسلطات الرّسميّة للمقاطعات والاتّحادات الكونفيدراليّة السّويسريّة.. (الدكتور الفريد شيلر- الدكتور أوجيني داتشي- الدكتور جول غوتشل- والدكتور آندريا مويّرت)وقام زيڤ لوري بافتتاح الكونغرس وفي خطابه الافتتاحي ركّز زيڤ لوري بشكل خاص على وجوب تسريع حركة توطين واستيطان الشّباب لدى إسرائيل عقب أحداث الشّرق الأوسط.. ثمّ تمّ الاكتفاء بإلقاء الخُطب بمعنى أنّ الكونغرس لم يتّخذ إطلاقاً أيّ شكل من أشكال الجدال والمناظرة.

الجنرال إسحق رابين، رئيس أركان جيش إسرائيل ورئيس المنظّمة الصّهيونيّة الدّوليّة ناحوم غولدمان، أشارا في خطابيهما إلى وقائع معيّنة من تاريخ الحركة الصّهيونيّة، وحلّلا نتائج عدوان إسرائيل الأخير ضدّ البلدان العربيّة، أمّا من تلاهما من الخطباء (خطاب سفير إسرائيل لدى سويسرا صموئيل بنزور) فقد اكتفوا بتوجيه الشّكر إلى السّلطات السّويسريّة على حسن استضافتهما المشهودة للحركة الصّهيونيّة سواء في السّابق وفي الحاضر وعلى إشادتها بمزايا الجنود الإسرائيليّين خلال الحرب الأخيرة (ألفريد غويتشل).

خلال هذا المؤتمر كان الجنرال إسحق رابين هو الذي استحق أكبر مظاهر التّكريم.. إذ اعتبروه المحقّق لانتصار Blitz Krieg في حرب الأيّام السّتّة ضدّ البلدان العربيّة. وتجدر الإشارة هنا إلى واقعة مميّزة جداً أنّ الجنرال رابين الذي لم يسبق له إطلاقاً الارتباط الوثيق والنّاشط بالحركة الصّهيونيّة كان هو الذي ألقى الخطاب الأساسي في هذا الكونغرس التّذكاري والمقصود من إبرازه في هذه المناسبة المسموعة الهامّة هو اعتباره المنفّذ الرئيسي والأداة الفاعلة للإمبرياليّة الدّوليّة ولأعمال القوى العسكريّة غير النّظاميّة (سولداتسك) في جيش إسرائيل أثناء عدوانها الأخير.

بعد تحليل معمّق لتاريخ الحركة الصّهيونيّة خصّص رابين حيّزاً هامّاً للعدوان الذي حدث مؤخّراً ضدّ البلدان العربيةّ واجتهد في إعطاء البرهان بأنّ 'الأمة اليهوديّة؟' لم يسبق لها قط أن أرادت الحرب.. وإنّ أبرز مزاياها كان حُبّها للسلام ورغبتها بالمحافظة على أحسن العلاقات مع الأمم الأخرى ومع الأديان الأخرى.. والشّعب اليهودي في الشّتات، لم يملك يوماً وإطلاقاً القدرة على القتال

من أجل وجوده ومن أجل مُثُله العليا حتى اعتماداً منه على منظّماته وعلى موارده المادّية.. وهذا الوضع قد تغيّر تماماً بعد ميلاد دولة إسرائيل حيث أصبحت الحركة الصّهيونيّة ضحيّة أزمة يتزايد تفاقمها باستمرار وما يتوجّب على المناضلين الصّهاينة إذن، هو اتّباع طريقة منظّمة للقيام بتحليل النّجاحات الأخيرة وما فيها من ثغرات ثمّ التساؤل: 'ما الذي نجحنا في تحقيقه؟ وما الذي يبقى علينا أن نفعله؟

أمّا وجهة نظر غولدمان فهي أنّ دولة إسرائيل التي تكوّنت عبر ثلاثة حروب ليست سوى هدفاً واحداً من أهداف الصّهيونيّة وفي هذه السّاعة الرّاهنة يتوجّب على الصّهيونيّة إنجاز المهام التّالية:

١ – تأمين وجود الشّعب اليهودي المهدّد، في أوربّة الشّرقيّة بالإبادة، والتّصفية الجسدية.. والمهدّد في الغرب بخطر استيعابه..

٢ – المحافظة على دولته الخاصّة به اقتناعاً منه، على ضوء مذاهب ومعتقدات القرنين التاسع عشر والعشرين، أنّ كلّ شعب سيتعذّر عليه إيجاد وتحقيق الأشكال الخاصّة به لتأمين وجوده والحفاظ عليه إلاّ في إطار كيان دولي خاصّ به.

٣ – ضمان وجود الدّولة الصّهيونيّة في إسرائيل في فلسطين التّاريخيّة لأنّ الشّعب اليهودي مشدود ومرتبط روحانيّاً إلى هذا البلد ولهذا البلد.

في النّزاع الحالي مع البلدان العربية، تستند الحركة الصّهيونية إلى 'حقوق إسرائيل العليا النّاجمة عن أولويّات ميتافيزيكيّة' (ما وراء المادّة والطّبيعة) وطبقاً لنظريّة الصّهيونيّين فإن فلسطين لا تلعب بالنسبة للشعوب العربيّة دوراً أولويّاً مساوياً له بالنسبة لليهود في إسرائيل ففلسطين 'مركزهم الرّوحي'؟

وانعطف غولدمان أيضاً نحو مسألة النّظرة الكلّيّة والشّاملة إلى وجود دولة إسرائيل في الشّرق الأوسط وحسب كلامه حول هذا الموضوع قال إنّ شعب إسرائيل يعتقد، رغم الأحداث الأخيرة في هذه المنطقة من العالم، يعتقد بإمكانيّة حصول وفاق مع الجيران العرب.. كيف؟

من أجل الوصول إلى هذا الهدف دعا غولدمان إلى تكثيف وتوسيع الاستيطان في إسرائيل وممّا قاله: 'يجب على يهود العالم أجمع، والشّباب منهم بالدّرجة الأولى، أن يسارعوا بالانتقال إلى إسرائيل.. وهذه هي المهمّة الأولى

والأهمّ للحركة الصّهيونيّة التي يتوجّب عليها أن تسهر كي تبقى الرّوابط بين المركز وبين المحيط الدّائري تتمتّن وتتقوّى باستمرار وتعطي النتائج المثمرة للطرفين كليهما للأمة اليهوديّة فيوزّعان القيم والقوّة الضّروريّة للنموّ الجيّد ولتحقيق جميع أهداف الصّهيونيّة..

شعارات غبيّة بلهاء، شوفينيّة، ملؤها التهديد المزخرف تماماً مثل تصريحات كلّ الدّبلوماسيّين والسّياسيّين الصّهاينة والإسرائيليّين، ومقالات الصّحف وما يذيعه الرّاديو ويعرضه التّلفزيون، ومن خلال مجمل ما يُطرح ويقال ترويج مقولة أنّ العرب هم الذين يتوجّب عليهم إعادة أراضٍ معيّنة إلى إسرائيل وليس العكس؟ وترتفع الأصوات بالمطالبة بالتّصفية السّياسيّة الكاملة لدول مثل الأردن وسوريا ولبنان.. ويُعاد طرح مسألة حقّ العرب في كلّ من: عمّان- صور- صيدا- بيروت- ودمشق.. مع تأكيد أن ملوك اليهود (داود- سليمان مثلاً) كانوا الأسياد بشكل مطلق لجميع أراضي 'دولة إسرائيل الكبرى'.

واحد يُدعى أليعازر جيّر، في أعمدة الجريدة اليوميّة الإسرائيليّة Hayom يقول جازماً: 'يجب إفهام العرب أنّه مادامت إسرائيل لا تستعيد من جديد امتلاكها لكلّ أراضيها (ويدخل في هذا الكلّ سيناء وفلسطين بحدودها التي وضعها الانتداب البريطاني السّابق والأردن وسوريا ولبنان وجزء من العربيّة السعوديّة) لا يمكن أن يكون هناك سلام حقيقي كالذي كان يعتقده ويفكر به أنبياء اليهود'.

ثمّ ـ ' ـ' مستطرداً: 'الله وعد إبراهيم أنّه سيعطي ذرّيته بلاداً تمتدّ من النيل إلى الفرات'.

صحيح أنّ جيّر هذا تعرض لنقد من صحيفة 'نوويني إي كورييه' (تاريخ ٢٣ آب ١٩٦٧) ولكنّ هذا لم يغيّر شيء من الوضع، فالخطّ الرّسمي للدعاية ونشر وترسيخ المعتقد ليس بعيداً عن آراء الإسرائيلي المتوسط مثل جيّر.

في إسرائيل تصدر مثلاً صحيفة شهريّة أخذت عنوان Lapid لغتها العبريّة ويصدرها حزب 'حيروت' وهي تختصّ بتوجّهها إلى الشّبيبة العاملة وإلى الطّلاب..

بمناسبة الأحداث الأخيرة في الشّرق الأوسط صدر عدد حزيران ومعه ملحق مخصّص 'لذكرى أبطال (Abrévation de Yée ' Zvai Léoumli)

ويتشكل غلاف الملحق من خريطة 'أراضي دولة إسرائيل في المستقبل' أي 'الأراضي المضمومة خلال عدوان حزيران التي اعتبرها قادة إسرائيل أرضاً مفتتحة ومضمومة' تلك النصوص التي تضمّنها التوراة المنسوب إلى موسى: نقرأ في أعلى الخريطة شاهداً يقول 'الأرض التي ستمشي عليها ستكون لك ملكاً' وفي أسفل الخريطة نسخة من نفس الشّاهد: 'لتكن قلوبكم قاسية.. لا تخشوا شيئاً' وفيما يلي بعض التمريرات عبر المقالات التي احتواها الملحق:

لقد زاد الانتصار عشرة أضعاف خلال هذه الحرب.. حرب الأيّام الستّة.. وهذا الانتصار، إذا عرفنا كيف نستثمره.. وأن لا نفرّط به ونهدره.. يمكن أن يحوّل، في مدّة من الزمن، دولة إسرائيل إلى دولة عظمى.. صحيح أنّها في البداية ستكون دولة صغيرة المقاس ولكنّها مع ذلك، دولة قويّة.. إنّ الانتصارات على جميع الجّهات وقبل كلّ شيء تحرير القدس وقد أيقظت الأمّة.. وساد الاعتقاد انّه خلال لحظات تغيّر الناس بين يوم وليلة.. أصبحوا مختلفين تماماً.. 'أيّها اليهود نحن في زمن المسيح' صرخة أطلقها الحاخام الكبير للجيش الجنرال شلوموغورين 'سوف نبني بسرعة هياكل جديرة بعهدنا'.

هذا الحماس وهذه الصّحوة يمكن أن يؤدّيا إلى:

١ – كبح وإيقاف المدّ العلماني واستيعاب المعرفة لدى الجماهير اليهوديّة خارج إسرائيل وتحريضهم على العودة إلى حضن ما يسمّى 'الأمّة اليهوديّة'.

٢ – خلق موجة واسعة لهجرة اليهود إلى فلسطين.

٣ – خلق انطلاقة اقتصاديّة واسعة النّطاق لم يسبق لإسرائيل أن عرفتها حتّى الآن.

٤ – توسيع وتنمية حجم الدّولة الإسرائيليّة إلى أبعاد يصعب وصفها وتحديدها.

كلّ هذا أصبح الآن ممكناً بشرط ألاّ يتخلّى الجيش عن شبر واحد من الأراضي التي 'حرّرتها'.

وقد جاء في مقال 'إيفياتوركور' وعنوانه 'معنويّة الانتصار':

نحن رغم كلّ شيء مقتنعون أنّ شيئاً من الأرض المحرّرة لن يُردّ وأنّ الفرح سيسود وطننا على الدوام.

إنّ الواجب الحالي الملقى على عاتق الشّبيبة أن تؤدّي المهام الكبرى في الكفاح السّياسي والأمر موكول إليها عندما ترتفع أصوات الشّباب اليهود سواء داخل إسرائيل أم في جميع أوساط العالم الأخرى ضدّ إعادة الأراضي المفتتحة.. وفي هذه الحال لا يبقى لنا أيّة حجّة أو ذريعة كي نخاف لا كوسيغين ولا أيّاً من أشكاله! إنّ عملاً من هذا النّوع تضطلع به الشّبيبة في جميع أنحاء العالم سيكون محمّلاً بمظاهر السّرور والعطف حتّى إذا جاء الظّرف المناسب يكون الأساس لظاهرة تضامن عملاقة مع إسرائيل (من مقال عنوانه: أيّها الشّباب إلى الكفاح السّياسي).

انطلاقاً من ملحق حزيران من 'لابيد' الشّهريّة نرى بكلّ وضوح في أيّ طريق يجري تأديب وتربية الشّبيبة الإسرائيليّة ليومنا هذا: ضمّ أراضي الغير.. التحكّم والغطرسة.. اللّامبالاة بمصالح وحقوق الأمم الأخرى.. المعاملة التي لا تعرف الرّحمة للمقهورين التي تعيد إلى الذّاكرة عنصريّة الهتلريّين أدعياء 'الإنسان الأسمى' هذا هو النّهج المعاصر لزعماء صهيونيّة إسرائيل التي تعمل على خداع الشّبيبة كي تصنع منها أداة طيّعة تستخدمها لتحقيق أهداف الإمبرياليّة.

إنّ شبيبة إسرائيل الحاليّة تغترف الوحي والإلهام ليس فقط من التّوجّهات المنشورة في ملحق الصّحيفة الشّهريّة 'لابيد'.. إنّ تطورات الأحداث المترافقة مع عدوان حزيران الذي ارتكبته إسرائيل ومنها، في المكان الأوّل، الخرق الهمجي لمختلف أشكال الحقّ الدّولي من قبل القوّات العسكريّة الإسرائيليّة غير النّظاميّة (soldatesque) هذا الخرق المترافق مع التّصريحات المتغطرسة لقادة إسرائيل يطلقونها في كلّ مناسبة ويوجّهونها حتّى إلى منظّمة الأمم المتّحدة.. كلّ هذا يشكّل مدرسة عمليّة، تطبيقيّة لتربية الجيل الصاعد والشّاب الذي سيقرّر في مستقبل لابدّ آت مصير دولته وشعبه اليهودي.

إنّ المناخ المرافق لكلّ عمل من أعمال الدّعاية السّياسيّة التي يطلقها الصّهيونيّون، المناخ المُشبع بالاستهواء والزّهو قد بلغ أوجه.. وهنا لا يمكن السّكوت عن.. أو التعتيم على معلومة مميّزة ومعبّرة جداً نشرتها 'نوويني إي كورييه' بتاريخ ٢٨ أيلول عن التقاء 'موشي دايان' مع آرثر روبنشتاين' وإليكم ما

رآه جديراً بالإشارة والذّكر عن هذا الالتقاء بين شخصيّتين من 'ممثّلي الشّعب' شعب الله المختار رآه الصّحفي شاهد هذا الالتقاء:

الالتقاء الأوّل بين وزير الدّفاع 'موشي دايان' وعازف البيانو ذي الشّهرة العالميّة آرثر روبنشتاين' هذا الالتقاء كان نادر المثيل.. لقد وصل روبنشتاين إلى فندق Hamelah Dawel في القدس في نفس اللّحظة التي فيها كان دايان يعقد اجتماعاً مع الجنرال 'بول' ولمّا أنهى دايان محادثاته مع رئيس مراقبي الأمم المتّحدة سألوه إذا كان يرغب أن يتعرّف على روبنشتاين فأجاب دايان بالإيجاب ولمّا دخل جناح روبنشتاين استُقبل بحرارة زائدة من قبل عازف البيانو الكبير وفجأةً جثا رونشتاين على ركبتيه أمام دايان الذي أدّى حالاً نفس الحركة ولأنّ كلاً منهما لم يكن يريد أن يكون البادئ بالإعلان عن نفسه تبادلا الحديث برهة من الوقت وهما راكعان وكان من الصعب إيجاد المثيل السّاطع للمشهد إيّاه.

إنّ التحليل للوضع الدّاخلي في إسرائيل وفي الحركة الصّهيونيّة.. الوضعين اللذين في نطاقهما، يعمل ويتصرّف المعتدون الإسرائيليّون، هذا التحليل يعطي الدليل والبرهان أنّ الإمبرياليّة كانت على قدر من العقل الصّائب لمّا اختارت إسرائيل لتكون أداة حرب في الشّرق الأوسط، فالإمبرياليّون نمّوا وحقّقوا أهدافاً ومطامع عملوا بها بتفكير عميق ونفس طويل على صعيد سياستهم الخارجيّة والعسكريّة العالميّة.. فكلّ ما لا يتجرأ الإمبرياليّون أن يفعلوه مباشرةً تقوم به وتؤدّيه أوساط حكوميّة لما يُسمّى إسرائيل المسلّحة حتّى أسنانها.. وصحيح أنّ هذه 'الإسرائيل' وضعت مصالحها الخاصّة في المقام الأوّل ولكنّ ما لا مجال إطلاقاً للشكّ فيه في سياق أيّ كلام عن الوضع العالمي وعن الوضع في الشّرق الأوسط هو أنّ إسرائيل هذه أ . - الأداة الطيّعة للسياسة الإمبرياليّة وسياسة الاستعمار الجديد الموجّهتين ضدّ حركة التحرّر الوطني والقومي لدى العرب وضدّ توجّههم التقدّمي وبدون الدّعم السّياسي والاقتصادي والعسكري من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة وجمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة ما كانت إسرائيل تملك القدرة على شنّ عدوان أو مواصلة عدوان.

لقد استخدمت الإمبرياليّة في هذا النّزاع، التفوّق الصّناعي والتقني والعسكري الإسرائيلي ضدّ البلدان العربيّة الأقلّ نمواً وذلك إضافة إلى 'العطف

على اليهود' لدى جانب من الرّأي العام العالمي الذي كان وليد المأساة المروّعة لتصفية ٦ ملايين يهودي تمّ القضاء عليهم في أفران الغاز الفاشيّة.

هكذا وكمثال، حتّى آكسيل سبرنجر' مالك (Konzern) طباعة ونشر صحفي في ألمانيا الغربيّة، بادر إلى الدّفاع عن العدوان الإسرائيلي بالرّغم من أنّ مقالاته المنشورة في مناسبات أخرى برّرت وتولّت الدّفاع عن قتلة أوشويتز، كما أنّ الفاشي والمعادي للساميّة السّيد يتكسييه فينيانكور أبدى رأيه إلى جانب إسرائيل تماماً كما فعل العنصريّون والمعادون للساميّة النمساويّون والأمريكيّون والإيطاليّون وغيرهم.. 'لليهود الحقّ أن يعيشوا وأن يمتلكوا دولتهم الخاصّة بهم.. وإسرائيل هي وطن يهود العالم أجمع'. هذا ما يعلنه اليوم أعداء السّاميّة الذين كانوا في الأمس يُبدون رأيهم أو يطبّقون فعلاً نهج التمييز العنصري تجاه اليهود.

وتقف صحافة اليمين النّمساوي ضدّ العرب ومع إسرائيل وهي التي منذ عام فقط، كانت تصفّق للأستاذ الفاشي 'بورو داكجيفيك' الذي قام أنصاره في فييناً، وهم يصرخون 'عاشت أوشويتز' كان يجب أن يمرّ المزيد من اليهود من مداخن أفران المحرقة قاموا بمهاجمة تظاهرة قام بها قدامى معتقلي معسكرات حشد اليهود:

جريدة هامبورغ اليوميّة "Die Welt" نشرت خبراً بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٦٧ يقول: 'لقد قام مواطنو إسرائيل بتعليم ما يستطيع الإنسان أن يفعله للصحارى والسّهوب، الأمر الذي أيقظ الحسد والحقد في نفوس العرب'.

وفي هامبورغ يعلمون تماماً أنّ هذه المقارنات ظالمة وكاذبة لأنّ 'المعجزة الاقتصاديّة الإسرائيليّة' صارت ممكنة بفضل المساعدات الماليّة من قبل الجمهوريّة الفيدراليّة الألمانيّة التي قدّمتها في إطار ما سُمّي 'تعويضات عن حياة وثروات اليهود الذين قُتلوا من قبل الفاشيّين' وكذلك بفضل دولارات أمريكا ورأسمال ألمانيا الغربيّة.

إن البعض من قادة إسرائيل ومن بينهم آشكول ودايان وإيبان أغرقوا في الغطرسة والوقاحة بتصريحاتهم والخطّ السّياسي الذي انتهجوه دون أن يأخذوا إطلاقاً في الاعتبار موجبات الحقائق السّياسيّة ومصالح شعب اليهود.. إنّهم يسلكون سياسة لا يستبعد أن تبدو قاتلة لإسرائيل.

انعكاس في جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة لعدوان إسرائيل

لم ينل عدوان إسرائيل دعم الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحدها بل نال دعم الجمهوريّة الفيدراليّة الألمانيّة.. مع أنّ كيسنجر في ٧ حزيران ١٩٦٧، أعلن في تصريح رسمي خاصّ عن حياة الجمهوريّة الفيدراليّة الألمانيّة، شعر مع ذلك أنّه مُجبر على التّصريح أنّ هذه الجمهوريّة لن تمنع مواطنيها من القيام 'بمهام إنسانيّة' على أرض.. وفي أماكن النّزاع في الشّرق الأوسط.. إذا كان محكوماً على الحرب أن تطول.. وموقف مماثل تمّ تبنّيه علناً من قبل 'ويلي براندت' وزير الشّؤون الخارجيّة، وكذلك من قبل 'راينر بارزر' زعيم الكتلة البرلمانيّة CDU/CSU البوندستاغ.. كما أنّ SPD الذي يشكّل جزءاً من 'الائتلاف الكبير' قرّر أنّه يتّخذ موقفاً كلّيّاً لصالح إسرائيل.. كذلك نال المعتدي الإسرائيلي دعم الأحزاب السّياسيّة في برلين- الغربيّة.

هذا الموقف من قبل القادة السّياسيّين في جمهوريّة ألمانيا الاتّحادية لم يكن دون أهميّة لدى مختلف مؤسّسات ومراكز الدّاعية الجماهيريّة التي تمارس نفوذها على الرّأي العام.. فالصّحافة والرّاديو والتّلفزيون التي تستمد التوجيه من أوساط بون السّياسيّة قدّمت دعمها الكامل للمعتدي.. كما أنّ المعلّقين في الصّحافة والرّاديو والتّلفزيون ما كانوا يكتمون أو يخفون فرحهم إزاء النّجاحات العسكريّة التي يحرزها جيش إسرائيل..

نشرت الصّحيفة اليوميّة Die Welt في ٩ حزيران ١٩٦٧ مقابلة مع سفير إسرائيل في بون 'آشير ناثان' تحت عنوان 'تضامن مع إسرائيل- السّرور والرّضى إزاء المساعدة البديهيّة' وفي سياق هذه المقابلة كال السفير ناثان المديح للجمهوريّة

الاتّحاديّة الألمانيّة على المساعدات والمعونات الواسعة جداً العسكريّة والاقتصاديّة والسّياسية التي كانت تتلقّاها بلاده في معركتها ضدّ البلدان العربيّة.. وهذا نفس ما فعله رئيس الوزراء آشكول في رسالة الشّكر التي وجّهها بتاريخ ١٣ حزيران إلى حكومة بون.. وفي ١٠ حزيران ١٩٦٧ لم يكن 'بيلد زيتونغ' يُخفي إطلاقاً أنّ التسليح الذي ساهم في تحقيق النّصر العسكري الإسرائيلي سبق أن قدّمته جمهوريّة ألمانيا الاتّحادية في إطار 'تعويضات الحرب'.

وأكّدت كلّ من الصّحيفتين Die Welt- Genersal Anzeiger في ١٣ حزيران ١٩٦٧ أنّه، رغم اختلاف الأوضاع سواء في الشّرق الأوسط أم في أوربّة، فمسار العمليّات التي أدارتها إسرائيل يمكن أن يكون مفيداً لدى دول حلف الأطلسي.

ومنذ ٣٠ حزيران ١٩٦٦ كانت الصّحيفة الإسرائيليّة 'ها آرتز' تكتب دون مواربة: كثيرون هم رجال السّياسة والشّخصيّات الذين جاؤوا من الخارج لزيارة إسرائيل ومع ذلك لم يحض أيّ منهم بالتكريم والاستقبال المخلص والصّادق والحميم الذي قوبل به 'فرانز- جوزيف- شتراوس' لقد قابل خمس مرّات المدير العام لوزارة الدّفاع الإسرائيليّة شيمون بيريز وزار القواعد الجويّة، والوحدات المدرّعة ومراكز العتاد العسكري وصناعة التّسليح والطّيران.. وتعرّف على أحسن طائراتنا كما حضر التدريبات على سلاح مدرّع جديد وزار ورشات بناء مفاعل نووي.. إنّ هذا الذي صرّحت به صحيفة هاآرتز لم تتمّ إعادة نشره بعد عام ومن قبل جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة هكذا ومن قبيل المصادفة وجرى التّعليق عليه من قبل الرّاديو والتّلفزيون.. التعليق مع ذكر الوقائع بأنّ شتراوس الذي كان آنئذ وزيراً للدفاع في حكومة جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة قد التقى بنظيره الإسرائيلي ١٢ مرّة في الحقبة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠.. التقى بشيمون بيريز وأنّه، في سياق زيارته لإسرائيل التي تمّت بتاريخ ٢٦ أيّار وامتدّت إلى ٧ حزيران ١٩٦٣ قام بعمليّة اطّلاع ومراقبة على فاعليّة العتاد المستخدم في تسليح إسرائيل، وكذلك على Bundeswehr.

وإنّ توقيت إعادة النشر المذكورة لهذا الحدث تحديداً في حزيران ١٩٦٧ كان المقصود منه تهيئة الرأي العام في جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.. كما أنّ قيام بيريز بين وقت وآخر، بزيارة بون بصفة مبعوث من قبل حكومة إسرائيل، وبمهمّة

نقل انطباعاته وتأثره هو وقيادة جيش إسرائيل.. نقلها إلى ضباط هيئة أركان 'البوندسويهر' بخصوص نوعيّة تسليح إسرائيل خلال حربها ضدّ البلدان العربيّة.. وكانت المشاورات إيجابيّة في هذا الصدد لأنّ إسرائيل اشترت من جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة كميّة جديدة من العتاد الحربي.. ورئيس الوزراء آشكول في مقابلة أجرتها معه في السابع من حزيران ١٩٦٧ جريدة 'داي ويلت' اليوميّة كرّر وأكّد شكره لجمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة على المساعدة المقدّمة للجيش الإسرائيلي.

كذلك فإنّ إقامة جنرال الجيش الإسرائيلي 'آحارون دورون' في جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة كانت أيضاً مميّزة.. دورون عضو هيئة أركان الجيش والمعاون الأقرب إلى دايان كان أحد المنظّمين الرّئيسيّين لعدوان إسرائيل ضدّ البلدان العربيّة.. وكما أشارت إلى ذلك في ٣٠ حزيران ١٩٦٧ الصّحيفة الصّهيونيّة 'ياديش زايتونك' ظهر دورون في ميونخ وقد عقبت زيارته دعوة الاتّحاد البافاري للطوائف اليهوديّة وكان الهدف من زيارته إيّاها تقديم انطباعاته عن Blitz Krceg الإسرائيلي.. ومن بين الشّخصيّات التي كانت مدعوّة لوحظ وجود السكرتير العام للمجلس المركزي ليهود جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة الدكتور 'هـ. فون دام' ومعه العديد من ناشطي الصّهيونيّة أصحاب النّفوذ.

وكرّس الجنرال دورون اهتماماً خاصاً بالشّبيبة اليهوديّة في جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.. وفي نادي الشّبيبة الصّهيونيّة في ألمانيا تحدّث عن الدّور الذي لعبته الشّبيبة الإسرائيليّة في العدوان ضدّ البلدان العربيّة، ولم يُخْفِ أهميّة المساعدة العسكريّة المقدّمة للجيش الإسرائيلي من قبل 'البوندسويهر' ووجّه نداءً لرعاية تنظيم انطلاقات جديدة من متطوّعي الجمهوريّة الاتّحاديّة الألمانيّة مركّزاً على ضرورة تمتين الرّوابط بين شبيبة كلّ من ألمانيا الغربيّة وإسرائيل بشكل يتوافق ويترافق مع تناسق الخطّ السياسي للبلدين. وقد تمّ استغلال زيارة الجنرال دورون من قبل الدّعاية الصّهيونيّة في جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة المدعومة كليّاً من قبل دعاة النّهج السّياسي العسكري الألماني الغربي..

الجريدة الألمانيّة الغربيّة 'تيليغراف' نشرت خبراً بتاريخ ٢٢ تمّوز ١٩٦٧ مفاده أنّ الفريق الحادي عشر من شباب يهود ألمانيا الغربيّة أخذ طريقه إلى إسرائيل سواء للخدمة في الجيش أم للعمل في الأراضي المنتزعة من العرب..

وإنّ التحليل لما تنشره كلّ من صحافة إسرائيل وألمانيا الغربيّة خلال حزيران ١٩٦٧ يُظهر التوافق الكامل بين المبادئ والأهداف المرسومة والتي تستمر متابعتها من قبل الأوساط الحكوميّة في بون وتل أبيب.

جريدة 'دي ويلت' نشرت في ١٠ حزيران ١٩٦٧ مقالاً بقلم 'م. والدن' وممّا جاء فيه: 'إنّ الشّعب الألماني بمبادهاته العفويّة في تقديم المساعدات لإسرائيل أعطى البرهان على اهتمامه القوي والعارم وتعاطفه مع الأمّة اليهوديّة الشّجاعة ومع نجاحاتها التي كانت فعلاً تستحقّ التقدير.. لقد نالت نجاحات جيوش إسرائيل تحيّات الكثيرين من الأشخاص باعتبارها نجاحات مباركة وجديرة بالإعجاب وكأنها معركة يؤدّيها شعب شقيق'.

وفي مقال يحمل عنواناً بليغاً (Blitz und Blut) ركّزت الأسبوعيّة 'دير شبيغل' (١٢ حزيران ١٩٦٧) بعد وصف مليء بالإعجاب لـBlitz Krieg الإسرائيلي، على ذكر مختلف المساعدات الماديّة والمعنويّة من قبل مواطني ألمانيا الغربيّة لإسرائيل، مشيرة إلى أنّ العديد من الأشخاص وفيهم الهتلريّون القدامى، ومن أعضاء (S.S) قد قدّموا للسفير ناثان مبالغ ماليّة وتبرّعوا بدمهم، وأنّ نقابات ألمانيا الغربيّة اشترت بمبلغ ثلاثة ملايين من الماركات التزامات قرض الدّولة الإسرائيلي.

وطوال مدّة النّزاع أعلن ألف متطوّع أنّهم جاهزون للانتقال إلى إسرائيل.

وفي مقال بعنوانه 'لا وجود للحدود مع برلين الشّرق الأوسط' نشرته الصّحيفة الفصليّة الألمانية الغربيّة (Bildam Sountag) بقلم 'س. شلام' الصّهيوني الألماني الغربي النّشيط وفيه 'يُعلّم القارئ في ألمانيا الغربيّة أنّ عَرَبنا هم الجيش الشّعبي لألبريخت والتشيك والبولونيين وكذلك كلّ هذه الدّول والبلدان إجمالاً'. إنّ هذه المقارنات بين برلين وأورشليم لا تأتي مصادفةً بدليل أنّ 'س.شلام' هذا بعد أن أبدى رأيه بهجوم الجيش الإسرائيلي ضدّ الجناح التابع للأردن من القدس وبأساليب الإرغام الوحشيّة المطبّقة على السّكّان المدنيّين العرب، استطرد قائلاً أنّ ما من جهة إطلاقاً تعرف ما تعرفه جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة عن إسرائيل أي أنّ تل أبيب لا تسمع الرّأي العام العالمي بل تسمع إلى ضميرها ووعيها القومي ولم تسمح لذاتها بمواقف البلبلة والتنويم المغناطيسي بل خلقت بالقوّة وقائع كاملة.. والاستنتاج الأوّل من هذه الحملة العسكريّة الخارقة

للعادة أنّهم دحضوا وأبطلوا تماماً الطرح المتعارف عليه والمعتاد بمعنى أنّ الحروب ليست أبداً بعض وسائل العمل السّياسي.. ويستطرد الكاتب مشيراً بكلّ مباهاة إلى: 'لا يوجد أبداً حدود في برلين الشّرق الأوسط فأبناء الشّريط الشّائك والجدار.. ليسوا سوى شهود صامتين لماضي أورشليم..' (جدار برلين مشهور- المترجم).

إنّ الارتياح الذي عبّرت عنه وحكت عنه صحافة ألمانيا الغربيّة والخاص بنجاحات جيش إسرائيل، كان مبعثه أسباب سياسيّة.. وإنّ الذي اتّضح خلال الحرب إيّاه، عن طريق اختصاصيّين عسكريّين، هو أنّ التّسليح الألماني الغربي اعتُبر وكأنّه لا يستوجب اللّوم والمؤاخذة، ونخصّ منه الصّواريخ المضادّة للدبابات (Kobra) التي كانت لها مساهمة فعّالة بانتصار جبهة سيناء.. إضافة إلى كون إسرائيل طبّقت بنجاح ، خلال هذه الحرب 'المفاهيم الاستراتيجيّة' للأوساط العسكريّة الألمانيّة الغربيّة الأمر الذي خدم كمنطلق لخطط متعدّدة الأنواع والأغراض.. وهذا كان الحافز لما كتبته صحيفة 'دي ويلت' بتاريخ ١٣ حزيران، أنّ جيشاً ضعيفاً من حيث العدد ولكنّه قادر على القيام بعمليّات خاطفة يمكنه في ظروف معينة القيام بعمليّات عسكريّة يمتلك فيها زمام المبادهة وتأمين تفوّقه على خصم متفوّق عدداً، والاستيلاء على جانب هام من أرضه، قاطعاً عليه الطريق والفرص السّهلة لتنظيم دفاعه عمّا تبقّى له من أرض بلاده.. وفي ختام مقالها قالت 'دي ويلت' 'بالرّغم من الاختلاف بين الوضعين الأوربّي من جهة والشّرق أوسطي من جهة ثانية، فإن الخبرات المكتسبة في هذه المنطقة الأخيرة قابلة أيضاً لأن تُطبّق في أوربّة'.

النّاطق بلسان حزب (CSU) (الديمقراطي المحافظ) كتب في ٩ حزيران: 'إنّ نجاحات إسرائيل غير المنتظرة كانت -حسب رأي الخبراء العسكريّين- مصدراً لمعرفة ذات أهميّة أساسيّة وبخاصة لدى جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.. النّجاح العسكري المحقّق انطلاقاً من دفاع هجومي على شكل حرب خاطفة (el lair) تكون الاحتمال الوحيد للانتصار'. وعلى مدى أبعد يقدّمون مطالب ملموسة وواقعيّة أكثر: 'La Bondes Wehr والقيادة العليا لحلف OTAN' ملزمان بتغيير مفاهيمهما ومداركهما الاستراتيجيّة.

صحيفة 'ديروبستبروس' تاريخ ١٧ حزيران ١٩٦٧ في مقال نشرته بعنوان 'المثال الإسرائيلي' قالت: 'من أجل اجتناب الخطر الذي كان يهدّد العالم في مطلع حزيران *الماضي، والذي كان يمكن أن يُلهب* الكرة الأرضيّة، يتوجّب تصفية الحالة الرّاهنة في أوربّة الشّرقيّة'.

وثمّة استنتاجات لا تقلّ مغامرة ومجازفة مستمدّة أيضاً من هذا المثال الإسرائيلي (من 'Blitz Krieg') استخلصها أيضاً وزير دفاع جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة 'جيرهارد شريدر' في خطابه الذي ألقاه في (Bun destag) فقد ثمّن عالياً الدّور الذي لعبه كلّ من سلاح الطّيران والمدرّعات خلال العدوان الإسرائيلي ولاحظ: 'يتوجّب علينا نحن أيضاً، في ظرف مماثل لعمل مضادّ، أن نطبّق طريقة الرّدّ المرن بواسطة المدرّعات والطّائرات'.

لا مجال للعجب بأنّ حكومة بون في تشدّدها عن سابق قصد وتصميم في إظهار مشاعرها المتعشّقة للحرب، أنّها تغتنم مناسبة ملائمة مثل العدوان الإسرائيلي فتتبنّى من قبل قيادة قوّاتها المسلّحة زيادة إضافيّة للميزانيّة العسكريّة بدرجة ١/٣.

وزير الدّفاع السّابق في وزارة 'إيرهارد' 'Kai-Uwe- von- Hamel' فسّر هكذا، بأسلوبه المتحجّر جداً ونهجه العسكري، نتائج العدوان الإسرائيلي: 'لقد أتاحوا لنا أن نرى ما هو مقدور تحقيقه بالقوّة والتّصميم..'.

ما الذي تخفيه وراءها عبارات ومقاصد هامل والتي يمكن اعتبارها تعميماً لمجمل اهتمامات 'بون' إزاء المعركة الإسرائيليّة؟ إنّ المقصود هو التّأكيد بشكل عام وانطلاقاً من أمثولة العدوان الإسرائيلي، لصحّة نظريّة إمكان شنّ حرب محلّيّة (محدودة) تكون خاطفة اعتماداً على جميع الوسائل الحديثة وتؤول بنجاح إلى فتح واحتلال أراضي معيّنة، دون التّعرّض لخطر تحوّلها إلى حرب عالميّة.

بعد هجوم إسرائيل على البلدان العربيّة تبنّى مجلس نوّاب إسرائيل المشروع الحكومي لضمّ القسم الشّرقي (الأردني) من القدس مبتكراً بذلك مظاهر نوع من الشّرعيّة.. وهذه المبادرات من قبل 'الفاتحين' على الصعيد الإداري تذكّرنا بتلك التي أنجزها وخطّط لها الهتلريّون.

إنّ أصحاب المقولة التي أعلنت على الملأ العودة النّهائيّة لأورشليم، اقتبسوا عباراتهم من مثيلات لا تضمّنتها القوانين التي قرّرت (Ansch luss) النّمسا عام

١٩٣٨ والصّحافة الإسرائيليّة كانت تكتب، دون مواربة أنّه يجب أن تمتلك إسرائيل Le Lebens raum الخاصّ بها كما فعلت ألمانيا الهتلريّة.. وذلك في حين كانت السّلطات العسكريّة بعد أن وضعت تصاميم نفي وتهجير السّكان العرب، كانت تستعمل نفس الخبرات المكتسبة من الهتلريّين في هذا المجال وذلك أثناء احتلالهم لبولونيا..

ومعلومٌ أنّه، إبّان احتلال بولونيا كان قد سبق للهتلريّين أن قرّروا إفناء الأمّة البولونيّة ومعها اليهود الذين وُضعوا كالقطعان خارج مساكنهم وحُكم عليهم بالجوع وبالموت في معسكرات التّصفية..

إذن، كذلك، وفي حزيران ١٩٦٧، كان اليهود فعلاً هم الذين تمثّلوا بجزّاريهم في العهد الهتلري، فطردوا مئات ألوف العرب من مساكنهم ومن قُراهم واحتجزوهم في مخيّمات تجمّع ومعهم النّساء والأطفال العرب فارضين عليهم الجوع وشتّى أشكال التعذيب العنيف الخالي من الرّحمة. وحكموا على الجنّود العرب بموت رهيب في الصّحراء وتحت شمس محرقة. فكانت أنماط سلوك قادة إسرائيل تلك برهاناً على تعطّشهم البشع للانتقام والتدمير وما كان لهؤلاء القادة القدرة أو المجال لمباشرة ارتكاب هذه الأعمال الفظيعة والوحشيّة لولا أنّهم يلمسون فعلاً دعم ومساعدات البلدان الغربيّة وقوى 'الحرب الباردة' إيّاها التي سلّحت وأعدّت إسرائيل للعدوان.

ولم يكن صدفةً أنّ S.S فرقة SS الرابعة عشر (Galizieu) وأعضاء المنظّمة القوميّة الأوكرانيّة U.P.A أظهروا تعاطفاً مشهوداً مع الجنرال موشي دايان بعد انتصاره في حزيران..

إذاً هكذا، خلق عدوان إسرائيل تيّاراً من التعاطف والمساعدة بين رجال وأناس كانوا دائماً أصحاب المنهاج المعلن المضادّ لليهود وعُرفوا بنشاطهم في مساعدة الهتلريّين على إفناء السّكّان اليهود.

في ١٨ حزيران ١٩٦٧ نشرت الصّحيفة الأسبوعيّة للمهجّرين الأوكرانيّين التي تصدر في باريس بعنوان (Oukrains Kie Slovo) وتنطق بلسان (OUNM) (أنصار Melmyk) -منظّمة الأوكرانيّين القوميّين المهجّرين- وهي المنظّمة التي، في ١٩٤٣ نظّمت الفرقة (١٤- SS) "Galizein" نشرت برقيّات موجّهة من قبل قادة منظّمات قوميّة أوكرانيّة سواء إلى رئيس وزراء إسرائيل 'آشكول' وإلى

ممثّليه القوميّين لدى جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.. وذلك بإيحاء من الخلايا المتعاملة مع "Run Ju Wehre" 'الحركة من أجل وحدة أوربّة' 'المجلس القومي الأوكراني' 'الحركة الفيدراليّة الأوكرانيّة' وجميعها أعلنت تعاطفها وتضامنها مع إجراءات حكومة آشكول ودايان مع التأكيد أنّ إسرائيل كانت مركزاً للحضارة الغربيّة في الشّرق الأوسط وأنّ عليها أن تؤدّي رسالتها بين الأمم الأخرى في هذه المنطقة من العالم.

في ٢٠ حزيران تهجّمت الجريدة الألمانيّة الغربيّة (Hau dels blatt) على مشكلة جديدة في سياق إعطائها الأسبقيّة لفكرة التهديد بالسّلاح النووي والمشكلة إيّاها هي موقف ممثّلي البلدان المؤيّدة للسلام والدّاعية له لدى الأمم المتّحدة –وبولونيا إحدى هذه البلدان- حيث أوجبوا إدانة العدوان وطالبوا بانسحاب القوّات الإسرائيليّة من الأراضي التي احتلّتها ووضع حدّ لتهجير العرب وعودة من هجّروا إلى أماكنهم ومنازلهم وتعويض كلّ الخسائر والأضرار التي تكبّدتها البلدان المُعتدى عليها.. وممّا كتبته الجريدة المذكورة:

'ثمّة انطباع في جينيف يتوضّح أكثر فأكثر وهو أنّه إذا انتهت المفاوضات حول الشّرق الأوسط إلى نتائج سلبيّة فلن توقع إسرائيل على إتفاقية عدم الإنتشار المتسارع للأسلحة النوويّة وستقوم بصنع قنبلتها الخاصّة بها'.

ولم تكن هذا المعلومة الوحيدة من هذا النّوع ففي ربيع عام ١٩٦٦ لمّا تسلّم رئيس الوزراء آشكول رئاسة لجنة الطّاقة الذّرّيّة أصبح مفهوماً معنى المعلومة التي سبق نشرها منذ زمن طويل.. ففي ١٥ حزيران ١٩٦٥ وفي صحيفة نيويورك تايمس استطاع النّاس أن يقرأوا، بين أخبارها: 'أنّ مفاعلاً نوويّاً قويّاً نسبيّاً أصبح يعمل في إسرائيل وينتج البلوتونيوم الضّروري لسلاح ذرّي'. ومنذئذٍ كان يتوجّب الاهتمام بأمر تزايد عدد علماء الذّرّة الألمان الغربيّين في إسرائيل ومعهم يتزايد أيضاً عدد غيرهم من المتخصّصين بهذا النّوع من التسلّح.. وقبل بضعة أيام من العدوان ضدّ البلدان العربيّة نشرت صحيفة 'تايمس اللّندنيّة' - بتاريخ ٣١ أيّار- خبراً يقول إنّ إسرائيل تريد استخدام القنبلة الذّرّيّة كحجّة مفاجئة في حوارها' مع البلدان العربية.. وستستعمل صحراء 'النّقب' لإجراء تفجيرات ذرّيّة تحت أرضيّة والتهيئة فيها للمدرّجات الضّروريّة لإطلاق صواريخ قصيرة المدى وضعيفة الفاعليّة.

ومنذ أعوام عديدة كانت المنطقة المذكورة محضور دخولها والوصول إليها من قبل السّياح القادمين إلى إسرائيل.. وبالقرب من محلّة 'ديمون' تمّ بناء مفاعل ذرّي ومركز أبحاث يتمّ فيه إجراء اختبارات مكثّفة وتجارب كبرى.. وكان هذا المضلّع الصّحراوي مكاناً رائعاً لباحثي 'بون' فيه يحقّقون حلمهم.. حلم القدرة والقوّة الذّرّيّة التي ستتيح لهم في المستقبل امتلاك سلاحهم الذّرّي الخاصّ بهم.

وأشارت أيضاً (Handels blatt) أنّه منذ عام ١٩٦٣ كان المفاعل الذّري الإسرائيلي ينتج ثمانية كيلوغرامات سنويّاً من المادة الانفجاريّة النّوويّة (Fissile) ولاحظت الجريدة المذكورة أنّ هذا يعني بأنّ إسرائيل تستطيع منذ عام ١٩٦٣، صنع القنبلة الذّرّيّة فعلاً.. صنع قنبلة واحدة كلّ عام.. كما أنّ صحيفة 'نيزويك' الأمريكيّة استناداً منها إلى مراجع حسنة الاطّلاع في تل أبيب، كتبت تقول إنّ المتطرّفين الإسرائيليّين راغبون في تحويل قدرتهم على صنع القنبلة الذّرّيّة إلى واقع عملي وهم لا يحتاجون إلى أكثر من ١٢ شهراً لتحقيق ذلك.. وأضافت الجريدة إيّاها: 'من الآن وحتّى خمسة أعوام أو عشرة على أبعد تقدير ستكون إسرائيل دولة تنتج صواريخ بلاستيكيّة تحمل رؤوساً نوويّة'.

إنّ الأخبار من هذا النّوع تقدّم برهاناً أكيداً على دور علماء ألمانيا الغربيّة العاملين في إسرائيل في مجال صنع الصّواريخ والأسلحة ذات الرّؤوس النّوويّة ومن أجل تسريع ناتج هذه الأعمال تمّ أيضاً إنشاء مجلس عام مهمّته تنسيق وتنظيم جميع الجهود المبذولة في المجال الفيزيائي الذّرّي.. وقد أسندت إدارة المجلس إيّاه إلى عالم من معهد 'ماكس بلانك هايدلبرغ' وعنده في إمرته، خمسون عالماً من ألمانيا الغربيّة.. وما يقرب من ٤٠٠ خبير في مجال التّسلّح، يقومون في إسرائيل بالتطبيق العملي لمداركهم النّظريّة ومن بينها ما يجري داخل مركز الأبحاث الموجود في صحراء النّقب.

ومن جانب آخر، وفي إطار تبادل الخبرات هناك علماء إسرائيليّون يقيمون في كارلسروخ وهامبورغ' وهم هناك يتخصّصون بتقنيّات تفجير المواد الذّرّيّة.

عام ١٩٦٦، رصدت حكومة بون ١٦٠ مليون مارك من أجل تنمية الصّناعة القائمة في صحراء النّقب. وحسب ما تمّ إعلانه من قبل 'فرانكفورتر آلجيمين زايتونغ' قدّم سفير إسرائيل في بون إلى حكومة كيسنجر طلب قرض للسنوات القادمة.

بالرّغم من أنّ أحداث حزيران ١٩٦٧ لم تؤدِّ إلى نزاع نووي. فإنّ تهديدات إسرائيل وأجواء التخويف بالسّلاح الذّرّي المترافقة والمتزامنة مع الاستعدادات والتحضيرات الجّارية في صحراء النقب كانت مصدر قلق شديد للرأي العام العالمي.. خصوصاً وأنّ كلّ هذا جرى في وقت لم تكن فيه منظّمة الأمم المتّحدة المشلولة والمعطّلة بسبب أعمال الإمبرياليّين الأمريكيّين، لم تكن في وضع يمكّنها من تطبيق أيّة عقوبة ضدّ المعتدي الإسرائيلي.. جرى في وقت كانت فيه الرّساميل والعتاد الحربي المخصّصة لتسليح جيش إسرائيل كان يتتابع إرسالها من قبل الولايات المتّحدة الأمريكيّة وجمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة.. وفي وقت كان فيه تصعيد الوضع في الشّرق الأدنى والشّرق الأوسط أبعد ما يكون عن ضمان فرص قيام سلام دائم..

إذن، لم تكن من قبل المصادفة سياسة 'فرض الأمر الواقع' بل كانت تجد دائماً الدعم الرّسمي من جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة والولايات المتّحدة الأمريكيّة..

'أورشليم مدينة موحّدة' ذلك كان رأي الألماني والرّأي العام الألماني يتطابق ويندمج كلّيّاً مع هذا الموقف، تلك هي الحقيقة سواء لدى الكاثوليك ولدى البوتستانت.. وقد أكّد هذا الموقف في الثّاني من أيلول ١٩٦٧ سفير إسرائيل في بون 'آشير بن ناثان' أثناء مؤتمر صحفي عُقد في وزارة الشّؤون الخارجيّة.. وأضاف السّفير بن ناثان: 'إنّ فكرة تقسيم جديد لأورشليم يعتبرها الألمان سخيفة ومستحيلة.. أمّا فيما يتعلّق أيضاً، بالمسائل الأخرى ذات العلاقة بمعركتنا السّياسيّة فنحن لا نخشى التّعرض لأي ضغط إطلاقاً من قبل الألمان.. ضغط على حكومة إسرائيل. فقد برهنت ألمانيا الغربيّة على تفهّم كامل للوضع الخاص ببلدنا'. وتابع سفير إسرائيل في بون القول أنّه خلال حرب الأيّام السّتّة خصّص تلفزيون ألمانيا الغربيّة مكاناً هاماً لمشاكل اللّاجئين العرب ولشرقي الأردن وشارك إسرائيل موقفها ضدّ المملكة الأردنيّة بموضوع مشكلة اللّاجئين.

'وأعلن بن ناثان أنّ انتصار الجيش الإسرائيلي أعطى الرّأي العام الألماني ما لم يسبق أن أعطته عشرات الأعمال الدّعائيّة، فكبُرت إسرائيل في أعين الألمان.. ففي السّابق ثمّة تنافر كان قائماً بين الرّأي العام وبين الصّحافة والمذياع والتّلفزيون فيما يخصّ الموقف المتّخذ حيال إسرائيل.. فصحافة وإذاعة وتلفزيون ألمانيا الغربيّة كانت دائماً مع إسرائيل في حين كان رجل الشّارع لا مبالياً تجاه

بلدنا وكانت أكثريّة الألمان تعارض كون جزء من ضرائبها يذهب إلى إسرائيل على شكل تعويضات. أمّا في زمن الحرب وبعد الانتصار فقد تغيّر موقف الألمان كلّياً من بلدنا وأصبح مشهوداً في ألمانيا ظهور العديد من المنشورات وموضوعها نوايا العرب بتصفية إسرائيل.. فبرهن المجتمع الألماني عن تضامن عميق مع إسرائيل لأنّ المجتمع إيّاه يعلم علم اليقين ماذا تعني تصفية أمّة.. وعبر ألمانيا كلّها حصلت تظاهرات صداقة مع إسرائيل، وعبّر الألمان عن شعورهم بوجوب مساعدتها، فانتصار جيشنا على القوى العربيّة مجتمعة استُقبل بأنّه مفخرة وعمل باهر..' (نوبيني إي كوربيه- ٣ أيلول ١٩٦٧).

أمّا فيما يخصّ الحكومة الألمانيّة، وحسب تصريحات بن ناتان، فقد لزمت منذ البداية موقفاً محايداً إلاّ أنّ بن ناتان قابل عدداً من الشّخصيّات الرّسميّة في ألمانيا الغربيّة وقد عبّروا رغم موقف الحياد لدى حكومتهم، عبّروا عن دعمهم وعن اهتمامهم وحماسهم لمساعدة إسرائيل.

وتحدّث بن ناتان عن انبعاث خطر اللاّساميّة في جمهوريّة ألمانيا الاتّحادية ولكنّه استعاد الكلام عن آراء أصحاب القرار في بون مشيراً إلى أنّ (NPD) لا تشكّل خطراً.

في أيلول ١٩٦١ صدّقت كل من إسرائيل وجمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة اتّفاقاً اقتصادياً جديداً يبلغ ١٦٠ مليون مارك أي بالمقدار المماثل لاتّفاق السنة السّابقة، ولكن بشروط أفضل، وذلك في حين كانت بون تقوم بتخفيض كبير في ميزانيّتها وتحديد محسوس لمساعدتها للبلدان النّامية. وقد نصّ الاتّفاق إيّاه على تسهيلات في التّسديد أكثر أهميّة ممّا نصّ عليه اتّفاق ١٩٦٦ مراعاة لحاجات إسرائيل النّاجمة عن حرب الأيّام السّتّة.

إنّ المحادثات المتعلّقة بتوقيع هذه الاتّفاقيّة كانت سريعة جدّاً وجرت في جوّ من التّفهّم الصّادق لحاجات إسرائيل. كذلك فإنّ الألمان سيقومون أيضاً بتقديم تاريخ تحقيق قروض مقرّرة وبشروط مناسبة.

خلال لقائه مع القادة اليهود الأمريكيّين، خلال إقامته في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، أعلن العميد كيسنجر أنّ حكومة ألمانيا الغربيّة ستتابع تقديم مساعداتها الاقتصاديّة إلى إسرائيل وخلال اللّقاء إيّاه عبّر كيسنجر عن دعمه الكامل لإسرائيل..

كما أنّ سفير جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة لدى إسرائيل الدكتور رالف بولس الذي اشترك في تصديق الاتّفاق وتعبيراً منه عن إرادته الصّادقة، أعطى الأمر بدفع كامل الأجور إلى إسرائيليّي السّفارة الذين سبق استدعاؤهم لخدمة العلم.

لدى عودة العميد كيسنجر من الولايات المتّحدة الأمريكيّة وخلال مؤتمره الصّحفي عن محادثاته التي أجراها في واشنطن مع الشّخصيّات اليهوديّة أجاب على الأسئلة الموجّهة إليه بما يلي:

"من وجهة نظري لم تكن لهذه المحادثات طبيعة رسميّة فقد تمّت في جوّ ودّي جداً وكان هدفها قيام وتمتين الاتصال مع شخصي باعتباري العميد الجديد لجمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة وكنتُ راضياً عن هذه المحادثات وأعتقد أنّ المتحدّثين اليهود معي كانوا راضين أيضاً.

وأكثر المقرّبين إلى كيسنجر من محيطه أعلم أنّ اليهود الأمريكيّين في واشنطن شكروا كيسنجر على الموقف الإيجابي تجاه إسرائيل من قبل مواطني ألمانيا الغربيّة وذلك خلال حرب الشّرق الأوسط. ومن جانبه أشار كيسنجر إلى أنّ على حكومة ألمانيا الغربيّة فيما يخصّ الشّرق الأدنى، أن تتصرّف بمزيد من الحذر قياساً على السّكان الذين يستطيعون أن يكونوا أكثر صراحة في التعبير عن مشاعرهم نحو إسرائيل. (نوويني أي كورييه ٢٣ آب ١٩٦٧).

إذن، لا داعي للعجب إذا كانت المنظّمات الصّهيونيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، تعبيراً منها عن الاعتراف بالجميل فيما يتعلّق بالدّعم الذي قدّمته جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة للعدوان الإسرائيلي، إذا كانت قد عارضت وقامت بما ظهر من بيانات وبراهين منظّمة مضادّة للعميد كيسنجر بصفته "أحد الهتلريّين القدامى" وفي الحقيقة، كانت الظّواهر المذكورة متوقّعة بادئ ذي بدء وخصوصاً في نيويورك الأمر الذي أجبر كيسنجر حسب ما صرّح به "شالمرز روبرتس" في "واشنطن بوست" أجبره على عدم البقاء في كبرى المدن الأمريكيّة.

لقد تبيّن أن إجراءات الأمن المتّخذة لم تكن مجدية لأنّ أكبر المنظّمات الصّهيونيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة "مؤتمر رؤساء المنظّمات اليهوديّة" عارضت المظاهر الآنفة الذكر في سياق إشارتها إلى الدّعم المالي والسّياسي الذي قدّمته حكومة بون لعدوان إسرائيل.. هذا الدّعم الذي أوجد تعبيراً آخر عنه لمّا استقبل العميد كيسنجر في سفارة ألمانيا الغربيّة بواشنطن زعماء مؤتمر

الرؤساء: الحاخام ميللر القائم بأعمال رئاسة المؤتمر- موريس ب. أبراهام رئيس اللّجنة اليهوديّة الأمريكيّة ويهوذا هيلمان المدير التنفيذي لمنظّمة مؤتمر الرؤساء.

وتكلّم كيسنجر بحرارة عن الطّموحات الإسرائيليّة في الشّرق الأدنى مشيراً إلى تفهم جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة لأهداف حكومة إسرائيل ثمّ أعلن أنّ حكومة بون ستتابع دعمها لجهود إسرائيل الرّامية لأنّ 'يسود السّلام والأمن' في الشّرق الأدنى.

كما أنّ كيسنجر أعلن التزامه بدعم مساعي إسرائيل لقبولها في 'السّوق المشتركة' (نوييني إي كورييه ٢٣ آب ١٩٦٧).

إنّ غياب الظّواهر الآنفة الذّكر والمقابلة الودّيّة بين كيسنجر وبين ممثّلي مؤتمر الرؤساء كانا برهاناً إضافيّاً على العلاقات الوثيقة والمتنامية الموجودة بين المنظّمات الصّهيونيّة العالميّة -وخصوصاً الأمريكيّة- وبين ألمانيا الغربيّة.. ففي أوساط واشنطن السّياسيّة لوحظ أنّ هذه الحقيقة يمليها اعتباران اثنان: الدّعم الشّامل المقدّم من قبل جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة للمبادرات الإمبرياليّة في الشّرق الأدنى والاقتناع أنّ الدّعم المقدّم إلى حكومة إسرائيل من قبل جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة هو الوسيلة الأقلّ كلفة 'لردّ الاعتبار' عن الجرائم التي ارتكبها هتلر ضدّ اليهود.

إنّ نهج جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة السّياسي والعسكري قد اتّصف دائماً في المقارنة مع شركائها الغربيّين في (O.T.AN) اتّصف بخصوصيّة اعتبار الحرب أداة للسياسة.. على حين أنّ هؤلاء الشّركاء كانوا يعتبرون L'OTAN قبل أي شيء آخر، مجرّد اتّفاقيّة تضمن آليّاً التزام الولايات المتّحدة الأمريكيّة بأوربّة في حال نشوب نزاع مسلّح وكأداة ضغط عسكري خلال حقبة الحرب الباردة.. أمّا النّهج السّياسي العسكري لدى ألمانيا الغربيّة الذي انبعث حيّاً وهو يتّسع ويتفاقم، فإنّه من جهته، يعتبر حلف شمالي الأطلسي (OTAN) إضافة إلى موازاته الأهداف الآنفة الذّكر. نطاقاً يتيح لها تنمية قوّاتها المسلّحة، وامتلاك السّلاح الذّرّي واستعملا لغة التّهديد العسكري وهي تحقّق برنامجها الهادف للانتقام والثّأر وأخيراً استعماله في حرب حقيقيّة إن لم يحقّق التهديد أيّة نتيجة.. إنّ خلق شروط ملائمة للتهديد العسكري وكذلك لعدوان هجومي خاطف يجعل أراضي جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة في مأمن وكلّ هذا تحت ستار وغطاء برنامجها

للثأر والانتقام، كان دائماً الهدف الرّئيسي الذي تتابع السّعي إليه جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة داخل حلف شمالي الأطلسي.

إنّ النّهج السّياسي العسكري الألماني الغربي كان يتابع باهتمام وقلق حالة الاسترخاء التي بدأت بوادرها تظهر.. وفي حين كان يتظاهر أنّه يشارك هو الآخر في سياسة الاسترخاء إيّاها كان يبذل كلّ الجهود كي تبقى حيّة وفاعلة أسطورة 'التهديد' الموجّهة ضدّ أوربّة الغربيّة وبالنّتيجة، كي يبقى مبرّراً لزوم النّمو المتواصل للقدرة العسكريّة لحلف شمالي الأطلسي وللجيش الألماني الغربي بخاصّة.

في هذه الشّروط وحسب وُجهة نظر أوساط النّهج المذكور إيّاه، كان العدوان الإسرائيلي التّأكيد لقضيّتهم الرّئيسيّة التي يريدون تثبيتها وتأييدها والتي تعتبر الحرب، رغم احتمال خطر نزاع نووي قد يؤدّي إلى إفناء البشرية، تستطيع دائماً أن تكون الأداة الفاعلة في السّياسة إذ يمكن تحقيق أهداف سياسيّة عن طريق استعمال القوّة المسلّحة.

إنّ الاستنتاجات المباشرة المستخلصة من قبل الأوساط العسكريّة الألمانيّة الغربيّة انطلاقاً من عدوان حزيران، هي التّالية:

تستطيع الحرب أن تكون أداة فعّالة في السّياسة.

ثمّة دور هام يمكن أن يُلعب عن طريق المفاجأة.

تعود الأهميّة الأولى إلى القوّات ذات الجاهزيّة الكاملة لخوض المعركة وكذلك القوّات التي يمكن تحريكها بسرعة.

على الدّول الصّغيرة والمتوسّطة أن تكون جاهزة للعمل بذاتها تحت غطاء حلفائها.

ثمّة أهميّة حقيقيّة تكون للدول المذكورة عندما تمتلك هي نفسها سلاحها النّووي الخاص بها.

غير أنّ الاستنتاج الأهمّ الذي يبدو التركيز عليه هو أنّ عدوان إسرائيل شجّع أوساط النّهج السّياسي العسكري الألماني الغربي على التحضير الصّريح والواضح لبرنامجهم بشكل لا سابقة له إطلاقاً.. لقد أعطاهم العدوان إيّاه الشّجاعة والذّرائع.. وكلّ هذا يشكّل خطراً بالغاً بالنسبة للسلام في أوربّة.

في البلدان العربية والأراضي المحتلة

في مطلع شهر تشرين الأول ١٩٦٧ نشر الصحفي المصري المعروف محمد حسنين هيكل على صفحات جريدة الأهرام اليومية سلسلة مقالات مخصصة لتحليل أسباب الهزيمة.. وفيها كشف سراً هو أنّه، في حين كان سلاح الطيران الإسرائيلي يستعدّ للانقضاض على المطارات العسكريّة المصريّة كان قائد الجيش.. جيش الجمهوريّة العربيّة المتحدة المارشال عبد الحكيم عامر موجوداً، وبرفقته جميع قادة الجيش الرئيسيّين، على متن طائرة تسير باتّجاه مطار في سيناء، غير أنّ الطائرة إيّاها لم تصل إلى هدفها، أي إلى المطار المذكور الذي كان قد تمّ تدميره.. ممّا اضطرها لأن تتيه في الجو طوال سبعين دقيقة قبل الهبوط في مطار القاهرة الدولي.. ومن هذا يبدي الكاتب شكوكه ويتساءل إذا كان طيران عامر مع جنرالاته في نفس وقت إقلاع طائرات 'الميراج' الإسرائيليّة.. إذا كان طيران عامر هذا ليس سوى 'مجرّد مصادفة' أو إذا كان لا يوجد أحد معنيٌ بتزامن الواقعتين؟ وثمّة حقيقة أخرى: طوال صباح الخامس من حزيران لم يتمّ إسقاط أيّة طائرة إسرائيلية مهاجمة بصواريخ أرض- جو لأنّ الأوامر لم تكن قد أُعطيت بعد لاستعمال هذا السّلاح الفعّال.

إن مقالات هيكل التي تضمّنت العديد من التّفاصيل عن مسألة هزيمة حزيران لم تكن قد كُتبت بقصد وهدف تبرير الهزيمة إيّاها.. وكان الكاتب يشير إلى أنّ قصده كان تسهيل المهمّة للذّين يريدون استخلاص النّتائج لهذا الذّي جرى..

والقصد نفسه قد تمّت متابعته من قبل مراسلين اثنين مسؤولين لدى اللّجنة المركزية [C.e. du P.e. de l' URSS] 'إيفور بييلابيف' والدكتور إيفغيني بريماكوف، الذين نشرا على صفحات الجريدة الأسبوعية الموسكوفية 'زا روبيجوم' تقديراتهما لأحداث حزيران فكتبا: 'إنّ القوّات المسلّحة للجمهورية العربيّة المتّحدة كانت مجهّزة بتقنيات عسكريّة من الدرجة الأولى ومن أحدثها وكانت كافية كمّاً ونوعاً لردع وهزم العدوان الإسرائيلي.. فلماذا كان الأمر عكس ذلك؟ الجواب: قبل كلّ شيء، لأنّ مختلف الجنرالات والضبّاط ذوي الرتب العالية كانوا داخليّاً، قد استبقتهم ثورة يوليو غرباء عنها بل ثبت أنّهم ما كانوا مؤهّبين لأداء واجبهم العسكري والوطني. لقد كانوا يستعملون امتيازاتهم لتحصيل المكاسب الماديّة.. وقد ظهر للعيان نوع من (الضبّاط- رجال الأعمال) المشغولين قبل كل شيء بمصالحهم.

هذا ما كتبه الصحفيّان بييلابيف وبريماكوف السّوفياتيّان ولفتا الأنظار، عن صحيح وبحقّ، إلى واقع، عدم مباشرة أي نهج سياسي فعّال بين الجنود وضبّاط الصّفّ في الجيش المصري يكون قميناً برفع معنويّاتهم وكان هذا النقص وهذا الخلل ناجمين عن الموقف السّلبي للضبّاط ذوي الرّتب العالية.

في إحدى مراسلات الجريدة اللّندنيّة 'ذي أيكونوست' وصفت الجيش المصري أنّه 'جيش مؤلّف من ضبّاط Lovelace (نسبة إلى شخصيّة كلاريس هارلوي في رواية ريتشاردسون: فاتن ووقح) ومن فلاّحين موحّدي اللباس.

لقد كانت صدمة حزيران من العمق بحيث أنّه خلال الأسابيع الأولى الّتي أعقبت الهزيمة، أصبح الجيش هدفاً ومرمى لانتقاد عام وغالباً ما كان هذا التعميم ظالماً وباطلاً من قبل كلّ المجتمع المصري بما فيه الطبقات الشّعبية الفقيرة المتربية على احترام و'عبادة' بزّة الضبّاط الرّسميّة. وكان التمادي في هذا بعيداً حتى اضطرّ رئيس الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، جمال عبد الناصر، في خطابه في ٢٢ تمّوز (يوليو)، أن يوجّه نداء لمواطنيه للتوقّف عن حملتهم.. حملة السّخرية اللّاذعة ضدّ الجيش مذكراً أنّ الجيش يبقى أمل الأمّة.. لم تكن إطلاقاً العلاقات الحميمة بين الجيش والأمّة.. لم تكن واجبة وإلزاميّة وضروريّة كما يجب أن تكون في يومنا هذا.

هذا ما عبّر به ناصر عن رأيه في حقبة الإعادة الشّاملة لتنظيم كوادر الجيش ومحاولة التّغلّب على واقع الإهمال والتّهاون والتقصير في الحقبة السّابقة وذلك بتصفية امتيازات الضبّاط..

ومسألة إعادة التنظيم هذه لا يمكن أن تتحقّق في حالة انسجام بل لابدّ من الاصطدام النّاجم عن مقاومة الزّمر والجماعات المتضرّرة بسبب الإصلاح الأمر الّذي اقتضى خلق بؤر التآمر التي أدّت إلى انتحار المشير عامر الذي قتل نفسه في أوّل أيلول بابتلاع كمّية قويّة من مادة الأكونيتين.

بعد وقتٍ قصير اختلقوا في الغرب 'وصيّة عامر' وتمّ نشر نص هذه الوثيقة وعنوانها: 'صوت من وراء القبر' في شهر كانون الأوّل في الأسبوعية الأمريكيّة 'تايم' وكذلك في العديد من الصّحف اليوميّة الغربيّة.. وعمليّة الاختلاق إيّاها حاولت إعطاء البرهان أنّ عامر لم يكن ينوي إطلاقاً أن ينتحر وهي توصي كذلك أن سبب الهزيمة يكمن في كون الجيش المصري لم يكن قد انتقل إلى عمليّة الهجوم، وهذه الوصيّة المزعومة كانت أكذوبة تنقصها الحذاقة، وبعد زمن أُعطي الدّليل في القاهرة على أنّها 'من صنع عنصر عديم الخبرة من عناصر C.i.A'. فعربيّة الوصيّة تعجّ بصياغات 'لفّ وبرم' اشتهر بها أسلوب التّخاطب في لبنان ولم تعرفه لهجة اللّغة المحلّيّة المصرية.. ومن جهة أخرى فالوقائع لا تمتّ بأيّة صلة إلى الحقيقة.

إنّ الحادث العرضي لوصيّة عامر كان تعبيراً فات أوانه عن آمال سائدة في بعض الأوساط من الولايات المتّحدة الأمريكيّة بقصد حثّ وتحريض أعضاء حكومة إسرائيل (إذاعة إسرائيل جعلت من الوصيّة مادّة نشر إعلانيّة أشبه 'بالصرعة' التي قدمتها لها أوربّة الحرّة) وموضوع التحريض تركّز على مزاعم 'الصعوبات والأزمات الداخلية' التي تعاني منها الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. والتي 'يجب أن تؤدّي حتماً إلى قلب نظام ناصر'. وهذا هو الهدف الذي يلاحق دون كلل بجميع الوسائل المُتاحة والممكنة، والبرهان الملموس على ذلك كان ظاهراً في مدن إقليم قناة السّويس.. فسلاح المدفعيّة الإسرائيلي كان يفتح نيرانه على الأحياء الآهلة بالسّكان كما أنّ قنابل إسرائيل كانت تتساقط على الأوساط الآهلة بالسّكان في الإسماعيليّة والسّويس (لم يتجرأ المعتدون على القيام بحملات

عسكريّة استفزازيّة ضدّ بور سعيد في أحداث شهر تموّز بسبب وجود سفن من الأسطول السوفييتي هناك جاءت في زيارة صداقة).

لقد بلغ عدد القتلى من السّكان المدنيّين، خلال عدّة أسابيع عقب إعلان وقف إطلاق النّار، بلغ ما يزيد على ٥٠٠ شخص.. والهدف من هذه الاستفزازات الدّامية كان تصعيد خطورة المتاعب الدّاخليّة لمصر.. وخلق تيّار نقمة واستياء، وإجبار الحكومة على إجلاء السّكان علماً أن سكان الإقليم المذكور يربون على ٧٠٠ ألف نسمة، وكانت ذروة هذه المناورات الإجراميّة عمليّة المدمّرة الإسرائيليّة 'إيلات':

في ٢١ تشرين الأوّل، تمّ إرسال هذه السّفينة من الأسطول الإسرائيلي، وهي الثّانية منه من حيث الحمولة، إلى داخل المياه الإقليميّة للجمهوريّة العربيّة المتّحدة، شمالي مدينة بور سعيد وبعد ساعات قليلة، وبعد أن قامت الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بإعلام مراقبي منظّمة الأمم المتّحدة.. إعلامهم بتحركات السّفينة إيّاها، أصيبت بصاروخ وغرقت خلال دقيقتين.. وكان 'طبيعياً' أن يسمع العالم فوراً 'جوقاً' من الأصوات الصادرة عن 'الغرب' وتحاول كلّها إعطاء البراهين على 'عدوانيّة ناصر'.

وكانت محاولات الإنكار لواقعة خرق المياه الإقليميّة رغم الانتفاء المطلق لوجود من يستطيع أن يُفسّر ما كانت تفعله 'إيلات' في مكان يمكن منه رؤية بور سعيد بالعين المجرّدة وهي تبعد مسافة مئات الكيلومترات عن قاعدتها في حيفا..

استغلالاً للحادث إيّاه وللمناسبة قامت بعض الأوساط الصّهيونيّة الأمريكيّة الموجودة في إسرائيل بطلب 'استعارة' سفن حربيّة من الولايات المتّحدة الأمريكيّة.. كما أن دايان ضحّى بالسفينة وبحياة من تحملها ليمتلك الذّريعة للقيام بعمليّات انتقاميّة ضدّ السّويس، ففي ٢٤ تشرين الأوّل في منتصف النهار، فتحت المدفعيّة الإسرائيليّة النّار على المدينة، مدينة السّويس، وعلى مصافي البترول الكبيرة فيها فدمّرت ٦٠٪ من هذه المشاريع ذات الأهمّية الكبرى لاقتصاد الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. والجنرال 'أوود بول' رئيس مراقبي الأمم المتّحدة أكّد في تقرير قدّمه إلى 'ثانت' أنّ المدفعيّة الإسرائيليّة كانت البادئة بإطلاق النّار على

مصافي السّويس في ٢٤/ ١٠ السّاعة ١٢,٣١، وعندما طُلب إلى إسرائيل أن توقف إطلاق النّار فوراً أجابت 'هذا مستحيل بسبب صعوبة الاتّصال' هذا الجواب الوقح يؤكّد عزم إسرائيل على مواصلة عمليّتها الهدّامة.

الصحيفة الأسبوعيّة الفرنسيّة 'لاتريبون دي ناسيون' (تاريخ ٢٨ تشرين الأوّل) فسّرت قرار إسرائيل هذا بالتذكير بحدث جرى في مطلع هذا القرن.. اعتبرت الأميراليّة البريطانيّة المثلّث الذي تغمره مياه بحرين اثنين والموجود في نقطة التقاء ثلاث قارّات.. اعتبرته المفتاح للسيطرة.. واستطردت الأسبوعيّة القول إنّ الجنرال دايان انتقم لخسارة 'إيلات' بقصف السّويس.. أمّا ماذا تريد إسرائيل؟ هل تريد الموت من أجل البنتاغون؟ إذا تابعت نفس المسار حتّى النّهاية فهذا هو المصير الذي ينتظرها..

بين وقت وآخر كان الجنرال دايان يتباهى بهذا النّجاح الجديد فأعلن في ٢٧ تشرين الأوّل أنّ 'المدفعيّة الإسرائيليّة كانت تختار أحسن الأهداف'.. وفي حديثه عن الوحدات السّوفييتيّة التي أرست سفنها وربطتها في بور سعيد عقب حادث 'إيلات' أعلن بوقاحة: 'نحن لا نتوقع أيّ عمل عسكري'.

ثمّة واقعة تلقي الأضواء على هذه القضيّة بمجملها: إنّها قرار الولايات المتّحدة الأمريكيّة المتّخذ فوراً بعد حادث 'إيلات' وهو رفع الحضر، جزئياً، عن إرسال الأسلحة إلى إسرائيل وهذا يشمل طائرات (SKUHAWK) ومختلف الأعتدة الأخرى.. وصحيح أنّ القرار إيّاه شمل عدّة بلدان عربيّة ولكنّها، فقط، البلدان التي لم تكن داخلة مباشرة في النّزاع.. تلك مناورة هدفها معروف جداً ومحدّد: من جهة كان المطلوب محاولة كسر وحدة الموقف العربي، ومن جهة أخرى -وهذا يأتي قبل كل شيء- زيادة تزويد إسرائيل بالأسلحة، والمباحثات التي أجراها الوزير آبا إيبان في ٢٤ تشرين الأوّل مع الرئيس جونسون لم تكن مجرّد مصادفة.

في هذه المرّة كما في العديد من المرّات السّابقة اغترّت إسرائيل وكانت حساباتها خاطئة: إنّ الخسائر الثقيلة التي مُنيت بها الجمهوريّة العربيّة المتّحدة وتدمير مصافي السّويس لم تكن الضّربة القاضية على اقتصاد هذا البلد الّذي

وضع كلّ طاقاته في العمل، حالاً بعد حزيران، لتوفير قدراته الكافية لتلافي الوضع الاقتصادي الصّعب النّاجم عن إغلاق قناة السّويس وخسارة آبار بترول سيناء وانحسار الحركة السّياحيّة.. لقد تمّ تأسيس ميزانيّة اقتصادية هدفها الجوهري كان كبح عمليّات التمويل الأمر الذي [illegible] سرعة، ويؤخّر، و[illegible] الانطلاق والاندفاع الاقتصادي، هذا صحيح.. ولكنّه كان يسمح بحشد وحصر جميع جهود وطاقات الأمّة في هدف أساسي هو إزالة آثار العدوان.

إنّ الجمهوريّة العربيّة المتّحدة لم تجعل كبح عمليّات التمويل يشمل تمويلها الرّئيسي وهو بناء سدّ أسوان الكبير والمشروع الرّئيسي العملاق لتوليد الطّاقة الكهربائيّة ومشاريع أخرى موازية: إنشاء طرق رئيسيّة.. وإنجاز خطط استصلاح الأراضي الصالحة للحراثة وري الأراضي التي كانت صحراويّة بواسطة المياه المخزّنة في سدّ أسوان.

في مقابلة أجراها وزير الإعلام محمّد فائق مع المراسلين السوفييتيّين السّابق ذكرهما (بييلابيف وبريماكوف) أعلن: "إنّ الدّعاية العدوّة ترمي إلى التعريف عنّا بأنّنا قوميّون عميان، وأنّنا قوّة تهدّد بالخطر أمن الأمم الأخرى.. وهي ، في نفس الوقت، تحاول أن تفرض على الرأي العام الغربي أسطورة ، بل خرافة يكون وفقاً لها، عدوان إسرائيل الهمجي تمهيداً ذا ضرورة حيويّة للسلام في الشرق الأدنى وأنّ إسرائيل، في عدوانها المداجي والمتستّر تزعم أنّها جعلت السّلام أقرب إلى التحقّق بينها وبين العرب، إنّها وقاحة لم يسبق لها مثيل، فالمعتدون الإسرائيليّون أحرقوا بالنابالم الجنود المصريّين والسّوريّين.. ومنعوا الماء عن آلاف الرّجال المحاصرين وجرّدوهم من أحذيتهم وهم يقولون لهم بتهكّم إنّهم يحتاجون إليها من أجل الإحصاء.. وبهذه الطرق تمّ الحكم بالموت على السّجناء في صحراء سيناء الصّخريّة.. كلّ هذا أُدرج لدى الغرب على أنّه جهود سلميّة.

ثمّ أدان الوزير فايق تأكيدات الدّعاية الإمبرياليّة الزّاعمة أنّ "أزمة الشرق الأدنى" نجمت عن "مخاصمات وشجارات قبليّة" بين عرب ويهود. إذن، لم تكن هذه الأزمة ناجمة عن العداء المزعوم بين العرب واليهود، بل من العلاقات التي

قامت بين الدول العربيّة وإسرائيل.. إسرائيل التي تركّز أوساطها الحاكمة والمسيطرة على إيديولوجيّتها الصهيونيّة "القوميّة"؟

وإنّ الصهيونيّة -كما لفت النّظر إليها الوزير فايق- كانت في حقيقتها مبنيّة من قبل المسيطرين المتطرّفين الإسرائيليّين على مُعتقد تـوّاق للحرب، توسّعي، موضوع في خدمة الإمبرياليّة، ويزعم أنّه "يخدمَ مصالح الشّعب اليهودي" في حين يهدف إلى غزو وامتلاك الأراضي على حساب البلدان العربيّة المجاورة.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الهدف الرّئيسي والأوّل للمعتدين الإسرائيليّين ومعاونيهم الإمبرياليّين كان قلب وإسقاط الحكومتين التّقدميّتين في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة وفي سوريا، والمراسلان السّوفياتيّان تحقّقا من أنّ: "الجيش الإسرائيلي توقّف على الضفّة الشّرقيّة لقناة السّويس فلم يجرؤ المعتدي على اقتحام هذا الحزام المائي الضّيّق نسبيّاً والتوغّل داخل مناطق الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، الكثيفة السّكان وما من أحد إطلاقاً، من الغرب، أعلن أنّ شروطاً كافية تمّ خلقها لتسهيل نشاطات المعارضة الدّاخلية المعادية والمضادّة للناصريّة، لقد كان الجنود الإسرائيليّون موجودين فعلاً على بُعد ١٢٠ كيلومتراً من القاهرة و٥٠ كيلومتراً من دمشق.

واصل مراسلا برافدا حديثهما مع وزير الجمهوريّة العربيّة المتّحدة وكتبا: "سنكون على تناقض في الحقيقة إن لم نتكلّم عن التّيار القومي- الوطني المتعصّب الذي، وإن كان لا يتمثّل في المواقف الرّسميّة لا يقلّ وجوده عن سواه في "العالم العربي".. يُضاف إلى ذلك أن بعض الزعماء الرّسميّين ممثّلي عدة حكومات للدول العربيّة ارتكبوا خطأً محسوساً بحق شعوبهم العربيّة في خطبهم الطائشة، الرّعناء غير المستندة إلى وسائل الفعل، وفي "خططهم وتصاميمهم" لتدمير دولة إسرائيل..

بعد إقامتنا أكثر من عام في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة صرنا نعلم أن تلك الشّعارات والإشارات لم يأخذها أصحابها إطلاقاً على محمل الجدّ وخصوصاً في الأوساط السّياسيّة للجمهوريّة العربيّة المتّحدة، مثلما هو الأمر في الخارج لدى دول عربيّة أخرى.

ويُ . ـ. الصّحفيان السّوفياتيّان: "إنّه أحمد الشقيري زعيم منظّمة تحرير فلسطين الذي نصّب نفسه ناطقاً بلسان أصحاب فكرة تدمير دولة إسرائيل.." (لقد استقال أحمد الشّقيري عام ١٩٦٧ على أثر أزمة داخل الحركة الفلسطينيّة، استقال من منصبه كرئيس لمنظّمة تحرير فلسطين وممثّل فلسطين لدى الجامعة العربيّة).

إنّ التصريحات المذكورة أعلاه لوزير الإعلام في الجمهوريّة العربيّة المتحدة لفتت أيضاً الانتباه إلى عامل جوهري في أزمة الشرق الأدنى فيما يخصّ المساعي التي تقوم بها إسرائيل، مستندة إلى نجاحاتها العسكريّة المحقّقة في حزيران، والهادفة إلى إجبار البلدان العربيّة على تنازلات عن أراضي.. على التزامات سياسيّة.. مدّعية أنّها تضمن حقوقها في البقاء وفي الوجود.. وقد أحدثت هذه المسألة خصوصاً الكثير من الضجيج خلال المرحلة الثّانية من "المعركة السّياسيّة" التي تكرّس لها العنوان التّالي، في هذه المناسبة أكّد الناطق بلسان حكومة الجمهوريّة العربيّة المتّحدة الدكتور حسن الزّيّات، أنّ مصر لم تكن ترفض وجود دولة إسرائيل وذلك منذ ١٩٤٩، يعني منذ توقيع اتّفاقية الهدنة التي وُضعت نهايةً لحرب فلسطين ١٩٤٨- ١٩٤٩ وأضاف: خصوصاً وأنّ الجمهوريّة العربيّة المتّحدة لم تكن تنوي إقامة علاقات دبلوماسيّة مع إسرائيل، خصوصاً لأنّ هذه الدّولة كانت تحتلّ أراضٍ عربيّة.. وقد تزامن نشر وتعميم هذا التصريح مع تصريح مماثل أعلنه ملك الأردن حسين بن طلال خلال سفره إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة: "نحن نعتبر وجود إسرائيل أمراً واقعاً، هكذا أعلن الملك سواء أكان هذا يرضينا نحن العرب أم لا..".

إنّ تطابق وتوافق هذين التصريحين كان له أهمّية أساسيّة لأنّه، من جهة، برهان على الفشل الكامل لحسابات إسرائيل التي كانت تعتمد على تعميق الاختلافات وتباين الآراء العربيّة، كما أنّه من جهة أخرى بداية متواضعة لوضع قاعدة أمل تصبح الأردن بموجبها الحلقة الصغيرة الأولى لسلسلة البلدان العربيّة التي بفعل ضغط الحالة التي خلقتها إسرائيل بعد حزيران.. وبفعل ضغوط الدبلوماسيّة الأمريكيّة.. تخلّت عن جبهتها الموحّدة، واستبدلتها بالمحادثات

المنفردة مع زمرة الأشقياء التي تحكم إسرائيل.. ونتيجة محادثات من هذا النّوع ستكون دون أدنى شكّ، تنازلات عن الأراضي ومصيرها الاستسلام.

من أجل هذا، يتوجّب علينا أن نكرّس انتباهاً خاصّاً لتطوّر الوضع سواء في الأردنّ أم في الأراضي الأردنيّة المحتلّة. في مقابلة أجراها ليفي آشكول مع رئيس تحرير الصّحيفة الأسبوعيّة الألمانيّة الغربيّة 'ديرشبيكل' رودولف أوغستاين، ونُشرت في العدد تاريخ ١٠ تمّوز، تكلّم رئيس الوزراء الإسرائيلي عن 'شركاء من أجل التّفاوض' فقال: كنت أتمنّى أن أجد الأوّل.. أصبح عندي حتّى الآن الثّاني والثّالث، ومن ناحية أخرى كما تعلم، يوجد تباين في الرأي واختلافات بين ١٣ بلداً عربياً'.

آشكول ومعه الدبلوماسيّة الأمريكيّة راهنا على الخلافات العربيّة ولم يفهما أنّ موقفاً كهذا كان عامل قوّة للعرب.. والسّياسة الإسرائيليّة تجاه الأردن، منذ عدوان حزيران، تدلّ أنّ 'الشريك الأوّل' الآنف الذكر يجب أن يكون الملك حسين.. فالأردن تحمل خسائر فادحة من جرّاء الحرب في حين أنّ إسرائيل لم تحتلّ سوى جزء صغير من أراضيه إلاّ أنّ المعتدين وضعوا أيديهم على مناطق كثيفة السّكان تضمّ ٤٨٪ من مجموع السّكان كما تضمّ أهمّ مراكز البلاد الاقتصاديّة.. وأعني المدن التّجارية ومدن المصارف.. مثل: القدس- الخليل- نابلس جنين وغيرها. وعلى الضفّة الغربيّة لنهر الأردن كانت تتمركز أيضاً الزّراعة الأردنيّة، وبخاصة المناطق التي تنتج البقول والثّمار.

بعد نهب المدّخرات النقديّة في البنوك الموجودة في الأراضي المحتلّة قامت السلطات الإسرائيليّة بتنظيم واتّباع مناورات كان هدفها إضعاف الاقتصاد الأردنيّ: أنقصت سعر الدّينار الأردنيّ قياساً على وحدة النّقد الإسرائيليّة وبعد مدّة نشرت الصّحيفة الأسبوعيّة الباريسيّة 'تيموانياج كريتيان' أنّ هذا الخفض المصطنع لسوق الدّينار في حقبة تبادل النّقد أدّى إلى إفقار سكّان الضفّة الغربيّة.

إنّها مسألة خلق حالة صعبة في الأردن خصوصاً الصحيفة اليومية السويسريّة 'نيو زورشر زيتونغ' الجاهزة دائماً لدعم وجهات النّظر التي يختارها

الغرب بواسطة أخبارها ومعلوماتها 'الموضوعيّة' كتبت بتاريخ ٢٠ حزيران: 'إنّ الأردن عشيّة الكارثة الاقتصادية لم يكن سوى أحد ضحايا المخطط القاسي الإسرائيلي.. الوسيلة الأنجع للضغط على الملك حسين يجب أن تكون مشكلة اللاجئين التي على أساسها تظهر نوايا مطامع إسرائيل للحصول على أراضٍ غير مسكونة للمعمّرين الإسرائيليّين وبقصد إجبار السكّان العرب على النزوح من أراضيهم التي احتُلّت، طبّق المعتدون جميع الوسائل الممكنة ومنها الضغط الاقتصادي والمعنوي بما في ذلك الإرهاب ونشر الرّعب، وبهذه الأساليب قالت إسرائيل إنّها 'تحرّرت' من ٣٠٠ ألف نسمة هم، باعتبارهم لاجئين ومسجونين، زادوا عدد سكّان الجزء غير المحتلّ من الأردنّ بنسبة ٣٠٪.

إنّ السّلاح الذي أرادت إسرائيل استعماله ضدّ 'الحلقة الأصغر والأضعف' من المجموعة العربيّة.. وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار للروابط التي كانت سابقاً تقرّب حسين من الولايات المتّحدة الأمريكيّة ومن بريطانيا العظمى ويبدو أنّها تحوّلت إلى 'السّيف ذي الحدّين' فبعد المحاولات الأولى الباحثة عن مبرّرات لإسرائيل وإظهار المشكلة من قبل الدّعاية الصهيونيّة وكأنّ اللاجئين ينتقلون من الجانب الآخر من الأردن بشكل عفوي وبكامل إرادتهم ورضاهم.. تغيّر الوضع بسرعة وبشكلٍ جذريّ فمأساة آلاف للّلاجئين وبينهم الأطفال لقيت صدىً واسعاً لدى الصّحافة العالميّة فتحوّل الموضوع 'حسب العادة' فما من صحفي قادم إلى الأردن إلاّ وبيّن اهتماماته الأولى الحديث عن مشكلة اللاجئين.. ويقابل الحديث إيّاه وصف الوضع الرّهيب لهؤلاء التعساء فهم دون مأوى يتجمّعون في أماكن لا ماء فيها ولا كهرباء ولا منازل صحّية تنقصهم الملابس والثّياب يعانون من البرد القارس والمناخ القاسي في هضبة عمّان.. لقد بدأت الصحافة تنشر التحقيقات عن كلّ ما كان يجري في المناطق المحتلّة.. وتمّ تسليط الأضواء على سياسة ضمّ الأراضي والاضطهاد الجماعي للسكّان العرب.

العضوان في مجلس العموم (البرلمان) البريطاني 'إيان جيلمور ودينيس والتر' قدّما البرهان بعد تعرّفهما على أوضاع اللاجئين، على بطلان وكذب تأكيدات إسرائيل التي حسبها ترك العرب وطنهم بكامل رضاهم مقالاً: 'بعد الحادثات المتكرّرة مع لاجئين ومع مراقبين حياديّين، (وكتبا هذا في الصحيفة

اليومية البريطانيّة 'ذي تايمس') توصّلنا إلى الاستنتاج الذي لا يُدحض -باستثناء الذين كانوا بادئ ذي بدء، ضحايا الذّعر والفزع- فإنّ الغالبيّة من اللّاجئين قد أجبروا بالقوّة ومازالوا يُجبرون بالقوّة على النزوح من منازلهم..

وأشار النائبان الإنكليزيّان إلى أنّ السلطات الإسرائيليّة تشيع الرّعب والعنف دون رحمة بقصد القضاء الكامل على الوجود العربي في الأراضي الموجودة غرب الأردن والهدف هو أن تجعل منها جزءاً كاملاً من إسرائيل.

تعتمد إسرائيل على الوضع المأساوي للملك حسين كي تُجبره على أخذ مكانه على طاولة المفاوضات، هذا ما كتبه 'باتريك بروكان' في التايمس بتاريخ ٢٢ تمّوز.. وأضاف: كلّ هذه الأوضاع السّياسيّة والجغرافيّة وسوى ذلك.. وهذا الترحيل والتشريد للبشر وفق الخريطة الموضوعة، ليست سوى علامات تميّزت وا " " - بها إسرائيل وتخلق التقزّز والاشمئزاز..' ويستعمل الكاتب في رسالته عبارة جريمة إفناء شعب génoeide ويحدّد معنى الاحتلال الإسرائيلي بأنّه 'استعمار' وتزامن هذا مع ما نشرته صحيفة أسبوعيّة إنكليزيّة 'ذي سكوتسمان' في سياق حديثها عن تصريح دايان الذي كان صاحب الاقتراح والعزم على ترحيل السّكان العرب من قطاع غزّة نحو شرقي الأردن فقالت بتاريخ ٢٨ حزيران:

'إنّ تصريحات دايان خالية من أيّ أثر للرحمة وللمفاهيم الخاصة بالمسائل الإنسانيّة وسيخسر كلّ شيء إن لم يصحّح أسلوب دعايته وجاء أيضاً في 'فينانسيال تايمس' تاريخ ٢٤ تمّوز إضافة لما سبق: 'إنّ أسس التعاطف مع إسرائيل على وشك الزّوال'

من جانبها وكالة 'تاس TASS' نشرت بتاريخ ٢٠ تمّوز بياناً جاء فيه: 'إنّ حكومة البلد الذي، قبل وقت قريب جداً من الآن، يؤكّد إدانته للجرائم الهتلريّة أظهر أمام العالم كلّه أنّه اقتبس من الغزاة الفاشيّين الألمان جميع الممارسات اللّاإنسانيّة التي جرت وطُبّقت داخل الأراضي التي وقعت بين أيديهم فاحتلّوها خلال الحرب العالميّة الثّانية'.

كثيرون الصّحفيّون ومن مختلف البلدان الذين ' - لهم الفرصة أن يروا بأعينهم في أيّ وضع وأيّة حالة قذف الإسرائيليّون إلى الجهة الثّانية غير المحتلّة

من قناة السّويس الناس المقتلعين من جذورهم في إقليم غزّة أو منطقة العريش ودفعوا بهم نحو أراضي صحراء سيناء من الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.. كان الجنود الإسرائيليّون يسلبونهم أساور السّاعات من أيديهم.. خواتم الزواج من الأصابع.. وكذلك أيقونات القلّة من المسيحيّين بينهم.. لقد أصبح مألوفاً الالتقاء في القنطرة مع مطرودين وصلوا من الجانب الآخر من القناة وهم نصف عراة يرتدون السراويل فقط.. فقمصانهم (non IRON) سلبها جنود إسرائيليّون لاشكّ أنّهم يريدون أن يكونوا أكثر أناقة فلبسوها..

والصحافة الأمريكيّة من جهتها، نادراً ما رثت لحال اللّاجئين.. فحكومة الولايات المتّحدة الأمريكيّة (تكرّمت) فمنحت في آب ١٩٦٧ مبلغ خمسة ملايين دولار كمساعدة للاجئين وحتّى نعطي التّقييم الصّحيح لهذا الموقف نقول، هنا، إن حكومة إيران منحت مبلغاً أكبر بكثير، وأنّ أبو ظبي الإمارة الصغيرة على 'شاطئ القراصنة' قدّمت مبلغاً أكبر ضعفين ونصف الضعف من الذي قدّمه أغنى بلد في العالم.. ولا مجال للدهشة إذا كانت القاهرة اعتبرت المنحة الأمريكيّة ضرباً من 'النّفاق'.

أمّا موقف إسرائيل من مسألة تهجير اللّاجئين من وطنهم فقد قدّم، برهاناً إضافياً على نوايا وأساليب تصرّف هذه الدولة، فالقرار الذي أقرّته منظّمة الأمم المتّحدة الخاص بهذا الموضوع تمّ تحويله إلى مهزلة أو مزحة رغم أنّ مشروع هذا القرار الإنساني المقدّم من قبل الحكومة السّويديّة قد أقرّ تقريباً بالإجماع، بادئ ذي بدء سمحت إسرائيل لقرابة خمسين شخصاً أن يجتازوا باتّجاه الغرب جسر آلمبي (جسر حسين) واستُغلّ هذا الحدث إلى أبعد وأوسع مدىً للدعاية الإسرائيليّة وذلك من قبل العديد من الصحف اليوميّة الغربيّة.. وبعد هذا الحدث مباشرة بدأت حكومة إسرائيل تضع العراقيل والمصاعب وتُملي الشروط ومنها شرط إلزام طالبي العودة إلى مواطنهم أن يملؤوا شهادة تحمل 'نجمة داود' الأمر الذي يعني أن الأردن يعترف بسيادة إسرائيل على الأراضي المحتلّة.. كما أنّ إسرائيل كانت تحتفظ بحقّ انتقاء الأشخاص الرّاغبين بالعودة إلى مساكنهم.. وكلّ ذلك بعد الجهود الكبيرة والمنوّعة التي بذلتها مؤسّسة

الصليب الأحمر الدّوليّة حتّى الخامس من آب حيث طلعت إسرائيل بالشّروط الآنف ذكرها.. وماذا كانت النتيجة؟

من بين ١٧٥ ألف منفيٍّ ولاجئ راجعوا وطالبوا ممثّلي الصليب الأحمر الدّولي بتحقيق مطلبهم العودة إلى مواطنهم، لم يتجاوز عدد الذين نجحوا في ذلك ١٤ ألفاً وكما أشارت صحيفة التّايمس اللّندنيّة تاريخ الأوّل من أيلول، اتّهم رئيس بعثة الصليب الأحمر في عمّان، اتّهم الإسرائيليّين بعرقلة وشلّ مساعيه بالأساليب الآنفة الذكر ومنها الموافقة على أشخاص معيّنين وليس على مجمل عائلات هؤلاء الأشخاص بكامل أفرادها الأمر الذي يجعل العودة مستحيلة على الصعيد العملي.

مراسل الصحيفة السّويسريّة 'نيو زورشر رايتونغ' الدكتور 'آرنولد هوتنجر' انتقد سياسة السلطات الإسرائيليّة التي كانت تنطلق من مبدأ أنّ العائلة تتألّف من الأولاد ووالديهم في حين أن هذا المبدأ الخاص بالعائلة أوسع بكثير في العرف العربي.. ومن جانب آخر كان يتوجّب على طالبي العودة أن يقدّموا الدليل والبرهان خطّياً وبشكلٍ قطعي أنّهم متحدّرين من أصول ثابتة من الأراضي المحتلّة.. ومعظم الأشخاص لم يستطيعوا تقديم الأوراق المطلوبة بسبب كون الإسرائيليّين سلبوا منهم جميع الوثائق بما فيها الوثائق المسلّمة إليهم من منظّمة الأمم المتّحدة.

وانتهت عمليّة عودة المهجّرين إطلاقاً بتاريخ ٣١ آب، ونشرت صحيفة 'ليموند' نتائجها في عددها تاريخ ٢ أيلول على الشّكل التّالي: 'لقد انطلقت بمدّ كبير من الدّعاية والنّشر رغم كونها شبه فاشلة.. فالواقع هو، ومنذ البداية أنّ حكومة إسرائيل واجهت عمليّات العودة بتحفّظات لا حدّ لها.. رغم خضوعها لضغط رأيٍ عام دوليّ زادت من حساسيّة المشكلة الفظيعة المؤلمة للتهجير.. وانعدام شعور الإسرائيليّين بما يفعلون وبمباشرة واستمرار الطرد والإبعاد.. الذي شمل في نهاية العام عشيرة 'النّصيرات' البدويّة التي تمّ إجلاؤها من غربي الأردن مع الاحتجاج المُعلن: 'إنّهم بدو رحّل على كلّ حال' وخلال الأشهر الأخيرة من العام، بدأت إسرائيل كذلك تحريك إبعاد أي شخص عربي باقٍ في الأراضي

المحتلّة وتدّعي أنّه 'مصدر إزعاج وإقلاق' مما حمل الأردن على تقديم احتجاج رسمي إلى منظمة الأمم المتّحدة..

كان البوليس الإسرائيلي يُجبر الأشخاص الموقوفين على اجتياز جسر آلنبي والذّهاب إلى الجانب غير المحتل عبر نهر الأردن: وهذا ما جرى فعلاً، لإبراهيم بكر المحامي من رام الله والعضو اللاّمع في الحركة الشّيوعيّة الأردنيّة.. وقد تمّ توقيفه ثمّ طرده بعد أيّام من قيامه بتوقيع نداء هو و٢٠٠ شخصيّة إسرائيليّة يطالبون فيه بوضع حدّ للاحتلال وبإعادة الأراضي الخاصة بالبلدان العربيّة.

هذا النداء تضمّن ردّاً على 'مقولة أنّ إعادة الأراضي المحتلّة لا يمكن أن تتمّ دون شروط' وقد شكّل مع تصريح أعلنه الحزب الشيوعي الإسرائيلي وأمينه 'ماير ويلنر' التظاهرة الوحيدة الواقعية داخل المجتمع الإسرائيلي.

أمّا الحكومة فبالرغم من جميع تصريحاتها المنافقة فكانت ترى نفسها موضوع أكثر قرباً من الجنرالات: من أبراهام يوف- راشيل بن زفي.. أو الحاخامات مثل إسحق نسيم المنضم إلى 'حركة من أجل إسرائيل كبرى' أو أيضاً أنصار 'إسرائيل في حدود الأسماء التوراتيّة' والجنرال يوف كان يؤكّد أنّ الحدود الجديدة ضرورية لأمن إسرائيل. راشيل بن زفي، أرملة رئيس إسرائيل، كانت تطالب بوجوب حذف عبارة 'أراضٍ محتلّة' من مفردات لغة إسرائيل في حين كان الحاخام نسيم يقدّم رأياً بأن 'مجرّد فكرة إعادة أراضٍ إسرائيلية تشكّل خطيئة لكلّ يهودي لأنّ هذه الأراضي أعطاها يهوه لإسرائيل وسبق أن وعد بها الأنبياء'

وكانت ظاهرة واضحة الدّلالة، بعد بضعة أشهر، أنّ وزير داخلية إسرائيل نشر قانوناً يتضمّن: 'تحسين نظام سير السّكان' حيث وُضعت إشارات تدلّ على الأرضي الأردنية المحتلّة بالأسماء التّوراتيّة: 'يهودا والسّامرة' و'نعوم شيفارد' في أعمدة الصحيفة الأسبوعيّة 'ناي ستاتسمان' حاولت الدّفاع عن سياسة إسرائيل الخاصة بالأراضي المحتلّة.. واصفة العوامل التي تمثّل إسرائيل توجّهات التوسع الجغرافي بأنّها 'فاعليّات ناشطة' وهذا يؤكّد أن انقسام السياسيّين الإسرائيليّين -كما يفعل العديدون من المعلّقين- إلى 'صقور وحمائم' كان كاذباً إطلاقاً.. وكتبت

أيضاً: 'ما من أحد في إسرائيل يمكن أن ينصح أو يوصي، بأي شكل أو شرط، بالعودة إلى الحدود التي كانت قائمة قبل الخامس من حزيران، ثمّة إجماع كامل يسود فيما يخصّ دواعي تأمين الحدّ الأدنى من الأمن وتعيين الحدود الجديدة الضّروريّة لهذا الأمن منطقة منطقة.. ولا وجود إطلاقاً لأي أمل بالسّلام مع الحكومة السّوريّة الحاليّة ومن أجل هذا لا تنوي إسرائيل إطلاقاً التخلّي عن القمم والهضاب المشرفة على منابع الأردن، وخطّ قرى حوض الحولة الذي طال التنازع عليه والاضطراب فيه.

بعد أن بتّت في أمر مشكلة سوريّة تابعت نعومي ستيفارد: 'لا يمكن أن يدور في خلد إنسان أنّ إسرائيل ستكفّ عن المطالبة بحقّها في حريّة الملاحة لسفنها وأنّ قطّاع غزّة سيعود يوماً إلى مصر.'

وأشارت إلى ثلاثة آراء موجودة فيما يخصّ مستقبل الضفّة الغربيّة: الأوّل يؤكّد أن الضفّة الغربيّة تشكّل جزءاً من وطن الأجداد ويجب أن تتمّ إجراءات ضمّها حالاً، والثّاني يعلن أن بعد بعض التعديلات الضّروريّة للحدود يجب في النّهاية إقامة نوع من الدّولة الفلسطينيّة ذات الحكم الذّاتي، فتتمّ بذلك تسوية مشكلة الإدارة الخاصّة بمليون عربي.. والرّأي الثّالث يدعو إلى ترجيح إمكانية تأجيل المشكلة إلى وقت آخر فيه قد تتغيّر مشاعر العرب.

يظهر جليّاً أن نعومي شيفارد لا تنبس بكلمة حول وجود مطلب آخر وهو وجود إعادة الأراضي المحتلّة (المفتوحة حسب إسرائيل) إلى أصحابها الحقيقيّين بأسرع وقت ممكن.. إنّها تتباهى بالتسوية.. إنّها ترى في الاحتلال تجربة اجتماعيّة.. إنّها تأسف لأنّ الخطوات الأولى لتحريك الإصلاحات والتنظيمات التي تشكّل الأسس للتعايش العربي- اليهودي، لم تتحقّق بعد، إنّها تعيّن الشّروط، مع ذلك إذا طال أمد الوضع القائم فعلى إسرائيل أن تحتفظ بإدارة عسكريّة على الضفّة اليسرى من الأردن هذا إذا كانت قوى الدّفاع الإسرائيليّة غير جاهزة نفسياً لمواصلة ممارسة عملها كجيش الاحتلال.

في أعمدة الصّحيفة الأسبوعيّة الأمريكيّة 'ني ريبوبليك' يحاول 'فيليب بن' أن يثبت للأمريكيّين أنّ كلّ شيء على ما يُرام ويسير نحو الأفضل في سياق

إعلانه أنّ إزاء الرفض العربي للتفاوض لا تملك إسرائيل في الحقيقة خياراً آخر غير الاحتفاظ بكلّ ما استولت عليه.

الدكتور 'ج ل. تالمون' أستاذ التاريخ المعاصر في الجّامعة العبريّة كتب في العدد تاريخ ١٠ أيلول من الصّحيفة اليوميّة اللّندنيّة 'أويزرفر': لا يملك الجيل المعاصر الإسرائيلي حقّ التخلّي عن الميراث الذي كان قد وُعد به.. لا يمكن التراجع عن الحدود الاستراتيجيّة وبخاصّة حدود نهر الأردن وهضاب الجّولان وقناة السّويس.. وفي هذا المقال نفسه لا يُسمّي هذا الأستاذ الوقح أمّته إلاّ بعبارة 'الذين بقوا أحياء بعد أوشويتز'.

بين وقت وآخر كان الدبلوماسيّ السّويديّ 'نيلز عيسانغ' يقدّم لثانت بتاريخ ١٩ أيلول، تقريراً نستطيع فيه أن نقرأ: 'لقد قدّموا لي عدّة شكاوى من شخصيّات عربيّة حول وحشيّة إجلاء السّكان بالقوّة وفصل العائلات الخ.. من قبل إسرائيل' ومن جانبها 'وكالة الصحافة الفرنسيّة' أعلمت عن استفحال وتفاقم نظام الاحتلال.

حتّى في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ما من أحد يساوره الشكّ بصحّة سياسة الدعم والمساندة المقدّمة لإسرائيل 'كريستيان سيانس مونيتور' (تاريخ ٢٤ أيلول) أعلنت استيائها من موقف حكومة إسرائيل: 'إن لم يُقمْ الإسرائيليّون بتشجيع العرب على الاعتدال ستصبح اليد العليا للمتطرّفين العرب وليس محتملاً أن يظلّ الخاسرون هم الأ ‍ ‍ دائماً' والصّحيفة الشّهريّة 'فورتون' أطلقت تحذيراً: 'لقد اختارت إسرائيل طريقاً يمكن أن يكون على المدى الطويل، معاكساً وضداً لمصالحها.. ومن جانبها الولايات المتّحدة الأمريكيّة هي التي دفعت الإسرائيليّين في هذه السّياسة اللاعقلانية لأنّها لم تكن في حالة تمتلك فيها الرّأي الصّحيح السّديد الخاص بالشّرق الأدنى.. وعلى هذا الشّكل جنينا كراهية وحقد العرب ولم ننجح بإقناع إسرائيل أن لا تباشر أعمالاً تكون نتائجها تهديداً لوجودها هي بالذّات..'

الصّحيفة الأمريكيّة ذات النّفوذ 'انترناشنال هيرالد تريبيون' نشرت رسالة 'لفلورا لويس' نقرأ فيها: عبثاً نحاول الإنكار أنّ هذا هو الاستعمار بمعناه التقليديّ المطلق.. وقادة إسرائيل أنفسهم يعون تماماً هذه الحقيقة..

وفي أعمدة صحيفة 'كومبا' استعمل 'أوليفييه ريفولت دالّلون' استعمل أيضاً كلمة استعمار عندما حلّل الظاهرة التي أدخلت إسرائيل في طريق الاستعمار في وقت انتهى فيه فعلاً عصر الاستعمار، وأضاف مذكّراً أنّ المستعمرين في عصرهم وزمانهم، كانوا يختارون، ويقدّمون تصريحات مفعمة بالإنسانية بدلاً من العنصريّة والعرقيّة، ويستطرد الكاتب مستخلصاً أنّ هذا الشّر ناجم عن 'شوفينيّة' إسرائيليّة انتابت مجموع مجتمع إسرائيل.. وهو يشير هنا دون أدنى شكّ، إلى مواقف بعض الشّيوعيّين الإسرائيليّين من فريق 'ميكومنيس- سنيح' عندما كتب أنّه، حتّى في أقصى اليسار لا نجد أحداً، أو نكاد لا نجد أحداً يفكر بإعادة النّظر في القرار الأحاديّ الجانب الخاص بضمّ القسم العربي من القدس، وهل من الجائز أن يكون حصار 'الآثار' لهيكل قديم عامل سحر وجاذبيّة واستهواء (Easeiner) في إسرائيل حتّى لممثّلي اليسار المتعامين عن وجودهم تحت سيطرة وتأثير أفكار اليمين.. إنّ اليساريّة الواقعيّة وحدها هي القادرة على طرد الجنرالات والمليارات والحاخامين ومعهم حلفاؤهم الاشتراكيّون الديمقراطيّون فالذين يصمّمون على العيش والبقاء في الشّرق الأوسط يتوجّب عليهم أن يفعلوا كلّ ما يجعل هذا البقاء يلقى موافقة وترحيب الأمم التي تسكن هذه المنطقة من العالم.. والتاريخ برهن وأثبت أن الحلول المرتكزة على القوّة باطلة وزائلة..

ويسخر 'ريموند ريفولت دالّلون' من الحجّة الرّسميّة التي يتسلّح بها تل أبيب عندما يعلن أنّ سياسة الضمّ تعود أسبابها إيديولوجيّاً إلى 'مقولة' حقوق الإسرائيليّين التّاريخيّة -إسرائيليّين القرن العشرين- في أراضي العبرانيّين.. إنّ حقّ الإسرائيليّين في 'أرض إسرائيل' لا يمكن أن ينشأ وينجم عن كون شعب بدوي من أبعد العصور أقام فيها يوماً..

وفي رسالة نشرتها 'ليموند' بتاريخ ١٦ تشرين الثّاني دليل واضح على تغيّر الموقف المتفاعل بين المتحمّسين لمبادرات إسرائيل: 'بعد أن قادتهم أنفسهم إلى تجاوز الحدود انسياقاً مع الدّعاية الصهيونيّة، وبعد أن اتّخذوا في حزيران

الماضي صفة الأنصار لسلام يبدو أن فريقاً من رجال الفكر اليساريّين بدؤوا بتعديل حماسهم المؤيّد لإسرائيل وحربها الصّليبيّة بحجّة الدّفاع وبذريعة أنّها الدّولة المهدّدة بالإفناء وهم الآن، مع كلّ التحفّظات الضروريّة يوجّهون بعض اللّوم الخجول لهذه 'الضّحية' التي تحوّلت بسرعة عجيبة إلى منتصر متغطرس'.

الصّحيفة الأسبوعيّة الباريسيّة 'تيموانياج كريتيان' نشرت في مطلع تشرين الأوّل رواية مسهبة بقلم 'إيدا وكلود بورديه' حول فترة إقامة لهما في الأراضي المحتلّة.. وقد أُعطي هذان الصحفيّان الفرنسيّان قائمة كاملة للأحياء السكنيّة التي فيها، استعمل الإسرائيليّون البالدوزرات والدّبّابات لدكّ البيوت التي يسكنها العرب. وجرائم من هذا النوع حصلت في القدس القديمة ومدينة قلقيلية وكذلك القرى منها 'بيت أوى وبيت مرسين' التي تمّ تدميرها بالكامل وهُجّر سكّانها.. وكتب الصّحفيّان أنّ تدمير قرى بيت نوبا ويالو وإيمايوس وبيت سير، هذا التدمير بدأ منذ ٧ حزيران وبعد توقّف بضعة أيام استؤنف حتّى بالكامل في ٢٨ حزيران.. والسّكان الذين لم يسبق أن هربوا تمّ طردهم بالقوّة.. ووصفوا سياسة سلطات الاحتلال أنّها 'أسلوب إذلال' إلى جانب الهدف الأساسي وهو زيادة عدد اللّاجئين.. وفي القدس أجبروا العرب أن يدفعوا مرّة ثانية إلى خزينة السّلطة المحتلّة الضّرائب التي سبق وسدّدوها للمرجع الأردنيّ المختصّ، ويُضاف إلى كلّ هذا: 'النهب العام الشّامل لأرزاق ومقتنيات العرب أثناء وبعد العمليّات العدوانيّة' والذي استخلصه الصّحفيان: 'إنّها الهمجيّة الإسرائيليّة التي بدأت قبل إنشاء العصابات المسلّحة المنظّمة بزمن طويل، وحوّلت عمليّات تسرّبها إلى القرى من 'تسرّبات بريئة' إلى تسرّبات انتقاميّة'. وحتّى الآن يستمر التوسّع ويتضاعف التفتيش والنهب.

أمّا السّجون فهي ملأى.. وإسرائيل 'تصطنع' هي نفسها 'إرهابيّين عرباً' ثمّ ترمي مسؤوليتهم على الحكومات العربيّة وحدها.. ودايان يتكلّم، مجدّداً عن غارة ضدّ دمشق.. والحكاية تتجدّد'.

ولنذكر هنا بشكلٍ أوسع، عدّة منشورات غربيّة جادّة انعطفت على المشكلة التي نعالجها ونقصد حلقتين من المقالات لصحفيّين شيوعيّين ولرجل فكر عربي هو كلوفيس مقصود'.

الصّحيفة اليوميّة 'أونيتا' بدأت انطلاقاً من ٤ تشرين الأوّل نشر سلسلة مقالات 'لأوغستو بانكالدي' حول الوضع في إسرائيل وممّا قاله الكاتب: 'إنّ إحدى الوقائع الأكثر إقلاقاً تبقى وضع السّكّان داخل إسرائيل بالنسبة إلى الحالة النّاجمة عن حرب حزيران.. لقد استطعت أن أتحقّق من أن تصريحات القادة الإسرائيليّين أنّ الأمر الذي يوجب الانسحاب من الأراضي العربيّة المحتلّة لن يكون مفهوماً ولا مقبولاً من قبل السّكان.. متطابقة مع الحقيقة.. فجميع الشكاوى ضدّ تل أبيب والمتعلّقة بسياستها أعني سياسة ضمّ الأراضي تخلق في إسرائيل ردود فعل وحشيّة وشكاوى مضادّة موضوعها المعاداة للساميّة'.

إنّ السّكّان الإسرائيليّين يعتبرون أن أعداءهم هم -بعد العرب طبعاً- هم الاتّحاد السّوفييتي، والشّيوعيّة وبريطانيا العظمى التي تُجري حالياً محادثات مع ناصر.

أمّا ما يخص الولايات المتّحدة الأمريكيّة فلا يخامر الإسرائيليّين أدنى شك -وهذا ما يعلنونه جهاراً- أن جونسون شديد الاحتياج إلى ٥ ملايين صوت لليهود الأمريكان ولن يخوننا وهو على أبواب الانتخابات الرّئاسيّة.

وجيل الشباب الإسرائيلي لا يعرف شيئاً عن الدّور الإيجابي الذي لعبه الاتّحاد السّوفييتي في زمن قيام دولة إسرائيل.. ومقابل ذلك، فهذا الجيل لا يعرف سوى أن يقول إنّ الاتّحاد السّوفييتي قلب ميزان القوى في الشرق الأدنى منذ قدّم الأسلحة إلى مصر بهدف القضاء على دولة إسرائيل.

ولدى الانعطاف على أصول 'القوميّة المتطرّفة' والموقف المعادي للعرب.. المعادي للاتّحاد السّوفييتي.. المعادي للشيوعيّة.. لدى الرّأي العام الإسرائيلي.. لا يكفي الكلام عن 'إرادة البقاء' أو الكلام عن 'الأخطاء المرتكبة حقيقة' من قبل 'القوميّة العربيّة.. أو' أيضاً من قبل السّياسة 'الأحاديّة الجّانب' للاتّحاد السّوفييتي في الشّرق الأدنى.. بل يجب أن يتّسع تفكيرنا لبعض الحقائق الأساسيّة.. يجب النّظر بأيّة طريقة استخدمت 'الاشتراكيّة الدّيمقراطيّة' 'إرادة البقاء' هذه وبُعدها الإنساني بقصد توجيه سياسة معادية للعرب.. معادية للسوفييت.. وموالية للغرب.. بأيّة طريقة سمحت 'الأحزاب الاشتراكية

الديمقراطيّة' للقوى الرّجعية المستقيمة الرّأي (الأرثوذكسية) كي تنفخ وتبعث في الأجيال الشّابّة روحاً تلموديّة عدوانيّة.. بأيّة طريقة نجح الرّأسمال الصّهيوني في البلدان الأجنبية، بواسطة الوكالة اليهوديّة والنّقابات الاشتراكيّة الدّيمقراطية التي أصبحت اليوم مالكة المصانع والبنوك وكذلك كبار أرباب الأعمال في أيّ بلد.. نجح في محاربة المُثُل الاشتراكية الحقيقية وجعل الجماهير تابعة لسياسة اليمين الاشتراكي الديمقراطي؟

ليس مجرّد صدفة أن يكون النّاشر المعروف جداً 'إسحق دوتشر' الذي لا يمكن إطلاقاً أن يُتّهم بالموالاة للشيوعيّة أو الموالاة للسوفييت.. أن يكون قد صرّح علناً بن غوريون كان 'الرّوح الحاكمة للشوفينيّة الإسرائيلية'.

عضو الحزب الشّيوعي في 'بريطانيا العظمى' 'مورننغ ستار' نشر في ٣٠ آب مقالاً لـ'سام روسل' يشكّل ملحقاً للشعار الذي أطلقته إسرائيل الخاص بزيادة عدد سكّانها من ٢,٣٠٠ ألفاً إلى ٥ ملايين بفضل هجرة اليهود علماً أنّه في عام ١٩٦٦، بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من إسرائيل ١٢ ألفاً تقريباً أي من العدد المقدر له أن يهاجر إلى إسرائيل في نفس الفترة ومن الصعب التّصوّر بأيّة طريقة يمكن الوصول إلى تحقيق الزيادة إيّاها.. فمن بين ١٣ أو ١٤ مليون يهوديّ يعيشون في العالم كلّه ٢,٣ مليون فقط يسكنون في إسرائيل.. وقرابة ٥.٥ مليون يهوديّ يعيشون في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.. و٢,٢ مليون في الاتّحاد السوفييتي و٥٢٠ ألفاً في فرنسا و٤٥٠ ألفاً في الأرجنتين.

لم يُخفِ قادة إسرائيل إطلاقاً كونهم يُعطون أنفسهم حق الكلام باسم الجميع يهود العالم وتلك هي إحدى الآراء السّياسيّة الأساسيّة للصهيونيّة.. هذا هو مفهوم قادة الصّهيونيّة الذي بموجبه، يكون جميع اليهود أو من هم من أصول يهوديّة، في بريطانيّة العظمى، في فرنسا، في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، في الاتّحاد السّوفييتي، وأيّ بلد آخر، أي خارج إسرائيل، جميع هؤلاء ليسوا جزءاً من الأمّة البريطانيّة أو الفرنسيّة أو السّوفييتيّة أو الأمريكيّة الخ.. بل يشكّلون أمّة قائمة بذاتها وهي، أساساً رجعيّة وتفضل بل تحابي 'اللّاساميّة'.

وفي يومنا هذا نجد قادة الصّهيونية يتمسّكون بكونهم يطالبون حقّ المطالبة بجمع اليهود أو من هم من أصول يهوديّة في العالم كلّه.. جمعهم في إسرائيل بنهاية المطاف. وعندما تصبح الأكثرية حاضرة في إسرائيل تملك حكومة إسرائيل الكلام باسمها.

إنّ الأخطار النّاجمة عن هذا النّوع من المعتقدات لدى ١١ مليوناً من اليهود يعيشون خارج إسرائيل تبقى أخطاراً بديهيّة وسافرة.. ولا نستطيع القول إنّ أمن اليهود قد نما وازداد عقب قيام دولة إسرائيل، فالقادة الإسرائيليّون خلقوا على الأقلّ مشاكل جديدة.. فهذا الإصرار الذي يُبديه قادة إسرائيل في المطالبة بهجرة مكثّفة وجماعية نحو إسرائيل يجعلنا نفهم لماذا يتطلّعون دائماً إلى توسيع دائم ومستمرّ لحدودهم.. فإذا اعتُبرت إسرائيل 'الموئل والملجأ' لملايين اليهود الآخرين فإنّ هذا يقود حتماً إلى ممارسة سياسة التوسّع والضمّ والعدوان والالتزام بالسّياسة إيّاها.

إذا كان الجنرال دايان يعلن اليوم: 'لا نستطيع العودة إلى حدود ١٩٤٨ لأن أمن ٢,٣ مليون يهوديّ إسرائيلي يتطلّب أن يكون الحدّ على نهر الأردن وقناة السّويس والهضاب السّوريّة'. يصبح الأمر واضحاً أنّه، في الغد عندما يبلغ عدد اليهود ، خمسة ملايين سيفرض الجنرال أوسع أيضاً.

حسب سياسة التوسّع الصّهونيّة، كان يتوجّب على العرب أن يعترفوا بحقّ سكّان 'فرانكفورت وأوديسة وبروكلن بالعودة إلى إسرائيل لأنّه منذ ألفي عام، دمّر تيتوس هياكل أجدادهم.. في حين أنّ العرب الفلسطينيّين الذين أُجّلوا لا يملكون، بالمقابل أيّ حقّ في العودة والذين ما زالوا يعيشون داخل إسرائيل يُعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية'.

من جهته وعلى صفحات 'نيي ستاتسمان' الكاتب العربي المعروف جيداً كلوفيس مقصود يواجه المسألة بالطّريقة التّالية:

إنّ الغرب يعتبر أن دعمه لإسرائيل هو التعبير عن إقرار العدالة نحو اليهود.. وهذا في الحقيقة، لا يؤدّي سوى إلى تفاقم واستفحال الظّلم بحقّ العرب وخلال النّزاع الأخير تعمّق هذا الظّلم بشكل جليّ وواضح.. كثيرون هم

الأشخاص الذين، في الغرب وإن كانوا يدعمون وجود وسياسة إسرائيل، فهم يعتبرون أنّنا نحن العرب، على حقّ وأنّ مزاعم الصّهيونية باطلة ولا أخلاقية.. ولكنّهم يحاولون إقناعنا، استناداً منهم إلى شعار 'إسرائيل كانت وستبقى' وبموجب هذا الشّعار أنّ الماضي لا يمكن إدخاله في المسألة وأنّ التبرير المعنوي للمطالب الصّهيونيّة لا يقبل الخضوع لإعادة نظر لماذا؟ لأنّ الغرب يتأثّر بالشعور بالذّنب جرّاء مخطّط الإفناء الهتلري.

إنّ كلّ مجهود يحاول عرض المسألة العربيّة مُني بالفشل لأنّه مضادّ للمفاهيم الصّهيونية الغربيّة.. وكلّ مبادرة ترمي إلى عرض المشكلة بكلّ أبعادها قوبلت بالرّفض على اعتبارها غير عمليّة، وقد مورست جميع الضغوط النفسيّة الممكنة بقصد حصر المسألة العربيّة في حدود التفاصيل التي يُراد احتمالها.. والنّتيجة كانت تحوّل المسألة العربيّة إلى مسألة غير قابلة للفهم حتّى بالنّسبة للّذين كانوا متعاطفين مع العامل العربي.

إنّ الصّهيونيّين يعمّقون هذه المرامي المنظّمة بقوّة وفعّالية، وكلّ مسعى يرمي لمعالجة المسألة الفلسطينيّة يُتّهم ويوصف فوراً باللّاسامية.. وما أن ترى إسرائيل نفسها تواجهها فعلاً كما كانت الحالة خلال النّزاع الأخير، حتّى تصبح كلّ محاولة ترمي إلى جعل المسألة إيّاها تدخل مدى القبول الإيجابي.. تصبح كافية لإثارة أعنف الاتّهامات من قبل الصّهيونيّة، وقد كنّا الشّهود لحملة لا رحمة فيها من الإرهاب الفكري الذي يستفيد دائماً من عقدة الذّنب لدى الغرب الآنفة الذّكر.

ولكن هل كان الغرب ملزماً أن يتراخى ويستسلم للمناورات في مسألة كهذه؟ إنّ الجواب على هذا السؤال يتوقّف على كيفيّة التّفهّم للإيديولوجيّة الصّهيونيّة من جانب ولطبيعة النّزاع العربي الإسرائيلي من جانب آخر.. فالصّهيونية وإسرائيل باعتبارها إحدى نتائجها الفرعيّة، هي إيديولوجيّة لا تقبل إطلاقاً مطابقة وموازنة المشكلة اليهوديّة مع سواها.. ورغم كونها مُنيت بأطول إحباط وسقوط يبقى الإصرار على جعلها أكثر صعوبة وتعقيداً.. فهي تعتبر المعاداة للساميّة (اللّاسامية) ذات طبيعة دائمة وأنّ عدم تشابه خاصّة اليهودي المطلقة محتوم وإنّ إرثه وانتقال ملكه إليه من المسلّمات والحقائق البديهيّة..

وحكم الصّهيونيّة أنّ هذا الإرث يبقى أمنية تجعلها ترفض الاندماج.. اندماج اليهود مع وفي المجتمعات التّقدّميّة.. وكنتيجة لنفوذ وهيمنة الصّهيونيّة على يهود العالم جميعاً، وبصورة عامّة على المجتمعات الغربيّة، كان مردوده أن ولّد ونشّط مفاهيم وحركات ترمي إلى التفكّك والتفرقة الاجتماعيّين في إطار هذه المجتمعات. وهذا ما خلق مقاييس ذات حدّين ليس فقط لدى اليهود القابلين للتمثّل بل بهدم أيضاً ومن الأساس أيّة ثقة بحيويّة المؤسّسات الديمقراطيّة الاشتراكيّة والليبراليّة، مما يجعل التفرقة في البديهيّات.. وضحايا الصّهيونيّة ليس العرب وحدهم بل لابدّ من أن تُضاف إليهم القيم الإنسانيّة في المجتمعات الغربيّة وكذلك اليهود بصرف النّظر عن المكان الذي يوجدون فيه.

إنّ الغرب وحتّى الرأي اليساري في هذا الغرب لم يحاول إطلاقاً تفهّم الطبيعة الحقيقيّة للنّزاع لأنّه سبق والتزم بادئ ذي بدء، بتحليل المسائل من وجهة نظر 'مستقبل إسرائيل' وحتّى العرب، حتّى يتمكّنوا من جعل صوتهم مسموعاً، أخضعوا أهدافهم الوطنيّة والقوميّة العادلة لهذه الأولويّة التي فرضها الغرب عليهم. ورفض العرب القابل لأن يُفهم، رفضهم قبول نهج كهذا ولّد العديد من الحتميّات التي تتابع استعمالها من أجل إعطاء موقف العرب خاصّة معينة وكانت 'تهمة عدم التساهل' الخاصّة الأكثر استعمالاً.. والهدف الذي يُلاحق دائماً هو فرض القبول أنّه مادام الشّعب العربي متمسّكاً بعناده تجاه مطالب إسرائيل فعلى الغرب أن يقبل بالنّظرة الصّهيونيّة إلى العرب واعتبارهم 'الورثة للجيل الهتلري'.

شيء أساسي أن الغرب يفهم تماماً حقيقة المقارنة بين القوميّة العربيّة وبين الصّهيونيّة.. ففي فلسطين تبني الصّهيونية مجتمعاً يرتكز على إيديولوجيّة تحاول لوي عقول اليهود Aliéner في حين أنّ القوميّة العربيّة ترمي إلى الاحتواء الصّادق والأصيل على مضمونها الإنساني. الصّهيونيّة ترمي إلى تكريس فصل اليهود وعزلهم عن سواهم في حين أنّ القوميّة العربيّة ترغب في التغلّب والانتصار على التدخّل والوساطة الإمبرياليّة التي خلقت استقطابها المصطنع للعرب وغير العرب.. الصّهيونيّة تستخدم التجارب والخبرات الإيديولوجيّة للحركات العرقيّة والعنصريّة والمختصّة بالحكم الإلهي (تيوقراطيّة) في حين أنّ القوميّة العربيّة تأخذ في الاعتبار التجارب والخبرات الإنسانية والمعادية للإمبرياليّة لحركات

التحرّر الوطني والقومي.. 'الأفرو- آسيوية'.. الصّهيونيّة تحرّم على اليهود الانتماء الإنساني والقوميّة العربيّة، من جانبها، تكفل وتضمن للعربي هذا الانتماء بمعناه الإيجابي.

هذه استنتاجات يسهل إعطاء البراهين عليها فالقوميّة العربيّة لم تحاول أبداً تأكيد حقّها في التحرّر من الاستعمار أو من الصّهيونيّة عن طريق الاحتماء وراء.. أو اللجوء إلى العزلة العربيّة.. والصّهيونيّة شكل من إيديولوجيّة التمييز العنصري وتختلف عن نظام التمييز العنصري الجنوب أفريقي أنّها تطرد وتقتلع ضحاياها من أرضهم في حين يبقى ضحايا التمييز العنصري الجنوب أفريقي مرتبطين بأرضهم..

إلى هنا قدّمنا الكافي من البراهين ونعود إلى الوقائع.. في أواخر حزيران صوّت الكنيست على قانون يقضي الحكم بالسجن ٧ سنوات على الأشخاص الذين 'يدنّسون الأماكن المقدّسة' وكانت هذه بادرة بل 'إيماءة' دعائيّة هدفها الحقيقي تبرير ما سمّته إسرائيل 'فتح وتحرير' المدينة المقدّسة –القدس العربيّة- بنظر الرأي العام العالمي. غير أنّ هذا القانون قد أقرّه برلمان يغمره الحماس لضمّ القدس وليس سوى قصاصة ورق مادام من خرقوا القانون وخالفوه لم يُحكم على أحدٍ منهم.. ففي مطلع آب في الكنيسة الرئيسيّة (للقبر الأقدس Saint- Sepulture) في القدس، سُرق تاج ذهبي كان موجوداً تحت صورة العذراء وهو هناك منذ عدّة قرون..

وكما أُذيع الخبر في القدس: لقد تمّ القبض على الفاعلين.. لكن أسماءهم بقيت مكتومة وخيّم الصّمت الكامل على هذه القضيّة.. ولم تُمسّ واحدة من رأس الحاخام الذي تولّى حماية الفاعلين وحماية 'مغارة الآباء' في الخليل التي يزعمون أنّها مكان راحة إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. هذا الحاخام الذي حضي بمباركة وزير الشؤون الدّينيّة الإسرائيلي الدكتور Warhavtig الذي وضع هذه 'المغارة' تحت تصرّف 'المريدين' في 'اليهوديّة' رغم أنّها قد بُني فوقها جامع يُعتبر مقدّساً من قبل مؤمني الإسلام. 'إنّه حاخام متحمّس أكثر منه حكيم فطن' هذا ما كتبه عنه بشيء من الحذر الصحفي الإسرائيلي 'فيليب بن'.

أخيراً ومنذئذٍ ما من أحد سمع أيّ كلام حول ما كان، على الأقلّ، غير لائقٍ من تدنيس الجوامع من قبل جنود إسرائيل وهم يدخلون خلافاً للعادة والعرف ولا يخلعون أحذيتهم الأمر المخالف لأعمق وأقدس التقاليد الإسلاميّة.. ويُدخلون إليها الكلاب التي تعتبر مخلوقات نجسة بنظر المسلمين.. وصور فوتوغرافيّة أخذت ونُشرت لهذه المشاهد من قبل العديد من الصحفيّين..

الصحيفة اليوميّة الإيطاليّة 'لامستامبا' نشرت في ٢٣ آب: 'بما أنّ المضاعفات والتعقيدات كانت لا تزال قليلة، قام الحاخام غورين مرشد جيش إسرائيل بعمل كلّ من شأنه تفاقم الأخطار مثل قيامه بالصلاة أمام المسجد الأقصى.. المعتبر الحرم الإسلامي الثاني.. كما أعلن عن نيّته بناء كنيس في مكان المسجد الأقصى زاعماً أنّ هيكل سليمان كان قائماً في هذا المكان.. الهيكل الذي هُدم قبل ألفين من السّنين.

إنّ حدّة العلاقات بين إسرائيليّين وعرب تحوّلت إلى الصّعيد الديني إزاء استحالة حلّ المشاكل على الصّعيد السّياسي. وتولّد عن ذلك تيّار تعصّبي لا مثيل له ولا مبشّر بأيّ خير.

لقد أطلقت السلطات الإسرائيلية في الأراضي المحتلّة المزيد من التصريحات التي توضّح فيها النّفاق والمخادعة.. فخلال اليوم الأخير من حزيران قامت المفارز العسكريّة الإسرائيليّة باقتراف مجزرة في غزّة حيث قتلت ١٢ عربياً. وهذا العمل الإرهابي الذي يُقصد به خلق جوٍّ من الخوف والرّعب بين السّكّان من جهة ومن جهة أخرى إجبار هؤلاء السّكّان على ترك أراضيهم المحتلّة والجلاء عنها. قد برّرته إسرائيل بأنّه 'ضروريّ لضمان أملاك الأمم المتّحدة'. فأيّة طريقة متميّزة جداً هذه للضمان؟ وحتّى تُعرف من تكون الجهة التي تنهب ممتلكات منظّمة الأمم المتّحدة لم نتلقّ الجواب من مراجع 'الدّعاية الشّيوعية' وإنّما من 'واشنطن بوست' التي حتّى الآن اتّخذت دائماً موقف الدّفاع بحرارة عن 'المبادرات' الإسرائيليّة.. لقد كتب 'روبرت استابروغ' فعلاً في هذه الصّحيفة اليوميّة بتاريخ ٢١ تمّوز، 'إنّنا نعتبر أنّ النّهب كان منظّماً في البدء من قبل القادة الإسرائيليّين في الموقع والذين لم يتمّ إعلامهم بطبيعة مهمّة بعثة منظّمة الأمم المتّحدة.. وممتلكات البعثة تمّ نهبها على ثلاث مراحل: خلال المرحلة الأولى تمّ

الاستيلاء على كلّ ما يمكن استخدامه من وجهة نظر عسكريّة؟ وخلال المرحلة الثانية تمّ أخذ الأثاث.. وفي الأخيرة قامت قوى الاحتياطيّ التي تلقّت الأمر بالحراسة بنهب الباقي.. وقيمة ممتلكات منظّمة الأمم المتّحدة، في معسكر رفح وحده تصل إلى مبلغ ١٥ مليون دولار'.

واصطنعوا من 'الإعادة إلى الوطن أو العودة إلى الوطن' عقبة.. مستخدمين 'فزّاعة' التّسلّل الذي من السّهل أن يُنسب إلى المقاومة، المقاومة التي بدأت تتّسع وتتصاعد في الأراضي المحتلّة منذ تمّوز- آب.. وأن تُنسب المقاومة إلى قوى خارجية بدل الاعتراف أنّ مفهوم 'بن غوريون' ووزير العمل 'ياغائيل آلون' وحسب هذا المفهوم يسهل إيجاد العديد من المتعاونين الجاهزين لمباشرة مهامّ لدى أسياد تل أبيب والقدس وهذا أمر فشل فشلاً ذريعاً.

أمّا من أجل تعيين المقاتلين العرب الذين حملوا السّلاح ضدّ العدوّ المجتاح المكروه فقد استخدموا تعاريف اقتبسوها من 'مخزونات' ومن صنع غيرهم من الغزاة: 'إنّها فقط مسألة مخرّبين.. مسألة 'إرهابيّين'.. مسألة عصابات قطّاع طرق.. والأساليب المتّبعة إزائهم تذكّر بكلّ أسف بتلك الأساليب التي كانت المفضّلة والمحبّبة إلى الهتلريّين فالذين يتمّ توقيفهم معصوبيّ الأعين ومقيّدي الأيدي وراء ظهورهم. والمزعوم أنّهم إرهابيّون يُقتلون فوراً.. ويتمّ إعلان ذلك من قبل مراسلي الوكالات الكبرى.

الحكم بالإعدام قضائياً غير موجود في إسرائيل ولهذا لا نسمع دايان يتحدّث إلاّ عن: 'مخرّبين قُتلوا في ساحة المعركة' وغير ذلك من أساليب التعريف مثل: 'قُتل لأنّه حاول الهرب' وغيرها بدأت تظهر.. مع تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعيّة.. يكفي إطلاق عيار ناري من بناية حتّى يتمّ تدمير البناية كلّها ومسحها من الوجود..

وكما كان الأمر في السّابق، فالبلدان العربيّة المجاورة متّهمة بتقديم المال والسّلاح للمقاومة.. ففي مرّتين اثنتين.. في تشرين الثّاني وفي ٣١ كانون الأوّل ١٩٦٧، ومن أجل معاقبة الأردنّ، فتحت المدفعيّة الإسرائيليّة النّار على معسكر قائم على الضفّة اليُمنى لنهر الأردن، وفيه يتجمّع ٥٠ ألف لاجئ تمّ نقلهم إليه

بسبب المناخ القاسي السّائد في المناطق الصّحراويّة حوالي عمّان إلى الأماكن الأكثر دفئاً في وادي الأردنّ.. الأمر الذي مهّد السّبيل لعمليّات انتقاميّة باشرها جيش إسرائيل منذ ١٥ شباط و٢١ و٢٩ آذار ١٩٦٨ وقد أثارت سخط العالم.

وبحجّة الدّفاع عن النّفس أقامت سلطات إسرائيل العقبات والحواجز من الشّريط الشّائك ومن حقول الألغام وهذه كانت التّوضيحات الرّمزيّة المنافقة التي أبداها زعماء إسرائيل والهدف منها، حسب زعمهم، هو إقامة علاقات الصّداقة مع البلدان المجاورة العربيّة، كانوا يخفون عن أعين الرّأي العام العالمي هذه 'الحقيقة المؤكّدة' كيف أكّدوها؟ بطريقتهم في استعمال النابالم.. بوحشيتهم.. باحتقارهم وازدرائهم للمغلوبين.. بضمّهم للقدس.. بمقاطعتهم لقرارات ومساعي وجهود منظّمة الأمم المتّحدة.. بنفاقهم وأكاذيبهم وبكلمة واحدة: بسياستهم الحاليّة التي عمّقت عُزلة إسرائيل بالنسبة للعالم العربي.. وقضت على فرص وإمكانيّات الاندماج الصالح والمستقيم مع أمم الشّرق الأدنى..

أمّا فيما يخصّ ضمّ الأراضي العربيّة فالبرلمان الإسرائيلي لم يتّخذ قراراً صريحاً وقاطعاً لغير المدينة القديمة 'القدس' وأصمّ الآذان عن قراري منظّمة الأمم المتّحدة ويُعتبر هذا بمثابة إلغاء للقرارين إيّاهما وهذا ما أكّده تقرير قُدّم إلى 'ثانت' ونجم عن مهمّة الممثّل الدبلوماسيّ للأمم المتّحدة 'إدنستو تالمان'.

إنّ 'رئيس بلديّة' القدس 'تيدي كولك' المستعمر النّشط، فعل كلّ شيء لخلق حالات 'الأمر الواقع' كلّها.. (وأعماله إيّاها تمّ وصفها مع الرّعاية الكاملة من قبل عدد كانون الأوّل من صحيفة 'ديرشبيغل') لقد قدّم رئيس الوزراء آشكول، أمام البرلمان، وفي مواجهة منه لمآخذ المعارضة، قدّم نقده الذّاتي بموضوع البطء في 'تصحيح أوضاع وتطهير جزئي المدينة' معلناً أنّ مؤسّسات عامّة إسرائيليّة وكذلك ٢٣٠٠ عائلة يهوديّة سيتمّ نقلها من أماكنهم إلى القسم العربي من القدس خلال المدّة المتبقّية من العام الحالي.. لقد تمّ استملاك أراضي العرب لتحويلها إلى إسرائيليّين وهكذا يتمّ تسهيل الاستعمار اليهوديّ للقدس العربيّة.

رغم عدم صدور أيّ قرار صريح وقطعي خاص بمستقبل الأراضي المحتلّة فالمجتاحون بدؤوا استعمار الأراضي العربيّة المحتلّة سواء في الضفّة الغربيّة ومنطقة العريش ومرتفعات الجولان السّوريّة.

إنّ فرق الاستعمار العسكريّة من منظّمة 'ناحال' هي التي أخذت على عاتقها تنظيم الاستيلاء على الأراضي العربيّة وقد أنشئوا 'كيبوتزات' مدنيّة لهذا الغرض. ففي تشرين الثّاني زار إحدى الكيبوتزات الثّلاث لناحال الرئيس زالمان شازار يصحبه الجنرالان دايان ورابين. وبهذه المناسبة أعلن الرئيس: 'لقد فهمت الآن لماذا يتوجّب علينا أن نبقى هنا للأبد'.

كان 'دافيد هيمست' في رسالة من بيروت يحاول تهدئة القرّاء البريطانيّين لصحيفة 'الغارديان' فكتبت بتاريخ ٢٧ أيلول: 'إنّ تصميم إسرائيل على إنشاء قُرى في الأراضي العربيّة لم يخلق في بيروت ردّ فعل خاص فقد اكتفت الصّحافة بنشر بعض التعليقات المالقة'.

وملك الأردن حسين، خلال تجواله في عواصم البلدان الغربيّة في النّصف الثّاني من عام ١٩٦٧، أشار إلى نهم إسرائيل لامتلاك الأراضي.. وكان لتصريحاته أهمّية خاصّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة حيث كان الرّأي العام تحت تأثير صحافة وإعلام متحيّزين وليست لديه أيّة فكرة عن الوضع الحقيقي وعن الحقيقة إجمالاً، وممّا صرّح به الحسين أنّ الشّرط كي تستطيع إسرائيل تحقيق وجود لها بين أمم الشّرق الأدنى كان ويبقى التّخلّي عن الإيديولوجيّة الصّهيونيّة وأطماعها الاستعماريّة والتّوسّعيّة، وقد أثارت هذه التصريحات سيلاً من الشتائم والتهديدات من قبل تل أبيب: 'نحن قادرون على تصفية الأردن' كما خلقت التّصريحات إيّاها الضغوط السّيئة التي مُني بها الحسين في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.. فالسّياسيّون الأمريكيّون كانوا يأملون أنّ الحسين يجلب معه إعلان استسلامه وأنّه جاهز للخضوع للضغوط الأمريكيّة.. ففي لحظة دخوله مبنى الإدارة الأمريكيّة نظّموا على شرفه 'تظاهرة استقبال' لم يسبق لها مثيل، فريق من الموظّفين وجّهوا له التّحيّة في البهو مع التصفيق، ولمّا لم تبدر منه التصريحات المنتظرة منه وصفته الصّحافة الأمريكيّة أنّه كان أحد الدّعاة العرب الماهرين.

في الثامن من تشرين الأوّل ألّف الحسين وزارة جديدة وأوكل الحقائب الوزاريّة إلى ممثّلي الأراضي المحتلّة.. وقد أثار هذا التصرّف سخطاً مسعوراً لدى إسرائيل.. كان الحسين نصيراً نشطاً لوحدة العمل العربي ولذلك حاولت إسرائيل أن تعكّر الأجواء بينه وبين جمال عبد النّاصر إذ نشرت فوراً بعد الأعمال العدوانية في حزيران المحادثات المسجّلة على شريط والمحتفظ بها كسر والتي حصلت بين رئيسيّ الدّولتين.. وفي ٣٠ حزيران علّق الحسين على النصّ المنشور من قبل الإسرائيليّين قائلاً: 'لقد تمّ تزييف وتزوير المحادثات' لقد كان الحسين النّاطق بلسان سياسة واقعيّة عربيّة عبّر عنها بيان مؤتمر رؤساء الدّول العربيّة المنعقد في الخرطوم.. هذا البيان الذي صيغ بلهجة هادئة، ألغى كلّ إمكانية لإجراء محادثات مع المعتدي ودعا إلى تدعيم وتوطيد الجهود العربيّة الهادفة لمحو آثار العدوان.. ومعنى هذا بالدرجة الأولى إجبار إسرائيل بالوسائل السّياسيّة على الانسحاب من الأراضي المحتلّة.

وإنّ الجهود التي رمت إلى تحقيق الإجماع على هذه الصّيغة لم تتحقّق بالهين.. فانعقاد القمّة في الخرطوم عاصمة السّودان، سبقتها مشاورات عديدة وزيارات ومباحثات على أعلى المستويات دامت أسابيع طويلة والمطلوب منها كان إيجاد إطار وفاق وعمل موحّد ويمكن أن يكون مقبولاً لدى جميع البلدان العربيّة.. وحقيقة الأمر أن عدوان إسرائيل وجب أن يأخذ بكامل معناه من وجهتيه كليهما: وجهة نظر ما ترمي إليه الإمبرياليّة في القضاء على الأنظمة التقدّميّة في الشّرق الأدنى.. ووجهة نظر مرامي إسرائيل التّوسّعيّة. والبعض من الحكومات العربية كانت تُعلن صراحة أن ما يعنيها هو الأمر الثّاني.. أمّا في الخرطوم فقد تمّ تجاوز التّصريحات السّابقة والتّخلّي عنها واتُّفق على تطبيق استعمال سلاح البترول، متمثّلاً بعدم تزويد البلدان التي دعمت العدوان بالبترول.. وبفضل العائدات البتروليّة قرّرت البلدان العربيّة الغنيّة وفي مقدّمتها السّعوديّة وليبيا قرّرت إنشاء صندوق مساعدة خاصّ بالبلدان التي كانت ضحيّة العدوان، وبوشر بالعمل الرّامي إلى تجاوز النّزاعات المحلّيّة والتّمسّك فقط بالقضيّة الأكبر والأهمّ وهي قضيّة الخطر والتهديد الإسرائيلي.

لقد بدّدت قمّة الخرطوم جميع الأوهام والخدع المعقودة على الانقسامات والتفرقة الداخليّة العربيّة.. ووحدها سوريّة لم تقبل الموقف العربي الموحّد رافضةً أيّة فكرة ترمي إلى التّسوية وحلّ النّزاعات بالوسائل السّلميّة معلنة أنّه يتوجّب متابعة الحرب وقد اغتنم المتطرّفون الإسرائيليّون هذا الموقف السّوري وبنوا عليه قرارهم: 'ضرورة الإبقاء على احتلال الأراضي ضمانة لأمن حدود إسرائيل' كان ردّ الفعل الإسرائيلي غاضباً وعاصفاً.. وتذرّع ليفي آشكول 'برداء' المدافع عن منظّمة الأمم المتّحدة فأكّد في الثّاني من أيلول: 'إنّ هذا القرار الصّادر عن قمّة الخرطوم تتجاهل المصالح الحقيقيّة للأمم وهو مضادّ ومتناقض مع شرعة الأمم المتّحدة'.

ياله من برهان جديد على النّفاق، فوراً وبعد قمّة الخرطوم استأنفت إسرائيل سلسلة هجماتها الدّامية في قناة السّويس وأظهرت اهتمامها بشرعة الأمم المتّحدة وهي تدمّر الأحياء السّكنية في السّويس والإسماعيليّة. وكما كان الأمر في حزيران، أعلنت وكالة 'روتر': الفريقان يتبادلان التّهم بالبدء بإطلاق النّار، ولكن هانحن على عتبة المرحلة الثّانية من المعركة السّياسيّة (الدبلوماسيّة) وكان موقف بريطانيا وفرنسا، في أثنائها يُظهر أنّ 'حقبة تمجيد انتصارات سيناء قد بلغت منتهاها.

المعركة السّياسيّة

في هذه المرّة، ستكون المعركة السّياسيّة صعبة بنوع خاص إذ يتوجّب فعلاً، الوقوف والثبات في وجه دول أكثر قوّة من الدّول العربية.. بهذه العبارات عبّر الجنرال موشي دايان، في مقابلة أجرتها معه صحيفة 'بريعوت آحرونوت' بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٦٧، رافعاً بها الشّعار السّياسي Le erédo الإسرائيليّين في مواجهة المرحلة الجديدة لأزمة الشّرق الأدنى المرحلة التي فيها توقّفت نهائياً العمليّات العدوانيّة.

إنّ الذين أوحوا بالعدوان الإسرائيلي مسؤولو البيت الأبيض والبنتاغون، كانوا يضعون في حساباتهم كون المعركة الدبلوماسيّة ستكون صعبة.. وهذا ما نقله منذ البداية الأولى أرثور غولدبرغ فأعدّت إسرائيل نفسها للدخول في المعركة الدبلوماسيّة للاحتفاظ بمكتسباتها الحربيّة، خصوصاً عندما أظهرت احتقارها ولا مبالاتها بقرارات منظّمة الأمم المتّحدة وهي لا تزال تواصل معركتها ضدّ سوريّة في يومي التّاسع والعاشر من حزيران، وذلك بتعديل خطوط وحدود جبهتها في سوريّة.

لقد قدّم ثانت سكرتير عام منظّمة الأمم المتّحدة قدّم إلى مجلس الأمن تقريراً حول أعمال الخرق المؤكّدة هذه التي منعت مراقبي منظّمة الأمم المتّحدة من القيام بالمهام الموكولة إليهم..

كلّ هذا كان يجري متزامناً مع كون حكومة إسرائيل وحكومات الذين تستوحي منهم نهجها السّياسي قد أصبحوا على علمٍ وعلى بيّنة من الموقف المُعلن

من موسكو من قبل رؤساء الدّول الاشتراكيّة الأوربيّة والذي أدان إدانة كاملة عدوان إسرائيل.. بعد أن قرّرت إسرائيل متابعة حملتها العسكريّة ضدّ سوريّة رُغم القرار الثّالث الصادر عن مجلس الأمن.

لقد وجّهت إليها حكومات الاتّحاد السّوفييتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ويوغسلافيا إنذاراً جاداً وقطعت العلاقات الدبلوماسيّة معها.. وهذا قرار وصفه 'دينراسك' سكرتير دولة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، بأنّه قرار مؤسف.

صحيفة 'البرافدا' في موسكو كتبت في المناسبة إيّاها: 'إنّ إسرائيل عندما تصمّم على الاحتفاظ بالأراضي المحتلّة، إنّما هي تلعب بالنّار'.

إذن كان مؤكّداً أنّ غزو الأرض والتوسّع هو الأساس لنوايا إسرائيل ومنذ دخولها المعركة السّياسيّة أصبح المحرّك للمعركة إيّاها فرض الاعتراف بالتغيّرات الحاصلة على الحدود والطّلب من الأمم المتّحدة أن تكرّس وتقبل مبدأ أنّ الحرب يمكن أن تكون وسيلة غزو وفتح الأرض وأنّ العدوان يمكن أن يكون الوسيلة لجني المكاسب.. وكان كلٌّ من تلّ أبيب وواشنطن ما زالا يراهنان، دون شكّ، على أنّ الشّروط التي تفرضها إسرائيل ستستحقّ تغيّرات في 'الشّكل السّياسي' للشرق الأدنى.. وأنّها ستُحدث ثُغرة في العمل العربي الموحّد تكون منطلقاً ومؤدّاه إسقاط وتحطيم الحكومات العربيّة الرّافضة للاستبداد الإمبريالي.

غير أنّ تطوراً للأحداث على هذا النّحو لم يكن يتجاوز نطاق أماني وشهوات إسرائيل الأكثر ورعاً، إنّ تظاهرات سكّان القاهرة الكثيفة والعفوية التي حملت الرّئيس عبد النّاصر على التّراجع عن قراره الأوّل بالاستقالة وعلى استئناف معركة طويلة النّفس، هي صعبة دون شكّ، لإزالة آثار العدوان.. معركة أصبحت هي القاعدة لسلوك البلدان العربيّة وسياسة البلدان الاشتراكية وشملت حتّى البلدان التي أدانت إسرائيل وأهدافها التّوسّعيّة. فالمسألة لم تعد تقتصر فقط على المصالح الحيويّة للبلدان العربيّة بل تعدّت ذلك لتكون ذات وجه أوسع وأبعد كثيراً: أصبح الأمر يقتضي الوقوف بوجه المحاولات الرّامية لأن تُداس

بالأرجل مبادئ منظّمة الأمم المتّحدة.. أي التي تحاول أن تجعل صوابيّة وجود منظّمة الأمم المتّحدة موضع اتّهام..

لقد سبق أن روينا تفاصيل المشاعر التي تسود جمهوريّة ألمانيا الفيدراليّة بعد (Le Blitz Kriea) الإسرائيلي.

ويبدو أنّه يتوجّب أن نذكر الأصداء التي كانت تصل إلينا من الطرف الآخر من العالم، خلال هذه الأيام، فمن جمهوريّة جنوب إفريقيا، هذا الحصن الآخر من حصون الرّجعيّة: سيعلم الذين لم يخطر لهم أن يحملوا السّلاح ضدّ جمهوريّة جنوب إفريقيا سيعلمون أنّنا كما إسرائيل تماماً، على أهبّة الاستعداد للدفاع عن أرضنا بما فيها 'جنوب غرب إفريقيا'.

إنّ النّاطق بلسان العنصريّين البيض الذي كان يكتب هذه السطور كان يهدّد علناً، وهو يقدّم مثال إسرائيل، يهدّد شعوب إفريقيا المصمّمة على وجوب تصفية وإزالة التمييز العرقي لنظام 'الآبارتيد' أي جمهوريّة جنوب إفريقيا. والصّحيفة اليوميّة 'كاب آرغوس' الصّادرة باللغة الأمريكانيّة في 'كابتاون' تجاوبت مع.. وردّدت أصوات الذين ينتقصون من قيمة وأهمّية منظّمة الأمم المتّحدة.. وحاولت استغلال هذا الوضع كي تعطي البرهان 'أنّ منظّمة الأمم المتّحدة تضيّع وقتها في مناقشاتها المتعلّقة بجنوب غرب إفريقيا'.

وفي الحقبة التي عقبت حرب الأيّام الستّة ظهر للعيان في أجهزة مؤسّسات صحافة الغرب التي كانت تدعم إسرائيل دون أي تحفّظ، ظهرت البوادر الأولى لنقد إسرائيل وتسجيل الملاحظات على إسرائيل ثمّ تحذيرات لها وإن كانت خفيفة؟

في المدينة التي انعقدت فيها جلسات الجمعيّة العموميّة لمنظّمة الأمم المتّحدة وفيها تصدر الصّحيفة اليوميّة الإنكليزيّة 'صونداي تليغراف' أكّدت الصّحيفة إيّاها: 'عقب خلق وقيام إسرائيل أصبح نصف مليون عربي دون مأوى.. واليوم أيضاً مازال الإسرائيليّون مصمّمين أن يحافظوا على ممارسة النهج الأخلاقي اليهودي في دولتهم تماماً كما يفعل 'الرّوديسيّون' أو 'الجنوب إفريقيّون' المصمّمون أن يكون البلد المذكور ملكاً للبيض وحدهم.. إنّها الأسباب نفسها

الواضحة للوجود والمشهودة بالنسبة للعرب وأعداد لاجئين والآلام التي يقاسونها'.

والصّحيفة الأسبوعيّة 'تريبون' من جهتها كتبت: 'نحن مقتنعون أنّ إسرائيل سترفض الحدّ المرسوم لها والذي كان أمنية وأصبح بنظرها مضاداً للعقل والمنطق، مادامت قادرة على ذلك بأسهل الطرق والوسائل.. ومادامت لم تجد من يجبرها على الانسحاب من المواقع التي انطلقت منها (يشير الكاتب هنا إلى القرارات الصادرة عن مجلس الأمن إبّان العدوان والنّزاع) والانسحاب المذكور يجب أن يكون الالتزام به مبرّراً إطلاقاً حسب تقديرنا'.

ونُشير هنا أيضاً إلى مقال نُشر في العاشر من حزيران في أعمدة جريدة 'ليموند' وفيه أجرى كاتبه كلود بورديه' تحليلاً نوعيّاً عادلاً للوضع وهذا عمل يندر أن نجده في الغرب، هذا الجزء من العالم الذي أغرقوه وغمروه بالدعايات والمعلومات والتعليقات المنحازة، قال كلود بورديه: 'ليس صحيحاً أنّه سبق لناصر أن تحدّث عن ذبح وإفناء الإسرائيليّين.. لكنّ 'مشروعه' الذي كثيراً ما تمّ عرضه ملخّصاً كان: إقامة دولة فلسطينيّة ذات جنسيّتين وأكثريّة يهودية دون أن يُطلق عليها اسم 'إسرائيل' ويرفض 'إسرائيليو اليوم' هذا المشروع، فإسرائيل المتباهية حاليّاً بانتصارها سيكون محكوماً عليها أن تعيش داخل عالم معادٍ لها لا تنفتح وجوهه لها، وستتحوّل تدريجيّاً إلى قاعدة للرأسماليّة الأمريكيّة.. بالقوة أقامت إسرائيل دولتها داخل بلدٍ عربي ودون أيّة موافقة لا من سكّانه ولا من زعمائه وحكّامه.. وإنّ الدعم المؤقّت من قبل بريطانيا، الدّولة الاستعمارية، والاعتراف بالأمر الواقع وإقراره من قبل أكثريّة بلدان منظّمة الأمم المتّحدة لا يُغيّر شيئاً من هذه الحقيقة، فملايين اللاجئين الفلسطينيّين ليسوا مجرمين مُدانين.. إنّهم ضحايا.

إنّ الشّرط لأيّة تسوية، كما يبدو لي هو قبل كلّ شيء ورغم انتصارات إسرائيل هو أن تبقى الآن وفيّة وصادقة في تعهّداتها السّابقة وأن لا تحاول غزو أراضٍ جديدة.

وتحدّث الكاتب عن الضجيج الهستيري الذي تمارسه الأوساط الصهيونيّة في فرنسا وغيرها من البلدان فأضاف قائلاً: 'لا أعتقد أن حملة دعائيّة مثل هذه تؤدّي خدمة حقيقيّة لإسرائيل.. إنّهم يلعبون ورقة تضامننا الطّبيعي مع أبناء ضحايا النّازيّة.. ولكنهم يغفلون ويتجاهلون المشكلة الفلسطينيّة ومأساة اللّاجئين.. ويكثرون من تصوّر وذكر الخطر العربي في حين يتمّ التعتيم الكامل والتّمرير المتخفّي للتهديدات الأكيدة والخطيرة التي ينطبق بها ويطلقها كلّ من الجنرال رابين وم.آشكول إنّهم يصرّون على حريّة الملاحة في خليج العقبة ناسين أو متناسين أنّ أراضي إيلات تمّ اغتصابها واحتلالها من قبل الإسرائيليّين بعد مرور أسبوعين على هدنة عام ١٩٤٩ وبعد الخرق المتكرّر لشروط الهدنة إيّاها.

وينتقلون إلى واقعة كون ما يسمّونه 'عدوان تأميم قناة السّويس' هو الذي فتح مضيق تيران ويحرّفون ويزوّرون تصريحات عبد النّاصر خالطين بينها وبين تصريحات بعض الحكّام والمسؤولين العرب تصريحاتهم غير المسؤولة..'

ويأتي الكاتب على ذكر أقوال 'أنطوني ناتانغ' الوزير السّابق في الوزارة المحافظة التي كان يرأسها 'آنتوني إيدن' والتي كانت على رأس السّلطة إبّان العدوان الثلاثي المعرّف بـ'عدوان السّويس'.. أقوال ناتانغ المتعلّقة بنشوب الأزمة: 'لقد أكّد الإسرائيليّون شكوك جميع القوميّين العرب.. تلك الشكوك بأنّ القصد من 'خلق دولة إسرائيل' هو خدمة أهداف إمبرياليّة الغرب وليس لتكون ملاذاً ومكان لجوء اليهوديّة الأوروبيّة المضطهدة.'

وهذا الكاتب نفسه هو الذي تحقّق من ماهيّة وفحوى الموقف المنزعج لحكومتي بريطانيا والولايات المتّحدة على صفحات جريدة 'تيموانياج كريتيان' وكذلك عدم قيامهما بإدانة العدوان فقال: 'يبدو واضحاً من الموقف إيّاه أنّه البرهان على اقتناع أنّ إسرائيل هي المسؤولة عن اندلاع حرب الشّرق الأدنى'

وحتّى 'لورور' الصّحيفة اليوميّة الباريسيّة الرّجعية والتي كانت منذ بداية الأزمة، تعبّر عن تعاطفها غير المشروط مع الصّهيونية (وكثيراً ما لعبت دور النّاطق بلسانها في فرنسا) وتأييدها للمغامرة الإسرائيليّة، كتبت بتاريخ ١٢ حزيران: 'إذا كانت موسكو تريد السّلام فما عليها إلاّ أن تمتنع عن فعل أيّ شيء

ضدّ الحوار المُزمع عقده الإسرائيلي- العربي والذي فيه لا يتوجّب على إسرائيل انطلاقاً من تفوّقها، أن تتّخذ مواقف أكثر اعتدالاً"

إلاّ أنّ مثل المواقف المُشار إليها ليست بين نوايا إسرائيل وليست كذلك بين نوايا الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

في ١٢ حزيران تقدّم وزير الشؤون الخارجيّة السّوفييتي آندريه غروميكو بطلب انعقاد اجتماع استثنائي للجمعيّة العموميّة لمنظّمة الأمم المتّحدة وتعليلاً لطلبه هذا أكّد غروميكو: "رغم قرارات مجلس الأمن القاضية بوقف الأعمال العدوانيّة بين إسرائيل والدّول العربيّة تتابع إسرائيل عدوانها وقرصنتها.. وبطريقة متغطرسة تتجاهل أوامر وقف إطلاق النّار الصادرة في ٦ و٧ و٩ حزيران من قبل مجلس الأمن، قامت إسرائيل بالاستيلاء على أراضٍ جديدة هي جزء من أراضي الجمهوريّة العربيّة المتّحدة والأردن وسورية.. وعليه فإن حكومة "اتّحاد الجمهوريّات الاشتراكيّة السّوفييتيّة" تعتبر أمراً جوهرياً أن تقوم الجمعيّة العموميّة لمنظّمة الأمم المتّحدة بتفحّص هذا الوضع المستجد على النّحو المذكور وأن تتبنّى قراراً يُلزم بإلغاء هذه النّتائج النّاجمة عن العدوان كما يُلزم بالانسحاب الفوري لجيوش إسرائيل إلى ما وراء خطّ الهدنة"

لقد كان فورياً وسلبياً ردّ فعل الولايات المتّحدة الأمريكيّة تجاه الطّلب السّوفييتي: "لم يحن الوقت بعد لإدانة إسرائيل وتبنّي قرارات لا هدف لها سوى زيادة تفاقم الوضع" هذا ما أكّده الممثّل الأمريكي لدى منظّمة الأمم المتّحدة "آرثر غولدبرغ" وصحيفة "نيو يورك تايمس" من جانبها لفتت الأنظار مكرهةً، أنّ الجلسة المطلوب انعقادها ستتحوّل إلى ميدان وساحة لمسبّات وشتائم عربيّة وسوفييتيّة، من بين ١٢٢ عضو في منظّمة الأمم المتّحدة وحدها الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبوكسوانا وإسرائيل صوّتت ضدّ الطّلب السّوفييتي.

خلال أعمال مجلس الأمن أعلن المندوب السّوفييتي "فييدورنكو": "لقد كان العدوان تحريضاً إمبريالياً تمّ إعداده بإتقان وتصميم وكان هدفه إحداث تغييرات سياسيّة في الشّرق الأدنى وإضعاف حركة التحرّر القومي لدى الشّعوب العربيّة"

أحد الإجراءات الأخيرة لمجلس الأمن كان التصويت على مشروع قرار تقدّمت به كل من الأرجنتين والبرازيل وإيثيوبيا حول وجوب المعاملة الإنسانية للمعتقلين والسكّان المدنيّين.. إلاّ أنّ سلطات إسرائيل قابلت هذا القرار بمثل ما فعلت بالنسبة للقرارات السّابقة العديدة الصادرة عن منظّمة الأمم المتّحدة.. منذ الأيّام الأولى التي عقبت وقف العدوان وحتّى الأسابيع والأشهر التّالية فكان كلّ ذلك برهاناً مشهوداً على مواقفها.

(Z.Kubiez)، عضو طاقم سفينة الشّحن البولونيّة 'دزابكارتا' التي أوقفت وحُوصرت في البحيرة الكبرى للمياه المرّة في الطرف الجنوبي من قناة السّويس والمحتلّة بمساعدات للجنود المصريّين الجرحى، والذين كانوا يموتون هناك عطشاً، وصف موقف ومعاملة الإسرائيليّين لدى عودته إلى بولونيا: 'الأمر المؤسف أنّ واحداً من فريقنا أوقف في اليوم الخامس من قبل مصفّحة إسرائيليّة ومنعنا الضّباط الإسرائيليّون بطريقة تهديدنا بسلاحهم، من مساعدة الجنود العرب.. وفي سماء هذه الصحراء المطاولة للبحيرة كانت الحوّامات الإسرائيليّة تحوّم فوقنا وتمنعنا من أيّة محاولة منّا لخرق المنع المذكور ورغم ذلك نجحنا بإنقاذ ٣٠٠ شخص تقريباً (تريبوناليدي تاريخ ١٥ تمّوز) وليس ذلك سوى أحد الأمثلة الكثيرة التي كانت برهاناً على عدم جدوى انتظار إيّ إجراء إيجابي، من أيّ نوع كان، تواجه به إسرائيل النداء الإنساني الصّادر عن منظّمة الأمم المتّحدة.

إنّ قرار رئيس وزراء الاتّحاد السّوفييتي ورؤساء جميع الدّول ورؤساء العديد من الحكومات.. قرارهم الانتقال إلى نيويورك للمشاركة في جلسة الجمعيّة العموميّة لمنظّمة الأمم المتّحدة كان برهاناً على الأهمّية التي تعلّقها الدّول والجّهات المذكورة على الوضع في الشّرق الأدنى وكذلك على التزام الاتّحاد السّوفييتي والدّول الأخرى بمعركة إزالة آثار العدوان.. وكان ملفتاً للنظر أن آلكسي كوسيفين، في طريقه إلى نيويورك توقّف في باريس وأجرى محادثات مع الرّئيس ديغول ولكنه لم يتوقّف في لندن الأمر الذي فُسّر على نطاق واسع كدليل على وجود الاختلاف بين الموقف السّوفييتي والموقف البريطاني تجاه العدوان.

كان خطاب رئيس الوزراء كوسيفين هو كلمة الافتتاح لأعمال الجمعيّة العموميّة الخاصّة بقضيّة الشّرق الأوسط وقد لفت كوسيفين الانتباه إلى

المسؤولية الخاصة الملقاة على عاتق رجال السّياسة في العالم أجمع في حقبة احتمال تحوّل أيّة حرب إلى نزاع نووي.. وأدان بشدة وحزم أنماط الإجراءات الإسرائيليّة وقارن بينها وبين الجرائم التي ارتكبها الفاشيّون خلال الحرب العالميّة الثّانية.. وأبدى رأيه القاطع ضدّ نوايا إسرائيل اغتنام نجاحاتها العسكريّة للقيام بإجراءات تغيير واقع الأراضي الجغرافي: ' المعتدي يتمادى في نشوة نصره وأظهر للعيان من جديد المخططات المحضّرة مسبقاً للتغييرات المنوي إدخالها على خريطة الشّرق الأدنى وإسرائيل، في برنامجها للتوسّع وضمّ الأراضي، تفقد نهائياً أبسط مفاهيم ومعاني الحقيقة وتدخل طريقاً محفوفاً بالأخطار وأيّة محاولة لتدعيم النّتائج النّاجمة عن العدوان لا يمكن أم تكون لها نهاية إيجابيّة بل ستنقلب هذه المحاولات في نهاية المطاف ضدّ إسرائيل وشعبها' (البرافدا ٢٠ حزيران).

رئيس الوفد البولوني أخذ دوره في الكلام خلال الجلسة إيّاها فأعلن رئيس مجلس وزراء الجمهوريّة الشّعبيّة البولونيّة 'جوزيف سيرانكييفيك' قائلاً: 'لم يعد يوجد أي مجال للشكّ أنّ إسرائيل ترغب في استغلال تفوّقها العسكري المؤقّت كي تفرض على جيرانها شروطاً لسلام . ، غير عادل وغير مقبول، والنّاطقون السّياسيّون بلسان السّلطات الإسرائيليّة يقرنون لا مبالاتهم بالقناع الذي وضعوه لواقع العدوان فبدأوا الآن الصّياغة العلنيّة لبرنامجهم التّوسّعي المتمثّل بضمّ الأراضي.. فالإجراءات المتّخذة من حكومة وسلطات إسرائيل العسكريّة تجاه السّكّان العرب في الأراضي المحتلّة تشهد أنّ الهدف هو فرض الأمر الواقع وأنّ مزاعم الخوف على هذه الدّولة أن تدمّر وتزول مزاعم مصطنعة ترمي فقط إلى تحريض الرأي العام لدى بعض البلدان المهيّأة لدعم العدوان وحمايته على الصّعيد السّياسي وفي نفس الوقت تعبئة ودفع شعب إسرائيل لخوض الحرب.. كلّ هذا جرى لأنّ إسرائيل كانت تعلم بصورة أكيدة أنّ الدّول العربيّة لن تكون البادئة بالحرب فاستطاعت أن تُطبّق في عدوانها، نفس الصيغ (Blitz Krieg) التي تمّت تجربتها سابقاً من قبل معتدين آخرين.. ولم يستطع أن يتفوّق على قادة إسرائيل في التّطبيق العملي للصيغ المذكورة وتكفي مقارنة أعمال ٥ حزيران بأعمال Blitz Krieg النّازي. وبالنسبة لنا نحن البولونيّين يذكّرنا

Blitz Krieg بعدوان هتلر ضدّ بولونيا بالاحتلال الهتلري الرّهيب مع إفناء ستّة ملايين كائن بشري كان جانب مهمّ منهم يعودون بأصولهم إلى جذور يهوديّة بولونيّة.. وباعتباري ممثّلاً لبولونيا اعتبر أنّ ما من أحد يمكن أن يفتتن ويسرّه Blitz Krieg إسرائيل في الشّرق الأدنى ويقارنه بهجوم Luftwaffe ضدّ أراضي بولونيا وهو في نفس الوقت، يُسيء استعمال ذكرى اليهود الذين ذبحوا في معسكرات التجمّع النّازيّة.

وبالتّالي فإنّ طريقة الدّعاية المطبّقة من قبل السّياسيّين الإسرائيليّين الذين يحاولون كسب مشاعر الرّأي العام العالمي هذه المشاعر التي ولّدتها بالأصل عوامل التّضامن والشّفقة ونبل العاطفة إزاء مجزرة اليهود.. هذه الطريقة لا تبعث في النفوس سوى الاشمئزاز والتقزّز والكراهية.. فأصحاب المنطق الدفاعي- التبريري للعدوان يحاولون تحريك الرّأي العام بإبراز مقولة 'إسرائيل دولة صغيرة بالمقارنة مع العالم العربي' ويستندون إلى النّص التوراتي: 'مقارنة مصارعة داود لجليات' متجاهلين أنّه في هذا النّص بالذّات كان الفتى داود مسلّحاً تماماً ومتأهّباً تماماً لمواجهة العدوان.. وكان أقرب إلى الصّواب والعدالة الاستناد إلى التاريخ غير البعيد.. تاريخ الاستعمار.. وإلى هذا التاريخ بالتأكيد وليس إلى التوراة نجد المستند متمثّلاً بموجات العدوان الإمبرياليّة ضدّ البلدان العربيّة منذ عام ١٩٥٦ حتّى عام ١٩٦٧.. والمسؤوليّة المشتركة الأنكلو-الأمريكيّة بالنّسبة للعدوان الأخير لا يمكن الشكّ فيها.

يؤكّد قادة إسرائيل أنّهم يكافحون لتأمين الاستقلال والأمن لدولتهم.. ولم يسبق لأحد إطلاقاً أن نجح بفعل هذا عن طريق التّحالف مع قوى الإمبرياليّة والرّجعيّة فالضّمانة الوحيدة لاستقلال وأمن إسرائيل تكون بإيجاد لغة تخاطب مشترك مع البلدان العربيّة. (تريبونا ليدي ٢٤ حزيران).

ووزير الشؤون الخارجيّة للجمهوريّة الشّعبية البولونيّة في مقابلة أجراها معه في نيويورك مراسل وكالة الصّحافة للجمهوريّة الديمقراطيّة الألمانيّة ADN (كورت أوليفييه) عبّر أيضاً عن رأي بولونيا وسائر البلدان المشتركة فقال إنّ هذه البلدان مجتمعة تعتبر الانسحاب غير المشروط لقوّات المعتدي إلى داخل الحدود المعيّنة لإسرائيل.. هذا الانسحاب يجب أن يكون الخطوة الأولى الضروريّة لإيجاد

أولويّات التعايش السّلمي المشترك والمستقبلي بين دول وشعوب الشّرق الأدنى.
(تريبونا لودي مطلع تمّوز).

خلال المناقشات العامّة لمنظّمة الأمم المتّحدة التي تواصلت من ١٧ إلى ٣٠ حزيران تناول الكلام ٧٨ عضواً في الاجتماع ويستحيل تلخيص خطبهم هنا إلاّ أنّه يتوجّب لفت الانتباه إلى بعض الأقوال والتّصريحات وقبل كلّ شيء إلى خطاب وزير الشؤون الخارجيّة لإسرائيل آبا إيبان'.

إنّ الكلمة الألمانية الرّائعة Kaltzchmauzigkeit لها مرادف لا يقلّ عنها روعة.. مرادف يهودي في عبارة Houzbe ومعناها التقريبي (ذو صبغة احتياليّة وخادعة) والواردة في الصفحة ١٦١ من مؤلّفه 'تشريح انتصار' وهو جورج سبستيان الذي سبق ذكره..

إنّ نمط Houzbe الذي يمجّده سبستيان سمح للقوّات الإسرائيليّة تحقيق الكثير من الانتصارات العسكريّة خلال عمليّات عدوان حزيران.. ومن بين الخدع والحيل المألوفة أكثر من سواها نذكر نشر نداءات وأوامر باللغة العربيّة تقلّد مثيلاتها المنشورة باللغة إيّاها.. وهذا النّمط الذي سجّل نجاحاً مرموقاً خلال المعارك طبّقه أيضاً الوزير إيبان لدى منظّمة الأمم المتّحدة.. ففي الموضوع الجوهريّ جداً الخاص بالعدوان صرّح إيبان: 'هكذا إذاً.. خلال الصّباح المأثور للخامس من حزيران، وبينما كانت القوّات الجوّيّة البرّيّة المصريّة تزحف نحو السّاحل الغربي لإسرائيل ونحو القسم الجنوبي من أراضيها، وجدت بلادنا نفسها أمام خيارين في منتهى البساطة: الحياة أو الموت.. الدّفاع عن وجود الأمّة أو الزّوال من الوجود إلى الأبد ولن أستعيد بذاكرتي الذي جرى بعد ذلك'.

أمّا فيما يتعلّق بشكوى العدوان، فأجيب أنّ مقاومة إسرائيل في أشدّ الأوضاع يأساً يبقى مسطّراً إلى الأبد في صفحات التّاريخ.. تماماً كما دخلت التّاريخ ثورة للناجين منّا من الموت في الحيّ اليهودي بوارسو فكانت تأكيداً مجيداً للحرّية الإنسانيّة.. فمنذ أيّامه الأولى أيّام الشّعب الذي يُعيد اليوم بناء بلده في إسرائيل، كافح دائماً وقاتل في ظلّ شروط يائسة وضدّ الطغيان والعدوان.. فالعمل الذي باشرناه في الخامس من حزيران يدخل كلّياً في إطار هذه التقاليد.

ومثّل إيبان ضمّ القدس بشكل شديد الالتباس والخلط: 'إنّ التّاريخ الطويل لشعبنا لم يعرف مثل هذه السّاعات القليلة المؤثّرة التي جمعته مع 'حائط المبكى'.. شعب عاد إلى مكان ميلاده.. والرّابط بين السرّ العجيب لأصوله وبين استمراريّة وجوده قد أُعيد عقده وما أكثر الذّكريات القديمة والعميقة التي تنجم عن هذا الاتّحاد'.

بعد هذا ، أفهم الوزير الإسرائيلي أنّ شيئاً لم ينته حتّى الآن: 'إنّ السّلام والأمن مع مستلزماتها التّعاهديّة الجغرافيّة والاقتصاديّة لا يمكن تحقّقها والحصول عليها إلاّ بمفاوضات حرّة هي الجّوهر الحقيقي لمتطلبات السّيادة'. ثمّ أعلن إيبان أنّ إسرائيل ترفض أيّة فكرة خاصّة بالعودة إلى الوضع السّابق.

خلال خطابه المليء بالأكاذيب كان ممثّل إسرائيل يعطي نفسه شكل ممثّل المشاهد: تارةً يخفض أو يرفع صوته.. وتارةً تغرورق عيناه بالدّموع.. وطريقته في الكلام كما لاحظ ذلك المراقبون الذين يمنحون علناً دعمهم لأفكار الصّهيونيّة طريقته تلك لا تلتقي إطلاقاً مع العادات والقوانين الملتزم بها في أوساط التمثيل العليا لدول العالم، الأمر الذي أحدث انطباعاً منفّراً غاضباً لدى الأشخاص الحاضرين.. إنّ الغطرسة المترافقة مع التحدّي والتحريض جعلت إيبان يسمح لنفسه أن يتعامل مع منظّمة الأمم المتّحدة بطريقة لم تُقدم عليها حتّى الآن جمهوريّة جنوب إفريقيا، فقد أطلق إيبان سيلاً من الشتائم ضدّ الاتّحاد السّوفييتي ممّا أجبر ألكسي كوسيغين على مغادرة القاعة.. قاعة الأعمال.

والوزير الإسرائيلي إستبق ("Show" son) في مقر منظّمة الأمم المتّحدة استبقها أيضاً بمقابلة أجراها مع الصحيفة اليوميّة 'جيروزاليم بوست' أفصح فيها عن أمر خلق ضجّة كبيرة في العالم أجمع: 'لن تعترف إسرائيل بأي قرار يصدر عن منظّمة الأمم المتّحدة تطلب منها فيه الانسحاب إلى داخل حدودها السّابقة.. حتّى إذا حصل القرار إيّاه على ١٢١ صوتاً ضدّ صوت إسرائيل الوحيد' لقد كانت طريقة وقحة تحدّى فيها العالم أجمع.

إذا كانت الخُطب التي ألقاها إيبان في الجمعيّة العموميّة وهي كناية عن كُدسة من الأكاذيب تساوت بوقاحتها، عملاً لا سابق له في تاريخ منظّمة الأمم

المتّحدة ففي ٢٠ حزيران، أي في نفس اليوم الثّاني لخطاب إيبان فقد شعر ثانت سكرتير عام المنظّمة أنّه مُلزم بالكلام وازناً كلماته وبنبرة بالغة التهذيب، فأعلن ما خلاصته أنّ خطاب إيبان كان مثيراً للقلق ووُجهة النظر التي قدّمها الوزير الإسرائيلي ستكون شديدة الضرر بالأمم المتّحدة وبمهمّتها في إقامة السّلام سواء في الماضي وفي السّاعة الرّاهنة.. وأضاف ثانت أنّ الوقائع تُثبت عكس ما أعلنه آبا إيبان.

عبارات السكرتير العام كشفت القناع عن أكاذيب الوزير الإسرائيلي.. ورُغم ذلك تلقّى آبا إيبان تشجيعاً جديداً ودعماً من نصير آخر لـ (Houzpe) في نفس المناسبة هو مندوب الولايات المتّحدة الأمريكيّة أرثور غولدبرغ.

أيّ كلام يمكن أن يقوله في موضوع العدوان الإسرائيلي أرثور غولدبرغ؟ بضعة كلمات فقط: 'في بحر الخامس من حزيران تحطّم سلك السّلام'.. ثمّة تقارب وتوارد أفكار في استعمال استعارات رنّانة لتمويه وإخفاء مضامين جوهريّة.. ومنذ يوم الغد أعلن رئيس الوزراء ليفي آشكول في تل أبيب: 'لا يمكن إعادة عقارب السّاعة إلى الوراء'.

غولدبرغ كرّس خطابه لتفسير وتأويل الآراء المطروحة 'في هذا الوضع المستجد' من قبل رئيس الولايات المتّحدة 'ليندن جونسون' وكما هو معروف أن رجل الدّولة هذا 'ممتلئ' دائماً بالتصريحات الخاصّة بالسّلام.. وفي هذه المرّة أيضاً نصّب جونسون نفسه مدافعاً عن السّلام وبرنامجه من خمسة بنود يعيد النّظر بحق الوجود لكلّ دولة في الشّرق الأدنى وحرّيّة الملاحة، والعدالة من أجل اللّاجئين، والحدّ من التسليح والاعتراف بالحدود.

بند الاعتراف بالحدود ، كان في واقع الأمر إجراء يرفض Le "Statu quo oute bellum" كان تصريحاً بموجبه تؤكّد الولايات المتّحدة الأمريكيّة أنّها تدعم 'تغيير حدود هدنة عام ١٩٤٩' وبيان جونسون هذا يدعونا نستشعر المعركة التي تنوي الولايات المتّحدة الأمريكيّة الالتزام بها لمكافأة المعتدي.. وهذا يُفسّر لماذا لم يوجّه آرثور غولدبرغ أيّة ملاحظة نقد إلى آبا إيبان؟ ولماذا سمّى العمل العدواني المسلّح 'سلكاً تحطّم'؟ ولماذا لم يقدّم أي تلميح إلى الأعمال الوحشيّة وخرق النظم

والقوانين الإنسانية؟ أمّا بالنسبة لأعمال التحكّم التي ارتكبها المحتلّ على الأراضي المضمومة فإنّ آرثور غولدبرغ الذي يُجيز لنفسه أن يكون قاضياً لامعاً، لم ينبس بكلمة في خصوص هذه الوقائع جميعها.. مكتفياً بتكرار كلمة 'سلام' لقد برهن على كونه أمريكياً صالحاً كما هو صهيوني.. وهذا ما صرّح به علناً لدى تقليده المركز الهام الذي يُشغله..

غير أنّ أشدّ العبارات صرامةً في إدانة العدوان هي التي نطق بها الحسين ملك الأردن المحسوب أنّه أخلص أصدقاء الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الشّرق الأدنى.. لمّا أخذ دوره خلال المناقشات العامّة لمنظّمة الأمم المتّحدة في ٢٦ حزيران قال: 'إذا كنّا نملك حتّى الآن جميع الوثائق الخاصّة بإجراءات الجيش الإسرائيلي، فالحقيقة التي لا تقبل أيّ شك هي أنّ تصرّفه الوحشي شمل جنودنا والسّكان المدنيّين على حدّ سواء تماماً مثلما سبق أن فعل الغزاة والفاتحون البرابرة جميعهم.. وأنا أُدين إسرائيل بصورة خاصّة، من أجل استعمالها على نطاق واسع سلاح النابالم والقنابل الإنشطاريّة ومن أجل معاملتها اللّاإنسانية والمتنافية مع الكرامة لأسرى الحرب.. ومن أجل نهب وتدمير المدن والقرى الأردنيّة وسواها مع إجلائها للسكّان من منازلهم وخلق مشكلة اللّاجئين بمختلف أساليب الإرهاب والاقتلاع من الجذور ومحو آثار الجذور وفتح النّار على اللّاجئين.. لقد سمعناها حتّى من أفواه الإسرائيليّين ومن أصدقائهم.. سمعنا وقائع تُثبت حقيقة ما يدّعيه 'المنتصرون من سموّ خلقي' ولا يمكن أن يكون هناك سموّ خُلُق عندما يكون المنتصر على باطل.. ولا يمكن أن يكون هناك سموّ خُلُق حيث تُنهب الغنائم وتُقتسم الغنائم.

كلام الملك حسين هذا كان صادقاً ودقيقاً والصّحافة الأمريكيّة كلّها التي افتعلت الكثير من الضّجيج حول موضوع 'مخطط وتصميم السّلام' الذي وضعه جونسون ولا يتكلّم فيه سوى عن 'السموّ الخلقي' إلاّ أنّه لم يكن سوى ستار من الدّخان صالح لأن يُستعمل قناعاً يُخفي نفاق الإمبرياليّة الأمريكيّة..

والملك حسين في خطابه الذي تمّت متابعته بانتباه مُطّرد أشار أيضاً إلى ظواهر جوهرية برزت في مناقشات نيويورك: 'إنّ الأردنّ يتابع بصدق وثقة الأمر الذي يُلزم بالوقف الفوري للعمليّات العدوانيّة.. يغفل هذا وكلّه قناعة أنّ الأمم

المتّحدة لا تسمح إطلاقاً أن يُكافأ العدوان.. ولكن، في حال عدم قيام منظّمة الأمم المتّحدة بالوفاء الكامل بوعودها كما هو الحال بالنسبة للأمر بوقف إطلاق النّار.

وفي حال أن تسمح للمعتدي بالاحتفاظ بمتر مربّع واحد من الأراضي التي احتلّها.. فستفقد حقّها إطلاقاً وفي أيّ مكان من هذا العالم، أن تأمر بوقف إطلاق النّار وستفقد أي أمل باحترام وتنفيذ أمرها.

وهذا الموضوع بالذّات توقّف عنده أيضاً مندوب الجمهوريّة العربيّة المتّحدة الدكتور محمود فوزي مستشار الرّئيس للشؤون الخارجيّة وسأل إذا كانت مبادئ منظّمة الأمم المتّحدة تؤكّد أنّ القوّة هي الحكم الأعلى وأنّ العدوان يجب أن يُكافأ.. وأنّ المعتدين يجب إعفاؤهم من العقاب مع السّماح لهم بالاحتفاظ بثمار غدرهم.. وسأل أيضاً إذا كانت المبادئ إيّاها تقول وتؤكّد أن ضحايا العدوان هم الذين تتوجّب معاقبتهم وأن يتحمّلوا هذا المصير ساكتين؟

ودخل محمود فوزي في جدال مع آرثور غولدبرغ فقال: منذ يومين اثنين فقط سمعنا البعض يقول إنّ ما يبحثون عنه هو السّلام والرّفاهية وحياة ملؤها الأمل والعدل وحياة تُحترم فيها حقوق الإنسان بمنتهى الشّرف.. وجوابنا إلى هؤلاء هو التّالي:

أعطونا برهانكم على ما تقولون إذا كان هذا بمقدوركم. وأخيراً أعطى الجواب على بيان جونسون الذي ينصح فيه مصر أن تدخل طريق التّنمية الاقتصاديّة، فذكر فوزي أنه قبل بكثير أن يُعطي جونسون نصائحه الصّالحة هذه وقبل بكثير أن يتحدّث في التّلفاز عن التّظاهر بفتوّته الصّالحة هذه.. بدأت مصر بحميّة وتصميم مشاريعها الواسعة لإعادة البناء الاقتصادي وتحقيق التقدّم والتجدّد القومي.. وسأل فوزي إذا كان جونسون قد سمع أحداً يتكلّم عن الإصلاح الزراعي المصري وإذا كانت لديه معلومات عن مصانع الصّلب وتحديث قناة السّويس والاكتشافات الجديدة واستثمار حقول النّفط، وختم المندوب المصري كلامه مشيراً إلى أنّ النجاحات التي اكتسبها شعب مصر هل ستكون

وتبقى أيضاً أكثر روعةً إذا ظلّ جونسون يدعم ويساند السّياسة اللّامسؤولة لإسرائيل التي ترمي إلى وتعمل فعلاً على كبح انطلاقة الشّعوب العربيّة؟

كوف دي مورفيل' وزير الشّؤون الخارجيّة الفرنسيّة التزم بالخطوط الكبرى التي رسمها الرئيس ديغول الذي أدان من يأخذ السّلاح أوّلاً.. البادئ باستعمال السّلاح في مجرى الأزمة ولا يقبل أيّ تغيير جغرافي، خاص بالأراضي ناجم عن الحرب.. فأشار بشدّة وحزم إلى جدليّة '... . وتنفّر السّياسيّين الأمريكيّين هي أنّ السّلام في الشّرق الأدنى كان مشروطاً بإعادة النّظر في السّلام في فيتنام.

والخطاب الذي ألقاه في منظّمة الأمم المتّحدة الوزير البريطاني للشّؤون الخارجيّة 'جورج براون' أثار عاصفة حقيقية في بريطانيا.. ومثار العاصفة إيّاها لم يكن بسبب اللّهجة المضادّة للاتّحاد السّوفييتي والتي عجّ بها الخطاب.. ولكن بسبب التمريرة التّالية: 'نحن نرغب بأن يسود السّلام في الشّرق الأدنى ونعترف أنّ السّلام على هذا الشّكل السّياسي يتطلّب أقصى وأعلى شروط العدالة وعلى هذا المبدأ يجب أن يرتكز تقدّم وازدهار أمم الشّرق الأدنى.. وأخصّ منها تلك التي تحتاج أكثر للشروط إيّاها.. فإذا سمحتم لي أريد أن أتقدّم ببعض المبادئ يكون الطّموح انطلاقاً منها، كما يبدو لي ذلك لتسوية المسألة نهائياً.. وهذه المبادئ يجب أن تنشأ طبعاً عن شرعة منظّمة الأمم المتّحدة فالمادة الثّانية من ميثاقها تنصّ على:

'إنّ أعضاء المنظّمة يمتنعون في علاقاتهم الدّوليّة، عن اللجوء إلى التهديد أو استعمال القوّة سواء ضدّ سيادة كلّ دولة على كامل أراضيها أو ضدّ استقلالها السّياسي'.

إنّ عبارة 'كامل الأراضي' تتعلّق مباشرةً بمسألة انسحاب القوّات التي كانت الموضوع الأساسي خلال المباحثات السّابقة.. وأنا لا أرى حلاً آخر وأستطيع أن أؤكّد مرّة جديدة موقفنا والذي يبدو لي، انطلاقاً من الشرعة الدّوليّة، أنّ الحرب ليست إطلاقاً السبيل إلى التوسّع الجغرافي لأيّة دولة.

إنّ التقارير المعروضة تُثبت أنّ هناك نقطة حسّاسة وملموسة يمكن اعتبارها عاجلة بشكل خاص وأقصد القدس.. إنّني أوجّه نداء إلى حكومة إسرائيل كي لا تباشر أيّة مبادرة تتعلّق بالقدس، وأنطلق في ندائي هذا من نفس المبدأ الآنف الذكر، وأعلن جهراً إلى حكومة إسرائيل أنّه إذا كانت تنوي ضمّ المدينة القديمة أو إقرار إجراء قانوني له علاقة بالضمّ إيّاه فإنّ حكومتي ستباشر إجراءات لا تؤدّي فقط إلى عزل إسرائيل داخل الرّأي العام العالمي بل تستدعي فقد الدّعم الذي تحظى به إسرائيل.

'إخرس يابراون' (Shut up Brown) بهذه العبارة وهذا الشّكل قابل خطاب وزيره كاتب التعليق الذي نشره في اليوم الثّاني في الصّحيفة اليوميّة 'دايلي مايل' وكما نرى، إنّ هذا الصّحفي كان غاضباً جداً لأنّ رجال السّياسة البريطانيّين قرّروا ألاّ ينقادوا انقياداً أعمى للأمريكيّين في مسألة الشّرق الأدنى.

إنّ النّاطقين بلسان الصّهيونيّة في بريطانيا وأكثرهم أهمّية 'سير بارنييت جانير' 'عمانوئيل شانير' اشتكوا في بيان مأساوي (مسرحي) من كون بريطانيا أقلعت عن مبدأ الحياد وانتقلت إلى معسكر العرب.

وعلى صفحات جريدة 'أويزرفر' وجّهت المدعوّة 'نورابيلوف' بياناً يدعو إلى مناقشة ضرورة إقالة براون من منصبه.. علماً أنّ الآراء والاقتراحات والتصاميم لم يكن الداعي الحقيقي الموجب لها بلاغة براون الفائقة بل التحوّل في السّياسة البريطانيّة. في ٢٢ حزيران قام رئيس الوزراء هارولد ويلسون بإبداء رأيه في مجلس العموم ضدّ هكذا 'عمل من جانب واحد تقوم به إسرائيل وهدفه ضمّ المدينة القديمة' وخلال اجتماع في 'نوتانغهام' رفض كلّ الحلول المفروضة بالقوّة. وأعلن رئيس الوزراء: 'لا يمكن أن تؤدّي الحرب إلى توسيع الأرض'

كما أنّ الصّحافة البريطانيّة وليس المقالات المنشورة فيها سجّلت منذ وقت قريب تطوراً في سياسة بريطانيا.. ففي ١٥ حزيران انتقد 'وودروي ويات' على صفحات 'دايلي ميرور' الموقف السّابق لرئيس الوزراء البريطاني ووصف تصريحاته المتعلّقة الشّرق الأدنى بأنّها 'تصريحات لا يمكن إطلاقاً لأيّ رجل دولة أن يُدلي بها' و'التايمس' من جهتها، تاريخ ١٨ حزيران كتبت عن موضوع الشّروط

التي تقدّمت بها إسرائيل: 'بعد خلق وضع جديد، كانت هناك شروط إعناد المنتصر فرضها.. وصار وارداً أنّ ما من قوّة تملك ما يمكّنها من إخراج إسرائيل من الأراضي التي احتلّتها إلاّ أنّه ما من إسرائيلي يستطيع الاعتقاد أنّ هذا الفرض بالقوّة يمكن أن يدوم إلى مالا نهاية.. حتّى ولو أنّ إحدى الدّول العربيّة تُقرّه وتعترف به فهو غير محتمل القبول أو الوقوع.. ولا يوجد أي سبب للافتراض أن حكومات البلدان الأخرى تقبل أن تقرّ عمليّات الضمّ والتوسّع.. وإذا كان الإسرائيليّون يعتبرون ما يجري قليل الأهمّية آنياً فستكون له أهمّيته الحقيقيّة على المدى الطويل لأنّه ليس منطقياً الاعتقاد أنّهم سيملكون إلى مالا نهاية تفوّقهم على العرب'.

يجب ألاّ يذهب بنا الوهم إلى الاعتقاد أنّ هذا التغيّر الطّارئ على مواقف قادة حزب العمّال البريطاني قد أملاه تعلّقهم بشرعة الأمم المتّحدة أو بمبادئ الأخلاق، فالذي أجبرهم على هذا الانصياع كان ترنّح واضطراب وضع الجنيه الإسترليني، فقد كان لزاماً عليهم في نهاية المطاف إنقاص قيمة الجنيه في تشرين الثاني، ثمّ هناك عامل آخر هو ما أصبحت بريطانيا تتحمّله من تكاليف بسبب إغلاق قناة السّويس، يُضاف إلى كلّ ذلك حذاقة شعور السّاسة البريطانيّين -خلافاً لفريق مستشاري البيت الأبيض والرئيس جونسون- الشّعور أن يضعوا في حسابهم أنّ عدم قطع الجسور بين العالم العربي وبين المصالح البريطانيّة يمكن أن يكون أكبر مردوداً من الاعتماد غير المشروط على إسرائيل.. وفضلاً عن ذلك، إن موقف بريطانيا قد تغيّر وتطوّر بحكم مجرى الأحداث.. ففي كانون الأوّل ١٩٦٧ تمّ استئناف العلاقات الدبلوماسيّة بين بريطانيا ومصر وقد تمّ هذا حالما أعلنت بريطانيا على الملأ مشروع الحلّ الآنف ذكره وتمّ إقراره من قبل مجلس الأمن في ٢٢ تشرين الثّاني.

خلال مناقشات الجلسة الاستثنائيّة للجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة ظهرت واستجدّت عدّة تيّارات متميّزة فبعض البلدان، ومنها الأوروبيّة، التي عُرفت بسياستها الجّانحة إلى التحفّظ، ومنها الدانمارك وبلجيكا، اتّخذت موقفاً من قضية الشّرق الأدنى إلى جانب 'المتصلّبين' وهولندا وإيطاليا، في خطابه حول العدوان الإسرائيلي رئيس وزراء إيطاليا آلدو مورو لم يتطرّق إلى إدانة إسرائيل

ولم يجمع بين أزمة الشّرق الأدنى وبين قضيّة فيتنام.. والعديد من بلدان 'العالم الثّالث' وقفوا مع وجوب احترام شرعة منظّمة الأمم المتّحدة وعدالة حقوق البلدان العربية، في حين أنّ بلداناً أخرى، وبخاصّة البلدان الإفريقيّة، برهنت على تردّدها وتذبذبها ومردّ ذلك بالمقام الأوّل، أنّها تقع تحت نفوذ وتأثير توسّع إسرائيل الاقتصادي.

إنّ اختلاف هذه المواقف توضّح لدى التصويت الذي أجرته منظّمة الأمم المتّحدة بتاريخ ٤ تمّوز على مشروعي قرارين أوّلهما سُمّي 'مشروع الخمسة عشر' قدّمته بلدان عدم الانحياز ويتمثّل بالصيغة النهائية للمبادرة اليوغسلافيّة ويرمي إلى وجوب انسحاب جيوش إسرائيل إلى ما وراء خط الهدنة ثمّ إلى ما وراء الحدود المحتلّة قبل الخامس من حزيران حسب التعديل الذي جرى على القرار إيّاه.. والثّاني تقدّم به وفراترينيدا توباغو ويحمل اسم 'مشروع أمريكا اللّاتينيّة'.

كان المشروع الأوّل مدعوماً من الاتّحاد السّوفييتي والبلدان العربيّة في حين كان المشروع الثّاني نال موافقة الولايات المتّحدة الأمريكيّة لأنّه يتضمّن العديد من القرارات التي تدعم في الواقع مطالب إسرائيل، ولا ينصّ خصوصاً على وجوب التخلّي، تمهيداً لأيّ تسوية عن الأراضي المحتلّة.. والمشروعان كلاهما لم ينالا موافقة الأكثرية المطلوبة من الجمعيّة العموميّة وتحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكيّة ذهبت سُدىً جميع الجهود الرّامية إلى إقرار السّلام والعدالة في الشّرق الأدنى.

إنّ عجز المنظّمة الدّولية عن إدانة العدوان، ووضع صيغة قانونيّة واضحة مُلزمة بانسحاب المعتدي من الأراضي المحتلّة من جراء الحرب.. كلّ هذا لقي رضىً وارتياحاً لدى إسرائيل.

في مقابلة أجراها مع صحيفة يديعيوت‌أحرونوت' كيّف' ليفي آشكول هذا الحدث على الشّكل التّالي: 'لقد تلقّينا برضى متميّز نتائج تصويت منظّمة الأمم المتّحدة' .. وبنبرة مماثلة جاهرت كل من 'نيويورك تايمس وواشنطن إيفننغ ستار' حيث كتبا: 'إنّ نتائج التصويت تتحدّث عن نفسها' و'قد انتهت الحملة الرّامية إلى انسحاب القوّات الإسرائيليّة إلى الفشل الكامل Fiaseo'.

ما هو أصل وما هي علّة هذا الفرح النّاجم عن النّجاح الحاصل؟ الصّحيفة الأسبوعيّة الأمريكيّة 'نيوزويك' قدّمت بصراحة تفسيراً للمشكلة إذ كتبت بتاريخ ١٦ حزيران: 'لقد قدّمت إسرائيل للولايات المتّحدة الأمريكيّة في الشّرق الأدنى ما لم يقدّمه أيّ حليف أو صديق آخر في العالم منذ نهاية الحرب العالميّة الثّانية.. لقد ربح الإسرائيليّون الحرب بوسائلهم الخاصّة وخدموا مصالحنا بحرارة كما لو كانت مصالحهم الخاصّة'

في مطلع شهر تمّوز كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة لا تزال مقتنعة أنّه من السهل عليها أن تُكافئ خدمات إسرائيل بأن تضغط على باقي بلدان العالم كي تكون في حالة تحويل نجاح إسرائيل العسكري إلى نجاح سياسي.. ولكن الانتصار لم يكن كاملاً.. ففي نهاية حزيران، في نفس الوقت الالتقاء في 'غلاسبورو' بين رئيس الوزراء كوسيغين وبين الرئيس جونسون، اللّقاء الذي كما نعلم لم ينتهِ إلى أيّ تقارب بين موقفي رجلي الدّولة المذكورين من قضيّة الشّرق الأدنى.. إذ قام رئيس السّوفييت الأعلى للاتّحاد السّوفييتي 'نيقولا بودغورني' بزيارة طويلة المدى وكبيرة الدّلالة إلى القاهرة ثمّ إلى عواصم البلدان العربيّة.. والصّحافة الأمريكيّة التي سبق لها أن هاجمت 'كوسيغين' من أجل موقفه في 'غلاسبورو' (كتب جيمس ريستن في 'نيويورك تايمس' كوسيغين وضع العراقيل بوجه جهود جونسون الرّامية لإيجاد حلول تسوية) هذه الصّحافة وجدت المواضيع لتعليقاتها ضدّ الاتّحاد السّوفييتي إذ اعتبرت مبادرات الدبلوماسيّة السّوفييتيّة خطراً يهدّد المقاصد التي تسعى وراءها الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الشّرق الأدنى والموقف الذي صمّم عليه الاتّحاد السّوفييتي لم ينل دعم وتأييد أكثرية أعضاء منظّمة الأمم المتّحدة.. ولكنه جذب إليه حقيقة انتباه العالم أجمع وهذا عنصر هام جداً.. هذا فعلاً وانطلاقاً من هذه اللّحظة، أخذت المعركة التي تلتها مكانها تحت شعار ولافتة احترام شرعة الأمم المتّحدة، واحترام حقوق العرب واعتبار سياسة إسرائيل التوسّعيّة التي يمليها المعتقد الصّهيوني من البديهيّات الواضحة والثّابتة، فانطلاقاً من كل هذا وأيضاً من كون حكومات البلدان التي يتزايد عددها كلّ يوم تأخذ في اعتبارها هذه المبادئ كلّما اقتضى الأمر أن تأخذ وتحدّد موقفها من قضيّة الشّرق الأدنى.

وحده الفريق الحاكم لدولة وحيدة هي إسرائيل لا يرغب في استخلاص أيّ قرار أو رأي واقعي من جميع المناقشات التي كانت الجمعيّة العموميّة مسرحاً لها.. بل العكس هو الذي حصل، فخلال شهري حزيران وتمّوز كنّا شهود العديد من المواقف وما يتجاوزها من التصريحات التي تُثبت أنّ إسرائيل تغوص وتتورّط أكثر فأكثر في وضع سوف ينقلب عليها لأنّ جانباً من الرّأي العام يزداد اتّساعاً وأهمّية كلّ يوم بما فيه هذه الشّريحة من الرأي العام التي كانت فعلاً، حتّى الآن موالية لإسرائيل أصبح يتّهم مواقفها المنتقدة والمُدانة.

عبر هذه الحقبة أثبت السّياسيّون الإسرائيليّون تعطّشهم الذي لا يرتوي إلى الإعراب عن أنفسهم ويكفي أن نتصفّح جرائد ودوريّات هذه الحقبة حتّى نجد أنّه من الصعب الوقوع على مقابلة أو تصريح يخلو من غرور أصحابها.. ثمّة شيء مُفسد غير صحّي.. ثمّة شيء يُثير ردّ الفعل في هذا السّيل من المواقف.. إنّ النّاطقين الرّئيسيّين بلسان 'إسرائيل الجديدة' هم: الجنرال دايان، أحد الحمائم القدماء ورئيس الوزراء ليفي آشكول والوزير آبا إيبان.

في ١٤ حزيران أخذ إيبان بوجهة نظر دايان الخاصّة بالقدس معلناً أنّه 'لا يمكن أن يدور بخلد أحد أنّ توحيد القدس الذي تحقّق أخيراً يمكن أن يُلغى'.

في ١٧ حزيران رئيس مجلس الوزراء السّابق بن غوريون اقترح مشروع 'إنشاء دولة فلسطينيّة صوريّة fantoehe مضمومة 'اتّحادياً' إلى إسرائيل.

في ٢٥ حزيران صرّح إيبان في التّلفزيون الأمريكي أنّ الجيوش الإسرائيليّة لن تنسحب من الأراضي المحتلّة في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة والأردن وسوريا وطالب بمباحثات مباشرة بين إسرائيل والدّول العربيّة.

في ٢٦ حزيران نشر دايان مخطّطه لإجلاء سكّان غزة نحو الأراضي التي تُطاول الضّفّة الغربيّة لنهر الأردن.. الأراضي التي هجر منها اللّاجئون كما أعلن أيضاً ضمّ غزة.. وخلال نفس اليوم أعلن آشكول في مقابلة أجرتها معه وكالة (UPI) يجب أن تمنح الاتّفاقات المقبلة إسرائيل حدوداً أفضل من الحاليّة.

هكذا إذاً، يتنصّل آشكول للمرّة الأولى مما أعلنه هو بالذّات بموضوع نفي أي طمع بالأراضي من قبل إسرائيل وكذلك الوعود التي قطعها في المقابلة التي

أجراها معه مراسل صحيفة 'ليموند' بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٦٦ وفيها أكّد أن إسرائيل قبلت نهائياً الوضع الرّاهن للأراضي.. وفي حزيران ١٩٦٧ انتحل آشكول صفة المعادي المتطرّف للنظام السّوفييتي وهو يعلن لصحفي أمريكي (لإرضاء قرّائه في الولايات المتّحدة الأمريكيّة) يُعلن أنّ القوّات العسكريّة الإسرائيليّة سجّلت على شريط أوامر باللّغة الرّوسيّة أعطيت على النّطاق الواسع لعمليّات العدوان.. ومع ذلك أضاف رئيس وزراء إسرائيل: لم يتمّ أسر أيّ روسي..

في ٢٧ حزيران أي اليوم الذي فيه صوّت الكنيست لإقرار قانون ضمّ القدس، ردّد آشكول خلال محادثة تلفزيونية المقولة التي بموجبها لن تنسحب إسرائيل من الأراضي المحتلّة ما دام مصيرها لا يقرّر في محادثات سلام مباشرة.

في ٢٨ حزيران أكّد شيمون بيريز الموفد الخاص لحكومة إسرائيل للقيام بجولة على عواصم بلدان أوربّة الغربيّة أكّد الاقتراح المتعلّق بإنشاء دولة فلسطينيّة لعرب الأراضي المحتلّة.

في ٢٩ حزيران أكّد دايان في مقابلة أجرتها معه الصّحيفة السّويسريّة Welt Woehe: 'لن ننسحب من القنيطرة ولا من القنطرة' القنيطرة تشكّل القطّاع السوري المحتل والأكثر عمقاً في الأراضي السّورية والقنطرة موجودة على قناة السّويس.

إنّ الأعور زعيم المتطرّفين الإسرائيليّين، كان صادقاً وصريحاً أثناء تحدّثه مع ممثّل الصّحيفة الأسبوعيّة Zuriehois: 'إنّ وضع إسرائيل اليوم أفضل مما كان عليه عام ١٩٥٦ ففي تلك الحقبة كنّا نجد ضدّنا كُلاً من الاتّحاد السّوفييتي من جانب والولايات المتّحدة الأمريكيّة من جانب آخر.. والوضع اليوم مختلف تماماً.. وفي نفس اليوم في نيويورك كان إيبان يُطمئن الصّحفيّين بأنّ قرار الكنيست المتعلّق بضمّ القدس قد أُسيء فهمه'.

في مقابلة أُجريت مع (L'AEP) أكّد الجنرال إسحق رابين: 'سنعمل كل ما في وسعنا كي نتوصّل إلى تغيير موقف فرنسا' (أقوال رابين وجدت بعدئذ

مصداقيتها في الحملة العنيفة الموجّهة ضدّ الرّئيس الفرنسي والتي تمّت المقارنة خلالها بين الجنرال ديغول وبين هتلر واتّهموه باللاّساميّة)

وبلغ الأمر برابين أن قارن بين حرب الأيّام الستّة وبين الأيّام الستّة التي كانت ضروريّة إلى الله حتّى خلق الكون.

وأضاف يقول: 'أمّا نحن فلن نستريح..'

وخلال اجتماع لحزب 'رافي' أكّد دايان أنّه لم تكن هناك إطلاقاً مسألة الانسحاب من الأراضي المحتلّة.

وفي ٣٠ حزيران ظهرت على المسرح غولدا مائير الوزيرة السّابقة للشؤون الخارجيّة وأعلنت أنّه كان يجب تغيير الحدود السّابقة.

في الأوّل من تمّوز وفي مقابلة أُجريت مع الصّحيفة الأمريكيّة US News And World Report أعلن آشكول: 'إنّ مسألة معرفة من الذي بدأ ليست سوى مشكلة بلاغة كلاميّة بحتة Rhetorique، وفي مقابلة تلفزيونيّة أخرى قال دايان مهدّداً: كلّ شيء يمكن أن يُستعاد في الشّرق الأدنى إذا تمادى العرب في رفضهم توقيع اتّفاقيّة السّلام'.

في ٥ تمّوز كرّر دايان أقواله السّابقة المتعلّقة بالضمّ وكذلك إيبان، أمام آلات تصوير التلفزيون الألماني الغربي، صرّح أنّ الاتّحاد السّوفييتي شلّ وعطّل جهود مجلس الأمن..

وفي ٧ تمّوز قام آشكول بنشر وتعميم طروحات إسرائيل التّوسّعيّة على صفحات صحيفة 'ليموند' وفي اليوم نفسه أجرى دايان مقابلة مع مراسل 'فرانكفورتر ألجيمين رايتونغ' وعلى السّؤال المخاتل 'ماذا كان يمكن أن يحصل لو أنّ القوّات العسكريّة السّوفييتيّة تدخّلت إلى جانب الجيوش العربيّة؟ أجاب دايان: ' كنّا قاتلنا الاتّحاد السّوفييتي وانتصرنا عليه..' الصّحيفة اليوميّة اللبنانيّة باللّغة الفرنسيّة 'لوريان' نشرت هذا التصريح في صفحتها الأولى وأضافت له: كان دايان جاداً في كلامه'.

لم تُعلن إسرائيل الحرب ضدّ الاتّحاد السّوفييتي ولكنها صعّدت من استفزازاتها في إقليم قناة السّويس رامية من وراء عملها هذا إلى خلق أمر واقع جديد متمثّلاً الوحدات البحريّة الإسرائيليّة في مياه القناة.

إنّ استفزازات العسكريين الإسرائيليّين كان لها وجه آخر هو التعبير عن المرامي ومحاولات خلق حالة إضافيّة من التوتّر والضغط في إقليم القناة وفي ذلك مصاعب جديدة تواجهها مصر.. وفعلاً تصاعدت التوترات وتفاقمت. ففي ٢٨ حزيران أطلقت النّار على زورق ثقيل مصري في القناة وقتل واحد من البحّارة.. وفي أوّل تمّوز قامت فصائل مدرّبة إسرائيليّة بالانتشار على طول القناة باتّجاه الشّمال في محاولة لاحتلال الجانب الشّرقي من مدينة بور سعيد، بور فؤاد.. وقد تمّ صدّ هذا الهجوم فقامت المدفعيّة الإسرائيليّة [illegible] مدينة بور سعيد والأحياء الموجودة على الضّفّة اليسرى من القناة.. في الثّامن من تمّوز حاولت إسرائيل مرّة أخرى احتلال بور فؤاد وحالما فتحت المدفعيّة المصريّة النّار على المعتدين تدخّل الطّيران..

في ٩ تمّوز دُعي مجلس الأمن للانعقاد فقرّر أن يُرسل إلى إقليم قناة السّويس مراقبين حُدّدت مهمّتهم بغرض احترام الاتّفاق القاضي بوقف إطلاق النّار.

في ١٢ تمّوز فتحت إسرائيل النّار من جديد في إقليم القناة. في ١٤ و١٥ تمّوز حصل حادث جدّي لخطّة وصول مراقبي منظّمة الأمم المتّحدة إذ حاولت القوّات الإسرائيليّة أن تُنزل إلى الماء وتدفع في قناة السّويس زورقاً يرفع العلم الإسرائيلي، وطاقم الزّورق الذي تمّ أسره من قبل قوّات الجمهوريّة العربيّة المتّحدة شرح الهدف من هذه العمليّة: الملازم الثّاني باكوف كوحكانوف، قائد الوحدة، أعلن ما يلي إلى تلفزيون القاهرة:

إنّ الهدف من مهمّتنا لم يكن عسكريّاً.. كنّا نريد إعطاء البرهان على وجودنا في القناة.. إعطاء البرهان إلى مراقبي منظّمة الأمم المتّحدة.

وتطوّرت الاستفزازات لتصبح دامية وأحدث القصف المدفعي الإسرائيلي للأحياء السّكنية في الإسماعيليّة والسّويس.. العديد من الضّحايا من السّكان المدنيّين وأُصيب فندق الإسماعيليّة الذي يأوي مراقبي منظّمة الأمم المتّحدة.

ولابدّ من أن نذكر هنا ما سبق للجنرال إسحق رابين، في ١٢ تمّوز أن قاله: 'إنّ وجودنا في قناة السّويس يقرّب يوم السّلام في الشّرق الأدنى' هذا الكلام لم يكن مجرد مزاح؟

لنعد إلى الحالة التي استجدّت عقب نهاية المرحلة الأولى للمعركة الدبلوماسيّة على صعيد منظّمة الأمم المتّحدة فإنّ نتائج تصويت الجمعيّة العموميّة التي أفرحت كثيراً ليفي آشكول وجانباً من الصّحافة الأمريكيّة، أدّت إلى حالة من المرارة سادت العالم العربي وإلى شعور بالقلق في الأوساط المقرّبة من الأمم المتّحدة.. وظهر ذلك جليّاً على امتداد عدّة أيّام عقبت الجلسة المومأ إليها.. كانت خلال محاولات إيجاد توافق في المواقف يُفضي إلى حلّ ما.. إلاّ أنّ غياب أيّة نتيجة إيجابيّة دعا إلى قرار تأجيل أعمال الجلسة الاستثنائيّة إلى أجل غير محدّد مع الطلب إلى سكرتير عام المنظّمة بإحالة القضايا المطروحة إلى مجلس الأمن حتّى يصبح ممكناً استئناف الأعمال المتعلّقة بالوضع المتوتّر في الشّرق الأدنى.

في تعليقها على نتائج الجلسة أكّدت حكومة الاتّحاد السّوفييتي في تصريح نُشر بتاريخ ٢٣ تمّوز: 'إنّ الجلسة الاستثنائيّة للجمعيّة العموميّة كانت مرحلة هامّة في معركة الدّول الملتزمة بالسّلام من أجل تسوية أكثر سُرعة لنتائج العدوان الإسرائيلي'. والتّصريح إيّاه الذي وصف الولايات المتّحدة الأمريكيّة إنّها الحامي الرّئيسي لإسرائيل ومخطّطاتها التّوسّعيّة لفت النّظر إلى أنّه، خلال الجلسة المذكورة ما من أحد امتلك الجرأة وبرّر عدوان المعتدي.. ورغم ذلك عجزت الجمعيّة العموميّة عن اتّخاذ قرار خاص بالمشكلة الأساسيّة أي انسحاب القوّات الإسرائيليّة من الأراضي العربيّة المحتلّة وكان هناك قرار يعبّر عن الأمل أنّ جميع الدّول المتمسّكة بالسّلام ستواصل جهودها حتّى إجبار المعتدي على الانسحاب من الأراضي التي يحتلّها: 'لن يكون هناك سلام في الشّرق الأدنى مادامت قوّات المعتدي باقية في الأراضي العربيّة.. ومادامت إسرائيل بتبجّحها الوقح متمسّكة

بمزاعمها الخاصّة بالأراضي وسواها تجاه البلدان العربيّة.. وإنّ الخروقات المسلّحة التي تتصرف إليها في إقليم قناة السّويس تُظهر أنّ الحرب يمكن أن تُستأنف بين يوم وآخر'.

والتّصريح إيّاه أكّد مرّة أخرى، موقف البلدان الاشتراكيّة: 'فالاتّحاد السّوفييتي بالاتّفاق مع البلدان الاشتراكيّة الأخرى. سيتابع تقديم دعمه السّياسي للبلدان العربيّة في معركتها العادلة من أجل حقوقها.. وتقديم مساعدته لإعادة بناء وتنمية اقتصادها وتقوية قدرات دفاعها'.

هذه المقاصد كانت متطابقة مع القرارات التي اتّخذت في 'بروكسل' (في ١١ و١٢ تمّوز) خلال اجتماع قادة الأحزاب الشّيوعيّة والعمّاليّة الشقيقة للبلدان الاشتراكيّة وهو الاجتماع المكرّس للوضع في الشّرق الأدنى.

ختاماً لهذا التّحليل للجلسة الاستثنائيّة للجمعيّة العموميّة لا يمكن إغفال ذكر القرارين الهامّين جدّاً بالنسبة لمسار الأحداث ويتعلّقان بوضع القدس.. وقد تمّ التصويت عليهما في ٤ ثمّ في ١٤ تمّوز ونالا أكثرية كبرى، وقد دعا كلّ منهما إسرائيل إلى عدم تغيير وضع القدس الرّاهن ولكنّهما لم يُحدثا أيّ تأثير على سلوك التّوسّعيّين، فقد أعلنت إسرائيل تحدّيها لجميع أمم العالم وبالغت في تشدّدها بضمّ القسم العربي من مدينة القدس إلى إسرائيل مادامت تحضن في موقفها هذا بتشجيع المندوب الأمريكي الذي لم يستجيب هو الآخر لتأكيدات جونسون السّابقة: 'احترام وحدة أراضي دول إقليم الشّرق الأدنى'.

إن القرار الثّاني الآنف ذكره المتعلّق بالقدس يطلب من الأمين العام لمنظّمة الأمم المتّحدة أن يقدّم مذكّرة عن الوضع وتقرير ثانت المقدم بتاريخ أوّل أيلول بناء على اتصالات مندوبه إرنستو ثالمان كان يتضمّن، بدل النّص المنتظر من قبل الدّول التي صوّتت على القرار، عبارات خارجة عن الموضوع مثل: 'لقد دمّروا وأزالوا من الوجود ١٣٥ بيتاً عربياً قرب حائط المبكى بالقدس والمئات ممن أصبحوا دون مأوى تمّ طردهم من مدينتهم'.

لقد رُفعت الجلسة الاستثنائية للجمعيّة العموميّة لمنظّمة الأمم المتّحدة بتاريخ ١٨ أيلول.. أي عشيّة الجلسة العاديّة الثّانية والعشرين للمنظّمة إيّاها..

وفي ٢١ أيلول وبناءً على قرار اللجنة العامّة، تقرّر إدخال مشكلة الشّرق الأدنى في البرنامج اليومي لهذه الجلسة نظراً للأهمّية الأوّليّة للمشكلة إيّاها..

وعلى هذا الشّكل ظلّت أزمة الشّرق الأدنى آخذة مكانها في برنامج أعمال المنظّمة لليوم المذكور واستمرّت المعركة السّياسية.

قبيل افتتاح أعمال الجلسة، حاولت إسرائيل فرض موقفها، فالوزير إيبان خلال استقبال في نادي الصّحفيّين الأمريكيّين، صرّح: 'إنّ الوضع القديم أصبح عائداً لماضٍ انقضى وانتهى تماماً.. ولا مجال إطلاقاً بل ليس وارداً أمر العودة إلى وضعٍ قديم فرضه خطأ تاريخي للهدنة، فالخريطة الجغرافيّة للشّرق الأدنى زالت إلى الأبد'.

وفوراً، بعد هذا، خلال خطابه تاريخ ٢٥ أيلول في منظّمة الأمم المتّحدة، كان إيبان يدخل في جدال مع طروحات الوزير غروميكو التي توجب الانسحاب من الأراضي المحتلّة فأعلن قائلاً: 'إنّ المطلب القاضي بالعودة إلى وضع مضى مرّ عليه الزّمن وهو معاكس لمشاعر الرّأي التقدّمي في جميع البلدان ومنها بلدان أوربّة الشّرقيّة' كان الوزير إيبان دون أيّ شك 'يغترف' معلوماته عن الرّأي السّائد في بلدان أوربّة الشّرقيّة من محطّة 'أوربّة الحرّة' دون أن تأخذ في الاعتبار الأصوات التي 'أسمعت ذاتها' خلال اجتماع لجنة التّضامن الأفرو- آسيوي التي اجتمعت في القاهرة بين واحد وأربعة من شهر تمّوز.. والاقتراحات البنّاءة لتسوية أزمة الشّرق الأدنى التي تقدّم بها الأوّل من آب رئيس يوغسلافيا جوزيف بروزتيتو.

هذه الاقتراحات المعرّفة باسم 'مشروع تيتو' من قبل العديد من البلدان العربيّة مفيدة وجديرة بالدّعم وكانت ترى من بين توقّعاتها انتهاء حالة الحرب بين بلدان الشّرق الأدنى والحلّ التقدّمي لمشاكل هذا الإقليم السّياسية.

أمّا في إسرائيل فإن مشروع تيتو لم يخلق سوى الغضب الشديد وذلك برهان جديد أنّ نوايا هذه الدّولة لم تكن إطلاقاً إقرار السّلام في الشّرق الأدنى وإنما كانت فرض شروط على البلدان العربيّة تُلزمها بالتّخلّي عن أراضٍ لصالح إسرائيل..

في مقابلة أجراها مع الصّحيفة الأسبوعيّة الإيطاليّة 'أوروبو' في ٢٥ أيلول قال آبا إيبان: 'لا يوجد أيّ حقّ يفوّض يوغسلافيا أن تلعب دور الوسيط في الشّرق الأدنى'.. كان إيبان يُدير إذنيه لسماع أصوات أخرى مشجّعة ومنها، مثلاً، تقرير اللّجنة المركزيّة للحزب الجمهوري في الولايات المتّحدة الأمريكيّة الذي يُلزم جونسون بمتابعة الخطّ المتشدّد في الشّرق الأدنى.. 'إنّ النتيجة للحرب الإسرائيليّة العربيّة -يقول التقرير مؤكّداً- تُعتبر فرصة رائعة لتقوية النّفوذ الأمريكي في الشّرق الأدنى وخنق التّطلعات السّوفييتيّة في هذا الإقليم'.

وتصاعدت تصريحات قادة إسرائيل حدّة وتطرّفاً ويستحيل فعلاً الإلمام بجميع مواقف التّوسّعيّين الإسرائيليّين فنكتفي بذكر تصريحات ليفي آشكول التي تعطي فكرة عمّا عداها.

في ٣٠ تشرين الأوّل أعلن رئيس وزراء إسرائيل أمام الكنيست 'أنّ جميع الأراضي والمحالّ التي تحمل أسماء توراتيّة يجب أن تُضمّ.. وأنّ هذه الأراضي هي التي كانت دون مسوّغ شرعي مملوكة من قبل العرب'. وأعلن تحمّله مسؤوليّة التّصريح المقدّم لممثّلي المنظّمة اليهوديّة 'بنايي بريت' في ٢٩ تشرين الأوّل: 'يتوجّب علينا حتّى نهاية هذا القرن مضاعفة عدد سكّاننا فاليهود ضروريّون حيث لا يزالون غائبين، في أي مكان توجد أسماء توراتيّة' وجدّد النّداء (الذي سبق وجدّده أيضاً أمام ممثلين إسرائيليّين من أصول رومانيّة في ٨ تشرين الثّاني) وهو النّداء المتعلّق 'بتنمية عدد سكّان إسرائيل حتّى خمسة ملايين من المواطنين الإسرائيليّين'.

وكان من الطبيعي أن يضع دايان من نفسه كورساً له منذ مطلع تشرين الأوّل أعلن: 'إذا كنّا سنترك القنيطرة فليس ذلك إلاّ للزحف نحو دمشق.. وإذا اجتزنا الأردن فهذا يكون للتغلغل نحو عمّان.. وإذا اجتزنا قناة السّويس سيكون ذلك لتركيع القاهرة'.

'برنارد أولمان' مراسل وكالة 'فرانس بريس' أبدى هذه الملاحظة الثّاقبة النّظر: 'يبدو أنّ مثل هذه التّصريحات القصد منها ' أن تُطفئ داخل البيضة' جميع مرامي التسوية مع مصر'.

كلّ هذا كان يجري فعلاً وقت كانت الدبلوماسيّة البريطانيّة مشغولة بإعداد صيغة وفاق لحلّ تريد تقديمه إلى مجلس الأمن ويكون صالحاً للبحث عن حلول سلميّة وشاملة في إقليم الشّرق الأدنى وأصبح هذا يجري فعلاً منذ صار واضحاً أن سير بريطانيا العظمى على خُطا فرنسا يعني أنها هي أيضاً خانت إسرائيل.

ومشروع الحلّ البريطاني الذي سننشر نصّه إلى هنا تمّ تقديمه خلال قيام مجلس الأمن بأعماله لدى اجتماعه بتاريخ ٧ تشرين الثّاني بناءً على طلب الجمهوريّة العربيّة المتّحدة وقد جرى هذا بشكل لم يكن منتظراً في حين كانت الاتصالات السّابقة والمباحثات السّرّيّة والعلنيّة في منظّمة الأمم المتّحدة تدعو إلى الترجيح لحالة ركود تنفي أي أمل بأيّ تقدّم.

الحلّ البريطاني يتضمّن:

إنّ مجلس الأمن.. تعبيراً منه عن القلق المتواصل النّاجم عن خطورة الوضع في الشّرق الأدنى.. ونظراً إلى حيازة أراضٍ عن طريق الحرب مرفوضة وأنّه من الضروريّ العمل من أجل سلام عادل ودائم يسمح لكلّ دولة في المنطقة أن تعيش بأمن.. ونظراً إلى أنّه بالإضافة، جميع دول الأعضاء باعتبارها تقبل شرعة الأمم المتّحدة، قد عقدت عزمها على الالتزام بالعمل وفق المادّة الثّانية من الميثاق.

أ – يؤكّد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلّب إقامة سلام عادل ودائم في الشّرق الأوسط وهذا يستوجب أن يتضمّن تطبيق المبدأين التّاليّين:

أ – انسحاب القوّات المسلّحة الإسرائيليّة من الأراضي المحتلّة خلال النّزاع السّابق.

ب – إنهاء جميع الدعاوى النّاجمة عن الحرب أو جميع حالات الحرب، واحترام والاعتراف بالسّيادة ووحدة الأراضي الكاملة والاستقلال السّياسي لكلّ دولة في المنطقة وحقّها أن تعيش بسلام داخل حدودها الأكيدة والمعترف بها، وفي مأمن من أي تهديد أو أعمال قوّة.

٢ً – يؤكّد إضافة إلى ما سبق، ضرورة:

أ – ضمان حرّية الملاحة في الطرق البحريّة الدّوليّة في المنطقة.

ب – تحقيق تسوية عادلة لمشكلة الّلاجئين.

ج – ضمان عدم انتهاك حرمة الأراضي والاستقلال السّياسي لكلّ دولة في المنطقة بإجراءات تتضمّن خلق مناطق منزوعة السّلاح.

٣ً – يرجو الأمين العام أن يُعين ممثّلاً خاصّاً كي ينتقل إلى الشّرق الأوسط كي يُقيم ويتابع علاقات مع الدّول المعنيّة بقصد تيسير الاتّفاق ومساعدة الجهود الرّامية للوصول إلى تسوية سلميّة ومقبولة متطابقة مع مقترحات ومبادئ الحلّ الحالي.

٤ً – يرجو السكرتير العام أن يقدّم بأسرع وقت ممكن إلى مجلس الأمن تقريراً عن نشاط وجهود الممثّل الخاص.

٥ً – نحن لا ندخل في خصائص سرّ ودبلوماسيّة منظّمة الأمم المتّحدة وفي نصوصها كي نمسك المعنى الحقيقي لهذا القرار الذي تمّ تبنّيه بتاريخ ٢٢ تشرين الثّاني من قبل جميع أعضاء مجلس الأمن بمن فيهم طبعاً الدّول العظمى.. فالمشكلة التي يضعها القرار إيّاه على رأس مجمل القضيّة هي مشكلة انسحاب قوّات الاحتلال.

في ٢٢ تشرين الثّاني كانت النّقطة الذّروة لهذه الحقبة من المعركة الهادفة من التسوية السّلميّة لأزمة الشّرق الأدنى.. ومن المفيد مع ذلك دراسة كيفيّة تصرّف الجّهات المعنيّة في تبنّي وتطبيق القرار.

إنّ البلدان العربيّة ومعها جميع البلدان التي تساند الحقّ العربي العادل، بصرف النّظر عن تحفّظاتها بخصوص غموض والتباس بعض مواد القرار التقت عند دعم هذا النصّ الذي تلتزم باحترامه. وفي خطاب ألقاه في القاهرة في ٢٣ تشرين الثّاني قال الرّئيس عبد النّاصر إنّه يربط مسألة الملاحة في قناة السّويس مع التّسوية الكاملة لمشكلة الّلاجئين الفلسطينيّين.

ولكن ماذا كان موقف إسرائيل؟

الموقف تأكّد بسرعة كبيرة: لا تقبل إسرائيل من القرار سوى الترتيبات الخاصّة بنشاط الممثّل الخاص لأمين عام منظّمة الأمم المتّحدة.. مع تفسير ذلك على طريقتها هي.

وأعلنت إسرائيل فعلاً أنّها لن تتواجه معه إلاّ في حال ثبوت كون مهمّته 'تخدم الوصول إلى محادثات مباشرة بين إسرائيل والبلدان العربيّة' وترافق هذا التّصريح مع عدّة عروض تؤكّد أنّ مسألة الانسحاب من الأراضي المحتلّة كانت مشروطة 'بالمحادثات المباشرة وهي الضّمانة الوحيدة لأمن إسرائيل'.. وفسّرت إسرائيل محتوى القرار بشكل مؤدّاه إغفال مسألة انسحاب قوّاتها من الأراضي التي غزتها وقدّمت مشكلة 'الاعتراف بالحدود'. وحسب ما يراه السّياسيّون الإسرائيليّون إنّ المحادثات المباشرة بشأن هذه المشكلة ستكون المرحلة التي تسمح بتحقيق أحلامها 'في إسرائيل الكبرى'.

الدبلوماسيّ السّويدي الدكتور 'غونار جارينغ' سفير السّويد السّابق في موسكو سُمّي ممثّلاً خاصّاً لثانت في الشّرق الأدنى. وخلال شهر كانون الأوّل، بقي صبوراً جداً في علاقاته الخاصّة بمهمّته وباشر سلسلة من الزيارات إلى عواصم بلدان المنطقة.

لقد سبق لنا أن فسّرنا ما يخفيه مطلب إسرائيل المصرّ على 'المباحثات المباشرة'.. ولكن ما الذي تستطيع إسرائيل تقديمه لجيرانها العرب؟ وما الذي تخفيه طروحاتها الدّعائية المتكرّرة إلى مالا نهاية والمؤكّدة 'إرادة إسرائيل أن تُقيم في المستقبل علاقات مع العرب قائمة على المساواة والتّعاون؟

حتّى الخامس من حزيران كان يوجد في إسرائيل ما يقرب من ٢٧٥ ألف عربي أي ما يمثّل قرابة ١٢٪ من سكّان هذه الدّولة. وفي ٦ تمّوز وصفت الصّحيفة الفرنسيّة 'ليموند دبلوماتيك' أوضاعهم على الشّكل التّالي: 'التّضاد والتّباين يبقى متذبذباً بين الكيبوتزات حيث التّزويد بالآليّات عام وشامل وبين القرى العربيّة حيث مازال البغل والحمار الأدوات الوحيدة المساعدة للإنسان على الأغلب.. بين الحقول الجّماعيّة اليهوديّة وفيها تعمل الحصّادات- الدرّاسات

ومعها عدة آليات مكملة لأعمالها وبين بيادر الدراس المتواضعة وعليها يتسلح الفلاح بالمدقات لاستخراج الحبوب من غلته الهزيلة.. في الحقيقة، إن أنماط حياة أرباب العائلات التوراتيين والحاخامات لا يأمل الزائرون أن يجدوها بصورتها الواقعية لدى العاملين في الكيبوتزات بل لدى الفلاحين في القرى العربية في الجليل الأعلى أو لدى بدو النقب الغربي..'

إن كاتب هذه الملاحظات 'فيليب ديكراين' كان يدين العقبات المنصوبة والمنتصبة في إسرائيل لمنع التحرك الحر لدى السكان العرب.. عقبات وحواجز معترضة على شكل أنظمة عسكرية وآليات تفتيش بوليسي وهي في حقيقة الأمر أنظمة تمييز عنصرية وعرقية.

وفي حديث عن العرب في إسرائيل كتب 'أوغيستو بانكالوي' في 'لونيتا' (أول تشرين الثاني): 'إن العرب لا يؤدون خدمتهم العسكرية ولا يستطيعون على العموم، النجاح في أية مهنة خاصة بالإدارة العامة وتستخدم أكثريتهم في الزراعة والبناء وقطاع الخدمات.. أما الطلاب العرب فلا يمثلون سوى ٠,٥ ١٪ من مجموع طلاب الجامعات و٢,٩٪ من تلاميذ المدارس الثانوية. والتاريخ الذي يدرس يزور ويغير حقائق ماضي العالم العربي.

لقد احتاجت إسرائيل إلى ٢٠ عاما حتى خلقت داخل حدودها، بدل الاستغلال العرقية والاحتقار والتمييز منبثقة من الإيديولوجية الصهيونية القائمة على التفوق الإسرائيلي السائد في إسرائيل هذه الإيديولوجية اعتبرت أن هذه المدة كلها كانت 'وقتا ضائعا'.

وإذا كانت تصريحات زعماء إسرائيل تحتوي على نسبة مئوية ضئيلة من الحقيقة فلا يوجد إطلاقا ما يسمح بتبيان الحالة الحزينة التي يوجد فيها السكان العرب وكذلك الحالة المفروضة حاليا على الذين لم تنجح إسرائيل بطردهم من وطنهم المحتل.

ولابد أيضا من التذكير بالطريقة التي عومل بها أسرى الحرب فرغم النداءات الإنسانية التي كررتها منظمة الأمم المتحدة، ورغم اتفاقية جنيف تاريخ آب ١٩٤٧، التي تقضي بحظر ومنع حالات التنكيل والمعاكسة وعرض الأسرى 'إلى

فضول السّكان' رغم كلّ هذا فإنّ اللباس الموحّد للأسرى العرب قد صُبغ باللّون الأصفر للفت الأنظار أكثر إليه ومن الصعب شرح ماذا تقصد هذه الحركة؟ هل تكشف عن خفايا مرضيّة للعُقد المأساويّة التي ولّدتها حقبة عمليّات الاضطهاد الهتلريّة؟ هل هي إيماءة إلى أين يذهب الاحتقار للمهزومين في حرب؟ إنّ هذه البزّات المطليّة للأسرى المنهكة قواهم خلف الأسلاك الشّائكة قد صدمت المراقبين الأجانب الذين كانوا يقارنون بين ما يرونه وبين التّصريحات الإسرائيليّة عن 'إرادة السّلام والمفاوضات السّلميّة المباشرة'.

كوف دي مورفيل، في تصريح له بتاريخ ٧ تشرين الثّاني اتّخذ موقفاً من الطروحات الإسرائيليّة المتعلّقة بالمفاوضات: 'هل يمكن فعلاً التفكير، كما يبدو أن حكومة إسرائيل تفعل، أنّ الأسلوب والطريقة وحدهما يكفيان لفتح باب المفاوضات المباشرة بينها وبين الحكومات العربيّة المعنيّة من أجل تحديد شروط السّلام؟.. وهذه الأطماع الحادّة الباقية وهذه الأحقاد الظاهرة التي نعجز عن وصفها.. أو لا تعني كلّها أنّ أيّة مواجهة مباشرة لا يمكن تصوّرها؟

هذه الأطماع الحاليّة لدولة إسرائيل سبق وصفها بصراحة من قبل الجنرال ديغول خلال مؤتمره الصّحفي القيّم بتاريخ ٢٧ تشرين الثّاني:

'إنّ ما أُقيم بين الحربين العالميّتين الأولى والثّانية إذ لابدّ من العودة حتّى هناك، أي إقامة 'موطن' صهيوني في فلسطين وثمّ بعد الحرب العالميّة الثّانية إقامة دولة إسرائيل قد أثارا منذئذ العديد من المخاوف، وكان يمكن التساؤل حقيقة والتساؤل جرى فعلاً حتّى لدى الكثيرين من اليهود، إذا كان زرع هذه الطائفة في أراضٍ تمّ كسبها في ظلّ شروط غير محدودة المشروعيّة وفي وسط شعوب عربيّة كانت أصلاً ودائماً معادية لليهود؟

والتساؤل أيضاً: أولاً يجرّ ذلك إلى ما لا نهاية له من الاحتكاكات والصّدامات والنّزاعات؟ وكثيرون كانوا يخشون أيضاً أنّ اليهود.. وكانوا حتّى ذلك الحين شتاتاً ولكنهم كانوا باقين على ما عُرف بهم وعنهم في كلّ زمان، وأعني شعباً مختاراً واثقاً من نفسه تربّى على السّيطرة والتّسلّط، كانوا يخشون والحالة هذه أن يؤدّي مجيئهم وتجمّعهم في الموقع الذي شهد عظمتهم القديمة.. يؤدّي

إلى أن تحيا فيهم أطماع شديدة وعنيفة قامت على الفتح والتوسّع منذ ١٩ قرناً؟

عقب هذه التوقّعات عرّف ديغول دول إسرائيل بأنّها 'دولة محاربة ومصمّمة على التوسّع وعلى أن تكبر' ولم يغب طبعاً عن ذهن الجنرال ديغول شعار إسرائيل التقليدي: 'العام الآتي في أورشليم'!

وبعد وقت قليل جداً نشرت الحكومة الإسرائيليّة رسالة مسبّات وشتائم بحقّ ديغول وفرنسا: 'إنّ الحكومة الإسرائيليّة قد أخذت علماً، مع الأسف العميق، بتصريحات الجنرال ديغول التي تشكّل نهجاً فلسفياً للتاريخ وشتيمة خطيرة للشعب اليهودي ولدولة إسرائيل'.

وشكّل هذا جانباً من الحملة الهستيريّة الموجّهة ضدّ فرنسا البلد المشهور بتسامحه وبتقاليد الحرّيّة.. ضدّ فرنسا وضدّ رئيسها.

كلّ هذا لم يكن 'خروجاً على القاعدة' إذ يكفي فعلاً، نقد أو إدانة الطبيعة المرفوضة للتوسّعيّة العرقيّة الإسرائيليّة حتّى يُعامل النّاقد باللاسامية من قبل 'المؤمنين بالصّهيونيّة' الحاخام الأكبر في فرنسا 'كابلان' فاه بتهديدات أنّ يهود فرنسا يمكن أن يتخلّوا عن ولائهم لوطنهم.. والجانب المؤيّد للصهيونيّة من الصّحافة الفرنسيّة الذي برهن عن مواقفه في حزيران، بادر بقوّة إلى الهجوم.. الهجوم هذه المرّة ضدّ رئيس الجمهوريّة.

إنّ مبدأ ازدواجيّة الولاء الغائم على الاعتراف أنّ مصالح إسرائيل أقرب لصاحب هذا المبدأ من مصالح بلد إقامته وسكنه ومن سلف من أجياله.. هذه الازدواجيّة وجدت في فرنسا خلال الأيّام التي نحن بصددها وضوحاً يمكن أن يكون مدعاة تفكير لدى الأمم الأخرى.

جورج تبروسّان، نفسه، كما يلفت الانتباه وهو الذي له أصوله اليهوديّة، أجاب على صفحات جريدة 'انترناشنال هيرالد بريبون' رداً على هذه الحملة المشؤومة:

'إنّني اعتبر الاتّهامات الموجّهة ضدّ الرّئيس ديغول عقب مؤتمر الصّحفي.. أعتبرها باطلة وغبيّة متعثّرة وفاضحة، فقد انطلقت في إسرائيل وفي بعض أوساط اليهود في فرنسا هجمة مسعورة لأنّ الجنرال ديغول انتقد سياسة إسرائيل وقدّم موجزاً لتاريخ ميلاد إسرائيل بطريقة لا تُرضي البعض..

لقد كانت الانعكاسات على قدرٍ كبير من التطرّف في مقابل ما قاله ديغول فعلاً.. حتّى توضّح أن المقصود هو البحث وصولاً إلى أهداف سياسيّة لا يوجد للأسف أي رابط يربطها مع دفاع يهود فرنسا إزاء التهديد المزعوم.. والسؤال هو: هل يوجد واحد فقط يستطيع حقيقةً اعتبار فرنسا أمّة لا ساميّة أو أمّة مهدّدة في أيّ زمن بخطر كينونتها لا ساميّة؟

منذ الثّورة الفرنسيّة ١٧٩١ جعلت الثّورة إيّاها اليهود مواطنين متساوين مع سواهم أمام القانون واليهودي بالمعنى الشّرعي، القضائي ليس موجوداً إطلاقاً.. لقد أصبحوا بكلّ بساطة مواطنين ويتأتّى هذا من التقليد اليعقوبي للأمّة الواحدة والمجتمعة.. التقليد الذي خلق، مع ذلك، حالات متناهية، على سبيل المثال، واقع تعليم الأطفال العرب والملوّنين (السّود) تاريخاً يبدأ 'أجدادنا كانوا يُدعون الغولوا Gaulois'.

أمّا الإسرائيليّون والصّهيونيّون ففي زعمهم أنّ 'الشّعب اليهودي' يؤلّف 'كياناً' ووطنه هو 'إسرائيل' ومخطط الصّهيونيّة هو أنّ اليهود بنهاية المطاف يجب أن يعودوا إلى أرض أجدادهم، إذا كانوا يريدون أن يبقوا يهوداً.. ووُجهة النّظر هذه تشكّل، إلى حدّ كبير، جزءاً من فلسفة إسرائيل التي تقول إنّ كلّ يهودي له، آليّاً 'حقّ المواطنة' في البلد منذ وصوله إلى إسرائيل.. وهذا حقّ غير معترف به لأي كان من غير اليهود.

ما من شكّ أنّ ديغول كان يفضّل إلاّ يحدّد موقفه علناً في مسألة لا يمكن إلاّ أن تُحدث متاعب لليهود غير الصّهيونيّين إلاّ أن الحملة المؤيّدة لإسرائيل التي شُنّت في فرنسا منذ حرب الأيّام السّتّة من حزيران لم تسمح له أن يبقى ساكتاً.

الصّحيفة الأسبوعيّة 'الديغوليّة' 'نوترريبوبليك' نشرت من جانبها، بيانين يشكّلان ردّاً ونقاشاً على الاتّهامات الرّسميّة والمختصرة الموجّهة ضدّ ديغول

بسبب موقفه من إسرائيل.. لقد كتب فرانسوا فريدريك دي تور.. كتب ما خلاصته: إنّه تحت تأثير الانتصار المحقّق تحوّلت المشاعر الوطنيّة للشعب اليهودي بشكل أصبح معها، من الصعب اليوم التّحدث عن طبيعته السّلميّة أو عن مقاومته المبرّرة ضدّ الذين كانوا يريدون إفناءه.. وأضاف دي تور أنّ الجنرال ديغول كان على علمٍ من تطوّر هذه المشاعر الذي تكوّن في هذه الأشهر الأخيرة وهو يمتلك الشّجاعة التي عُرف بها لأنّه يدلّ واضعاً إصبعه على الخطر النّاجم عن المشاعر إيّاها.

'إدموند بيتلماند' (الذي أشار هو نفسه إلى كونه فرنسيّاً من أصل يهودي) اتّهم علناً، إسرائيل أنّها سمّمت الرّأي العام الفرنسي.. ويمكن اختصار وجهة نظره إلى المسألة على النّحو التّالي: 'خلافاً لمصالح إسرائيل نفسها وخلافاً للأمان الذي ينعم به اليوم اليهود الأوربّيّون في أوطانهم الحقيقيّة، فإنّ قادة إسرائيل في خلقهم هذا التقارب والتوارد بين أهدافهم التّوسّعيّة وبين أهداف التضليل الرّجعية للاستخبارات الأمريكيّة (C.I.A) فإنّ نيّتهم هي إعداد وتدبير 'قضيّة إسرائيليّة' داخل فرنسا حالياً. وهي موجّهة ضدّ ديغول ويمكن أن تخلق انقسامات بين الفرنسيّين غلافها حبّ العدالة.. فالصّهيونيّة الإسرائيليّة تُنادي بالويل والثّبور وضدّ العرقيّة والعنصريّة وهذا فقط لأن دولة إسرائيل تشعر أنّها مهدّدة والسّبب هو سياستها التّوسّعيّة. وهذه الطريقة في فهم الأشياء جاء البرهان عليها من ردود فعل حكومة إسرائيل نحو المؤتمر الصّحفي الذي أجراه الجنرال ديغول ولكن كلّ هذا لا يمنع إطلاقاً هذه الحكومة أن تمتلك الالتزام باستقبال ومساعدة اللّاجئين العرب لعام ١٩٤٨ ومعهم ذرّيّتهم إذا كانت ترغب فعلاً بالسّلام كما يتوجّب على اليهود والإسرائيليّين ألاّ يمنحوا حقّ الوجود إلى 'الزمرة الصّهيونيّة' لأنّه قد ثبت بالبرهان أنّ الصّهيونيّين هم 'حجارة الشطرنج' الأمريكية على 'رقعة شطرنج' السّياسة العالميّة.

في زمانه ذاك وإرضاءً للرئيس روزفلت الذي اتّخذ موقف الحياد تجاه 'الرّايخ الكبير' كان الصّهيونيّون الذين وجدوا لهم ملجأ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة لزموا الصّمت والسّكوت عن عمليّات إفناء اليهود في أوربّة.. وهاهم اليوم يتحدّثون عن 'الشتائم' لأنّ الجنرال ديغول أدان مراميهم التّوسّعيّة.

لا مجال للشكّ إطلاقاً أنّ قادة إسرائيل اضطرّوا لمراجعة أنفسهم بشكل بديهي، أنّهم بعد تصريحات ديغول لا يستطيعون أبداً الاعتماد على نفوذ العناصر الصّهيونيّة على ساحة السّياسة الفرنسيّة حتّى ولو كان على رأسهم البارون إدمون دي روتشيلد.

إلاّ أنّ إسرائيل تملك دائماً صديقين مخلصين تماماً: إنّ الزيارة التي قام بها إلى إسرائيل في تشرين الثّاني المستشار السّابق للجمهوريّة الفيدراليّة الألمانيّة 'لودويك إيرهارد' رُفعت إلى مستوى الحدث التّاريخي.. لقد استُقبل هذا 'الحاجّ' هذا هو الدور الذي تبنّاه من قبل رئيس إسرائيل 'زالمان شازار' ومن قبل رئيس الوزراء آشكول وعدد من الوزراء وزيّنوه بعدد من الميداليّات بينها ميداليّة جامعة وايزمان العبريّة وقد جعلوه يزور الكيبوتز التي فيها يتعاطى زراعة الأرض رئيس الوزراء السّابق لإسرائيل بن غوريون.

لقد جاء إيرهارد إلى إسرائيل لإظهار تضامنه مع النّهج التّوسّعي الإسرائيلي وهذا ما برهن عنه بوضوح لمّا زار القسم الذي تمّ غزوه مجدّداً من القدس.. مراسل وكالة رويتر 'آريا والانشتاين' وصف الدّموع التي ذرفها إيرهارد علناً أمام نصب اليهود ضحايا الهتلريّة.

ولكن قادة إسرائيل أعطوا قبل كلّ شيء الدليل على مثابرتهم أمام راعيهم ووكيلهم الرئيسي الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ففي مقابلة أجريت مع صحف شبكة محطّات Hearst، صرّح ليفي آشكول في تشرين الثّاني، أنّه كان ممكناً أن تعبّر إسرائيل أي حكومة إسرائيل عن دعمها لسياسة أمريكا في فيتنام. وأضاف: 'إنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة هي أوفى حليف لنا وواجبنا أن نعترف لها بهذا' هذا ما صرّح به، من جهته، وزير إسرائيل للشؤون الخارجيّة آبا إيبان.

حتّى ١٨ تشرين الأوّل تقدّم آشكول للمرّة الأولى بطلبه لرفع الحضر عن تزويد إسرائيل بالأسلحة، وفي كانون الأول كانت الدّعاية الإسرائيليّة وتصريحات كبار ساسة إسرائيل يردّدون معاً جدليّة أمريكا عن 'خطر الوجود والتغلغل السّوفييتي في منطقة البحر الأبيض المتوسط'. ويردّدون أوّلاً 'للدفاع عن نفسنا من البلدان العربيّة التي أعاد تسليحها الاتّحاد السّوفييتي'.

كانت إسرائيل بحاجة إلى طائرات قتال من أحدث طراز من نوع 'فانتوم' وهي نفسها التي استخدمت دون رحمة في عدوان الولايات المتّحدة الأمريكيّة ضدّ الشّعب الفيتنامي. والزّيارة التي تقرّر أن يقوم بها آشكول إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة قُدّم موعدها شهراً وكان هدفها الحصول على ٥٠ من الطائرات المذكورة التي لها الصّفة الهجوميّة دون أدنى شك.

'إنّ الاتّحاد السّوفييتي هو الذي تسبب بالمرحلة الأخيرة من النّزاع في الشّرق الأدنى' هذا ما قاله للتلفزيون الأمريكي آبا إيبان.. وأضاف: 'إنّ الكرملن يلعب الدّور الرئيسي في تصعيد خطر النّزاع، وإنّ إسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة يدافعان عن المبادئ المتطابقة مع الحريّة والعدالة في العالم' هذا ما ردّده آشكول من باب المزاودة.

ثمّة طريقة تعبير وتركيب الجمل في البرنامج اليومي للولايات المتّحدة الأمريكيّة.. فباسم 'الحريّة والديمقراطيّة والمُثل العليا المشتركة في العالم الحرّ' آلاف أطنان القنابل يتمّ صبّها كلّ يوم على أراضي فيتنام.. فمن الصّعب إذاً، التصديق أو الاعتقاد أنّه لمجرّد قبول مندوب أمريكا 'آرتورغولدبرغ' القرار البريطاني في مجلس الأمن، حدث تغيير ما في موقف الولايات المتّحدة الأمريكيّة الخاص بموضوع مسألة الشّرق الأدنى.. إنّ الأسابيع الأولى من مهمّة 'جارينغ' ومحاولات هذا الأخير تسوية بعض المسائل ذات الأولويّة جوبهت بتعطيلها من قبل إسرائيل مستقوية بالدعم الأمريكي المضمر.

في كانون الأوّل، عندما برهنت الجمهوريّة العربيّة المتّحدة عن صدق إرادتها وعزمت على مباشرة الأشغال الضرورية في منطقة قناة السّويس لتخليص ١٤ سفينة (منها اثنتان بولونيّتان) كانت محاصرة ومتوقّفة داخل البحيرة المُرّة الكبرى، باشرت إسرائيل من جانبها جميع المكائد الممكنة لتفشيل هذا العمل.. وبقصد الدخول بالقوّة إلى مياه القناة أعلنت إسرائيل أنّ عمليّة تنظيف هذا الطريق البحري لا يمكن أن يتمّ إلاّ في حالة واحدة هي أن تتقدّم الجمهوريّة العربيّة المتّحدة بطلب وتحصل على إذن منها. ورمايات المدفعيّة التي أطلقت حال المباشرة بالعمليّة برهان على حقيقة نوايا إسرائيل هذه.

أمّا الولايات المتّحدة الأمريكيّة التي كانت تكرّر دون انقطاع أنّها تؤيّد مهمّة مبعوث منظّمة الأمم المتّحدة وتعلن إرادتها أن ترى استعادة السّلام في الشّرق الأدنى، لم تجرّب أو تحاول إطلاقاً استعمال نفوذها ومكانتها لدى إسرائيل لتحقيق أحد الحلول الثّانويّة التي تبرهن على شيء من النوايا الحسنة لدى الجهات المعنيّة وبالتّالي يمكن أن تقرّب مسافة وزمن تسوية النّزاع.. والعكس هو الذي يجري مثلما حصل في أيّار ١٩٦٧ لمّا هزّت الولايات المتّحدة الأمريكيّة النّداءات الهستيريّة المطالبة بتزويد إسرائيل بأسلحة هجوميّة وموجة من التصريحات التي تتضاعف وموضوعها أنّ ثمّة خطراً جديداً 'يهدّد إسرائيل'.

'جيمس هـ ستريور' عضو غرفة الممثّلين (من ولاية نيويورك) كان يؤكّد في رسالة موجّهة إلى 'واشنطن بوست' أنّ على الولايات المتّحدة الأمريكيّة أن تُسلّح إسرائيل كي تواجه النوايا العربيّة المستجدّة لتدمير دولة إسرائيل.

إنّ إعادة بناء القدرة العسكريّة العربيّة لتبلغ مستوىً مماثلاً تقريباً للمستوى الذي كانت عليه قبل الحرب، فالاتّحاد السّوفييتي يُشجّع القادة العرب للقيام 'بالدّورة الرّابعة' بقصد تدمير إسرائيل. هنا يستشيط هذا السّياسي غضباً ويضيف: 'بعد أن أوصدت فرنسا الباب بقيت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحدها القادرة على تزويد إسرائيل بقوّة كافية وحاسمة تقنع جيرانها العدوانيّين أنّه لا الاتّحاد السّوفييتي ولا استعداداتهم لحرب جديدة تحقّق آمالهم'.

الغريب أنّ هذه المواقف تذكّر بالحالة التي كانت سائدة قبل بضعة أشهر.. أي يوم كان نزاع الشّرق الأدنى في بداياته.. وفيه كان العدوان الإسرائيلي يُعدّ عدّته.. يبدو أنّه لم يتغيّر شيء.

في مسألة الشّرق الأدنى تبنّى المعسكر الاشتراكي موقفاً واضحاً وحازماً، كما دلّ على ذلك البيان المنشور غداة محادثات وزراء الشؤون الخارجيّة للبلدان الاشتراكيّة الأوربيّة التي انعقد الاجتماع الخاص بها في وارسو في ١٩-٢١ كانون الأوّل عام ١٩٦٧. وتضمّن البيان المذكور:

'لقد تأكّد أنّه نتيجة تدخّل الإمبرياليّين، فإن الشّرق الأدنى يعيش دائماً تحت كابوس ثقيل جداً.. فعلى رغم الإرادة الصريحة لمعظم بلدان العالم أجمع

وأوامر منظّمة الأمم المتّحدة، تتمسّك إسرائيل باحتلالها بالأراضي التي غزتها واحتلّتها من بعض الدّول العربيّة محاولةً أن تحصل من وراء ذلك على امتيازات سياسيّة وسواها.. وقناة السّويس طريق بحري له أهمّيته الأولى للمواصلات البحريّة وللتجارة..

هذه القناة تمّ تحويلها إلى خطّ مجابهة عسكريّة وأ . - معطّلة.. آلام ومصاعب لا حصر لها حلّت بمليون ونصف مليون لاجئ عربي وأ . - أرضهم ومساكنهم تحت الاحتلال.. إنّ الوضع السّائد في هذه المنطقة يستبطن خطر انفجار واشتعال نزاع جديد.

وراء هذا الكابوس الدّائم والمثبّت على حاله بقصد تكمن مخطّطات طويلة الأمد ونوايا أوساط إمبرياليّة معيّنة وفي طليعتها الولايات المتّحدة الأمريكيّة نوايا ترمي إلى إقامة مجدّدة لنظام استعماري مستحدث داخل الشّرق العربي ود . بالعدوانيّة بشكل أساسي ضدّ المحاولات التي بوشر بها فعلاً ليجعلوا من هذه المنطقة للبحر الأبيض المتوسط منطقة سياسة عدوانيّة.

إنّ وزراء الخارجيّة يعبّرون، باسم بلدانهم، عن تضامنهم ودعمهم للدولة العربيّة الصّديقة التي تخوض معركتها ضدّ الدسائس الإمبرياليّة والاستعماريّة المستحدثة دفاعاً عن حقوقها ومصالحها واستقلالها وسيادتها الوطنيّة وتقدّمها الاقتصادي والاجتماعي.. والمشاركون في هذا المؤتمر يحيّون الموقف الثّابت والبنّاء لحلّ مشاكل الشّرق الأدنى من قبل حكومات الجمهوريّة العربيّة المتّحدة والدّول العربيّة الأخرى التي تُبدي رأيها بالبحث عن تسوية سياسيّة عاجلة.. كما أنّ الوزراء أخذوا، أيضاً، علماً بكلّ تقدير عن توجّه وتوق هذه الحكومات إلى تقوية وحدة العمل، عمل الدّول العربيّة لصدّ ودحر السّياسة العدوانيّة للاستعمار المستحدث والعدوان الإمبريالي في الشّرق الأدنى.. وسياسة تدخّل الإمبرياليّة في الشؤون الدّاخليّة للبلدان العربيّة.. وبناءً على كلّ هذا قدّم الوزراء دعمهم لفكرة تنظيم مؤتمر لرؤساء الحكومات العربيّة في الرّباط.

إنّ المشاركين في هذا المؤتمر يؤكّدون بالإجماع أن انسحاب القوّات الإسرائيليّة من جميع الأراضي العربيّة المحتلّة.. انسحابها إلى مواقعها قبل

الخامس من حزيران يشكّل الشّرط الرّئيسي والذي لابدّ منه لإقامة وتقوية السّلام في الشّرق الأدنى.. ولهذا السبب لفت الوزراء الانتباه إلى الأهمّية الأوّليّة للدخول بقوّة في تنفيذ قرار مجلس الأمن لمنظّمة الأمم المتّحدة تاريخ ٢٢ تشرين الثّاني ١٩٦٧ والانسحاب الفوري للقوّات المسلّحة الإسرائيليّة من أراضي الدّول العربيّة المحتلّة.

وأكّدوا أيضاً رفض ضمّ الأراضي بواسطة الحرب وإنّ جميع الاجتهادات والتفسيرات الهادفة لإضعاف هذا العنصر الأساسي لقرار مجلس الأمن تعتبر مضادّة لنصّ وروح هذا القرار. ويؤكّد الوزراء خصوصاً وجوب الاعتراف لجميع الدّول العضوة في منظّمة الأمم المتّحدة في هذه المنطقة.. الاعتراف بحقّ كلّ منها بالوجود كدولة وطنيّة ذات سيادة تتمتّع بجميع شروط السّلام والأمن..

إنّ أعمال إسرائيل الرّامية للاحتفاظ بأيّ جزء من الأراضي العربيّة المحتلّة تشكّل عقبة بطريق حلّ جميع المشاكل الأخرى لهذه المنطقة الحلّ الذي يجب أن يتمّ وفق مبادئ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية وكامل أراضي كلّ طرف.. إنّ هذا النوع من الأعمال يجب أن يُدان.

إنّ أزمة الشّرق الأدنى التي نشبت بالعدوان الإسرائيلي المدعوم من قبل الإمبرياليّة الأمريكيّة قد دخل في عامه الثّاني وهو مستمر حالياً على شكل معركة سياسيّة تتجابه فيها نزعتان واتّجاهان: من جانب، الإرادة الأكثريّة المصمّمة للبلدان العربيّة الباحثة عن حلول لآثار العدوان والاستعادة بالوسائل السّياسيّة للأراضي المضمومة من قبل المعتدي.. ومن جانب آخر محاولة النّهج التّوسّعي الإسرائيلي أن يحصّل بالقوّة والتهديد بالسّلاح مكاسب سياسيّة وجغرافيّة.

فهرس الكتاب

التاريخ اسلام:

من المنشورات السياسية

- ❖ أزمة العالم
فيدل كاسترو ....

- ❖ إسرائيل خمسون عاماً من العدوان
قصي عدنان عباسي ....

- ❖ الأحزاب الصهيونية وعملية السلام
محمد سلمان حسن ....

- ❖ الأخوة كينيدي
أ. غروميكو ....

- ❖ الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين
أ. ن. كالوسينك ....

- ❖ الأيديولوجية اليهودية
مفيد عرنوق ....

- ❖ الإسلام والحروب الدينية
محمد عمارة ....

- ❖ العراق صفحات من التاريخ السياسي
كاظم الموسوي ....

- ❖ العولمة والتبادل الإعلامي
صابر فلحوط - محمد البخاري ....

- ❖ القتلة على الرمال البيضاء
اناتولي أغارشيف ....

- ❖ المثقفون السودانيون والطائفة الميرغنية
خليفة خوجلي ....

- ❖ المصير العربي
خليل الجهماني ....

- ❖ اليمين واليسار في الفكر الديني
حسن حنفي ....

- ❖ انتحار الحزب الشيوعي السوداني
خليفة خوجلي ....

- ❖ تجارة الأسلحة في الخليج العربي
رحيم كاظم موسوي ....

- ❖ حدث ذات مرة في سورية
سمير عبده ....

- ❖ خطاب المشروع الوحدوي
الشيخ الركابي ....

- ❖ ستالينغراد ملحمة العصر
ف تشيكوف ....

- ❖ صفحات مجهولة في حياة تولستوي
ك. لومونوف ....

- ❖ عملية السلام من مدريد حتى صعود باراك
قصي عدنان عباسي ....

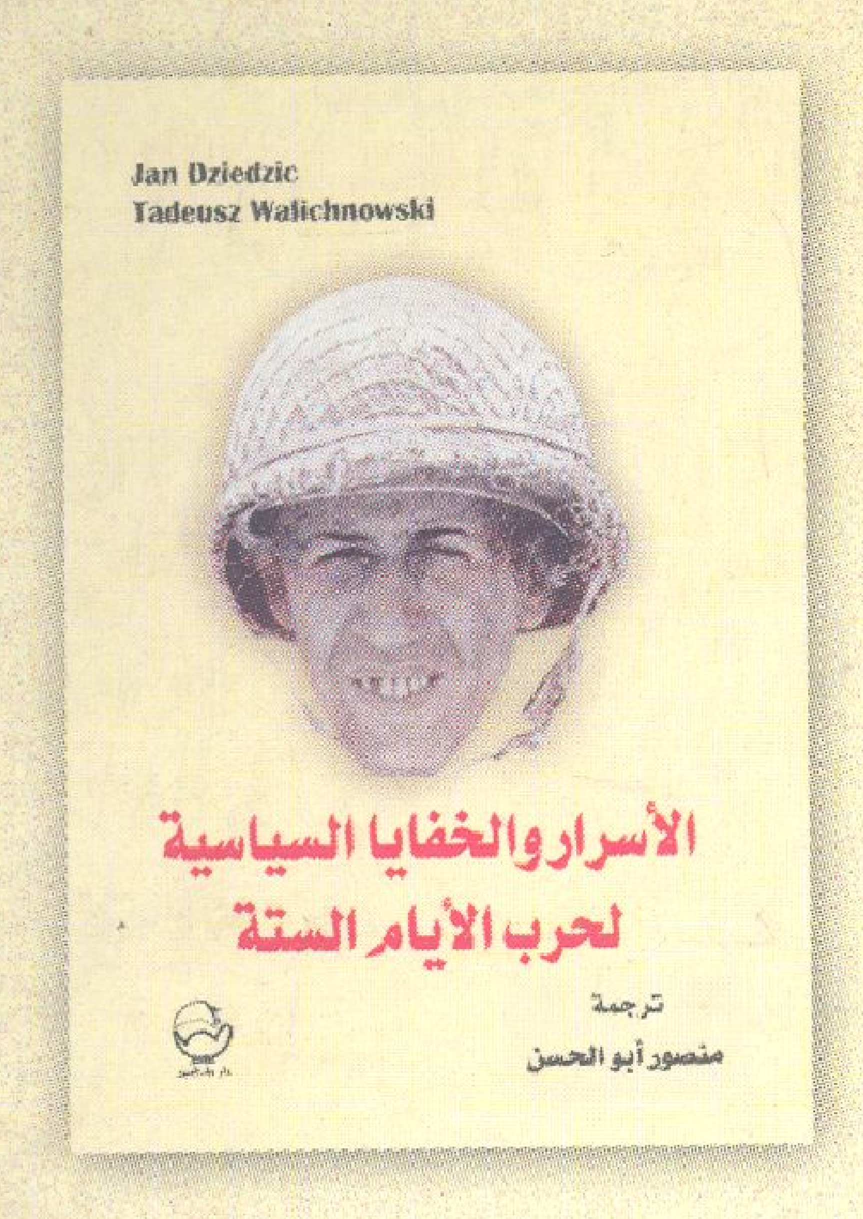
- ❖ في الثقافة السياسية
حسن حنفي ....

- ❖ مذكرات عن الانقلاب العسكري
غورباتشوف ....

- ❖ نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر
محمد علي جمعة ....

- ❖ التعاون بين إسرائيل ونظام جنوب إفريقيا
منصور أبو الحسن ....

- ❖ العالم الجديد في المنظور الثوري
أحمد حسن الفقرة ....



الأسرار والخفايا السياسية لحرب الأيام الستة

هذا الكتاب:

رغم كثرة الكتب والدراسات التي تناولت حرب الأيام الستة - حزيران ١٩٦٧ - وقامت بدراسة وتحليل أسباب الهزيمة، ومجريات الأحداث قبل وأثناء الحرب، إلا أن هذا الكتاب له أهمية كبيرة لأنه عمل إعلامي مطّلع، كُتب من قبل متخصصين غربيين يرون الأحداث من خلال رؤيتهم الخاصة، بالإضافة لمشاركتهم في الأحداث ومشاهداتهم العيانية وما يمتلكون من وثائق ومعارف تتصف بالموضوعية والعلمية.

يقدم هذا الكتاب تركيباً مجملاً وملخصاً يتيح فهم المخطط السياسي، والآلية لتنفيذ عدوان إسرائيل، وبالاستناد قبل كل شيء على المصادر الغربية.

ونجد فيه بشكل بالغ الدقة والتمحيص وثائق مختارة وواسعة عما كانت حقيقة وخفايا تلك الأيام من حزيران ١٩٦٧، ويكشف كذلك الدور السيىء لألمانيا الاتحادية التي قدمت كل سبل الدعم للكيان الصهيوني ومواقفها المعادية للقضايا العربية.

Les coulisses de la Guerre de Six lours

يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا - دمشق ص.ب. ٣٠٥٩٨ - هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١